مجلـــة الاكـــاديمية العـــربية

المفتـــوحـــة في الـــدنمـــارك

رئيس التحرير:
أ. د. ولـــيد الحيـــالـــي

سكرتير التحرير:
أ.م . د. حســـن الســـوداني

أعضاء هيأة التحرير:

أ.م.د. محـــمد فلـــحـــي
أ.م. د. لطـــفي حـــاتـــم
أ.م.د . ثائر العـــــذاري
أ.م.د . وائل فاضـــــل
أ. أســـيل العـــامـــري

الخبير اللغوي
خضير عباس الزيدي

عنوان المراسلة:

Address: Meterbuen 6-12 bygning 6E
2740Skoulnde
DENMARK
Website : www.ao-academy.org
e-mail : ao-academy@yahoo.com

Det kongelige bibliotek Nationalbibliotek og Københavns universitetsbibliotek Pligtafleverings-afdeling ISSN Danmark, ISSN: 1902-8458

رقـــم الايداع بالمكتبة الملكية الدنماركية و مكتبة جامعة كوبنهاغن

ISSN: 1902-8458

البحوث المنشورة تم تقويمها من قبل اساتذة متخصصين بحسب التخصصات العلمية

الهيأة الاستشـــــارية

أ. د. انيس الراوي – السويد

أ.د. محمد أزهر السماك – العراق

أ.د. أبي سعيد الديوه جي – رئيس جامعة الموصل

أ.د. عـــلاء الموسوي – تقنية التعليم الألكتروني/ كندا

أ.د. مجيـــد حســـــين – جامعة دبي

أ.د. قاسم الحبيطـــي – جامعة الإسراء/الأردن

أ.د. طارق شـــريف – جامعة العلوم التطبيقية/الأردن

أ.د. عفاف عبد الجبار – جامعة عجمان/ الامارات

ثمن العدد : في الدول العربية 4 يورو € أو مايعادلها بالدولار الأمريكي $
وفي دول الاتحاد الاوربي 5 يورو €

الآشتراك السنوي	الأفراد		المؤسسات	
الاشتراك بعملة €	البلدان العربية	البلدان الاسكندنافية	البلدان العربية	البلدان الاسكندنافية
لمده سنة	40	50	80	100
لمدة سنتين	70	80	150	160
لمدة ثلاث سنوات	100	110	230	240
لمدة خمس سنوات	150	160	350	420

الإفصاح المحاسبي في ضوء المعايير المحاسبية الدولية دراسة ميدانيه على الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) شركة مساهمة سعودية

إعداد
طالب الدكتوراه
مجدي احمد الجعبرى

يهدف هذا البحث إلى تسـليط الضوء على مفهوم و أسـس ومقومات الإفصاح عن المعلومات المحاسبية في ظل معايير المحاسبة الدولية ثم اسـتعراض مدى التزام الشركات المساهمة السـعودية بالإفصاح عن القوائم المالية الإلزامية والبنود والعناصر التي يتوجب أن تفصح عنها هذه القوائم وفقا لمعيار المحاسبة الدولي الأول وكذلك تحديد المعلومات التي يتم الإفصاح عنها في تقارير الشركات المدرجة في السوق المالي السعودي من خلال استعراض لقوائم إحدى هذه الشركات.

وفى سبيل تحقيق أهداف البحث تمت دراسة القوائم المالية للشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) وهى من كبرى الشركات المدرجة في سوق المال السعودي.

وقد انتهى البحث إلى أن الشركات المدرجة في السـوق المالي السـعودي غير ملتزمة بالإفصاح طبقا لمعيار المحاسبة الدولي الأول وكذلك عدم كفاية المعلومات التي يتم الإفصاح عنها في التقارير المالية لهذه الشركات لتلبية احتياجات المستفيدين.

Abstract

This research aims to clarify the concept and the principles and elements of the disclosure of accounting information in accordance with international accounting standards, and then review the commitment of the Saudi joint stock companies to disclose financial statements mandatory items and elements to be disclosed in these lists as a request for IAS I and also specify the information that is disclosed in reports of listed companies in the Saudi financial market through a review of the lists of one of these companies

To achieve the objectives of the research was a study of financial statements of the Saudi Arabian Basic Industries Corporation (SABIC), one of the largest companies listed on the Saudi market.

The research found that companies listed on the Saudi financial market is not bound to disclose in accordance with International Accounting Standard I and the inadequacy of the information that is disclosed in financial reports for these companies to meet the needs of beneficiaries.

مقدمة

بعد قيام الثورة الصناعية وظهور الشركات المساهمة العامة بحجمها الضخم وتجمع رؤوس الأموال الضخمة في أيدي هذه الشركات ظهرت الحاجة إلى معلومات محاسبية دقيقة وصحيحة ومناسبة لكل الاحتياجات هذه المعلومات لا يمكن توفيرها إلا من خلال القوائم المالية التي تمثل مخرجات النظام المحاسبي.

ويتعاظم دور المحاسبة بمختلف فروعها كنظام لإنتاج المعلومات ذات المنفعة النسبية من خلال توصيل المعلومات المالية الهامة لشرائح مختلفة وواسعة من المجتمع سواء اتفقت مصالحهم أم تعارضت وذلك في شكل قوائم وتقارير مالية تعكس ما وقع في المنشآت الاقتصادية من أحداث متتالية مما له بالغ الأثر في اتخاذ القرارات الاقتصادية والاستثمارية.

وانطلاقاً من أهمية القوائم المالية كمخرجات للنظام المحاسبي القائم في المنشأة يتوجب إعداد هذه القوائم على أسس تتفق مع متطلبات الإفصاح عن الأمور الغامضة ذات التأثير النسبي الهام في عملية اتخاذ القرار إذ أن أي تضليل في المعلومات التي تحتويها هذه القوائم من شأنه أن يفقدها أهميتها وبالتالي التأثير على قرار الاستثمار الذي يعتبر من القرارات الهامة والخطيرة مما يستلزم توافر معلومات على درجة كبيرة من الدقة والموضوعية.

وحيث أن المحاسبة تهدف إلى تحقيق وظيفتين أساسيتين هما القياس وإيصال المعلومات لمستخدميها لمساعدتهم في اتخاذ القرارات لذا فانه يجب إتباع قواعد وسياسات محاسبية تؤدى إلى أن تفصح المعلومات الاقتصادية أو المحاسبية المعروضة عن الحقائق والعلاقات الأساسية المتعلقة بالمنشأة.

طبيعة المشكلة

أصبحت قضية الحصول على المعلومات وسهولة الحصول عليها وحرية تداولها ومصداقيتها ودقتها من القضايا الملحة على رجال الأعمال والمستثمرين ويحتاج المستثمر إلى بيانات ومعلومات تساعده في اتخاذ قراره الاستثماري حيث يتم الحصول على هذه البيانات والمعلومات من مصادر عديدة أهمها التقارير والقوائم المالية ومن هنا يمكن تحديد مشكلة البحث في عدم التزام الشركات السعودية بمعايير الإفصاح وعدم التنظيم المهني للمحاسبة والمراجعة والتحليل المالي بالقدر الكافي وبالتالي عدم كفاية البيانات المتاحة للمستثمرين.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من الأهمية التي تحظى بها القوائم المالية التي تعلنها الشركات والتي تساهم في تنمية الثقة لدى المستثمرين بما تقدمه من بيانات ومعلومات ملائمة لقراراتهم وهذا لا يتحقق إلا من خلال وجود الإفصاح المحاسبي الذي يحقق جواً من الثقة لدى المتعاملين من هنا تأتي أهمية البحث من خلال التركيز على المعلومات التي يجب الإفصاح عنها في القوائم المالية ودور هذه المعلومات في اتخاذ القرارات الصحيحة والسليمة والتي تحقق المنفعة لجميع الأطراف المتداخلة.

أهداف البحث

إن هدف البحث يتلخص فيما يلي:

ـ التعرف على مفهوم و أسس ومقومات الإفصاح عن المعلومات المحاسبية في ظل معايير المحاسبة الدولية.

ـ دراسة مستوى التزام الشركات السعودية بنشر القوائم المالية الإلزامية المحاسبية والحكم على درجة الإفصاح فيها من خلال الاعتماد على ما جاء في المعيار المحاسبي الدولي الأول.

ـ تحديد المعلومات التي يتم الإفصاح عنها في تقارير الشركات المدرجة في السوق المالي السعودي من خلال استعراض لقوائم إحدى هذه الشركات.

حدود البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة مدى التزام الشركات المساهمة السعودية بالإفصاح عن القوائم المالية الإلزامية والبنود والعناصر التي يتوجب أن تفصح عنها هذه القوائم وفقا لمعيار المحاسبة الدولي الأول.

فرضيات البحث

لتحقيق هدف البحث تم وضع الفرضيات التالية:

- عدم التزام الشركات المدرجة في السوق المالي السعودي بالإفصاح طبقا لمعيار المحاسبة الدولي الأول.
- عدم كفاية المعلومات التي يتم الإفصاح عنها في التقارير المالية للشركات المدرجة في السوق المالي السعودي لتلبية احتياجات المستفيدين.

منهجية البحث

يعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع واستقصاء مادة البحث وتحليلها واستخلاص النتائج بالإضافة إلى منهج دراسة المضمون من خلال دراسة بعض المراجع والمصادر المتعلقة بالإفصاح المحاسبي ومراجعة بعض الدراسات والقوائم المالية للتعرف على واقع الإفصاح في الشركات السعودية.

خطة البحث

- لتحقيق أهداف البحث يتم تناول الدراسة من خلال الاتى:
- المبحث الأول: الإطار النظري للإفصاح عن المعلومات المحاسبية.
- المبحث الثاني: الإطار الفكري لإعداد وعرض البيانات المالية.

- المبحث الثالث: معيار المحاسبة الدولي رقم (1) عرض القوائم المالية.
- المبحث الرابع: الدراسة الميدانية على القوائم المالية للشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) لعام 2009 واختبارات الفروض.
- المبحث الخامس: النتائج والتوصيات.
- مصادر البحث.

المبحث الأول - الإطار النظري للإفصاح عن المعلومات المحاسبية.

ـ أولا:مفهوم الإفصاح المحاسبي.

يقصد بالإفصاح على وجه العموم هو العلانية الكاملة أما في المحاسبة فيقصد به أن تظهر القوائم المالية جميع المعلومات الرئيسية التي تهم مستخدمي المعلومات والتي تساعدهم على اتخاذ القرارات بطريقة سليمة.

ويعرف الإفصاح المحاسبي بأنه تقديم البيانات و المعلومات المحاسبية إلى مستخدميها بصورة كاملة و صحيحة و ملائمة بغرض مساعدتهم على اتخاذ القرارات كما يمكن تعريفه بأنه نشر البيانات أو المعلومات المحاسبية الضرورية بشرط أن تكون هذه المعلومات غير مضللة ولا تؤثر على كفاءة المعلومات الواردة في التقارير المالية.

كما يعني به أيضا شمول التقارير المالية على جميع المعلومات اللازمة والضرورية لإعطاء مستخدمي هذه التقارير صورة واضحة وصحيحة عن الوحدة المحاسبية.

بينما ينظر جانب أخر إلى الإفصاح على انه إجراء يتم من خلاله اتصال الشركة بالعالم الخارجي وأن المحصلة النهائية للإفصاح إنما تتمثل في القوائم المالية والبيانات والمعلومات التي تظهر من خلالها. فهو يعنى أن تتضمن التقارير المالية بعدالة ووضوح معلومات موثوق بها وأن تظهر القوائم المالية للشركة كافة المعلومات الرئيسية التي تهم الفئات الخارجية عن الشركة والتي تساعدها على اتخاذ قراراتها الاقتصادية تجاه الشركة بصورة واقعية وحقيقية وان تتعهد الشركة بتقديم تلك المعلومات بصفة دورية.

وباعتبار أن الإفصاح المحاسبي إحدى شقي الوظيفة المحاسبية وهو جوهر النظرية المحاسبية فهو ينطوي على الإعلان المدروس بطريقة اختيارية أو إجبارية لبعض ما لدى الإدارة من معلومات وبيانات ذات صفة اقتصادية نافعة للأطراف الخارجية المعنية ذات السلطة والموارد المحدودة للوصول إلى مثل هذه المعلومات وذلك باستخدام أدوات معينة وتحقيقًا لأهداف معينة.

ثانيا:أنواع الإفصاح.

يمكن تصنيف الإفصاح من حيث الأهداف إلى ما يلي:

1ـ الإفصاح الكامل.

ويقصد به شمولية التقارير المالية وأهمية تغطيتها لأي معلومات ذات أثر محسوس على القارئ و أهمية هذا النوع من الإفصاح من أهمية القوائم المالية كمصدر أساسي يعتمد عليه في اتخاذ القرارات ولا يقتصر الإفصاح على الحقائق حتى نهاية الفترة المحاسبية بل يمتد إلى بعض الوقائع اللاحقة لتواريخ القوائم المالية والتي لها تأثير على مستخدميها.

2ـ الإفصاح العادل.

ويهدف إلى الرعاية المتوازنة لاحتياجات جميع الأطراف المالية إذ يتوجب إخراج القوائم المالية والتقارير بالشكل الذي لا يقدم أو يفضل مصلحة فئة معينة على مصلحة الفئات الأخرى.

3ـ الإفصاح الكافي.

يشمل تحديد الحد الأدنى الواجب توفيره من المعلومات المحاسبية في القوائم المالية ويمكن ملاحظة أن مفهوم الحد الأدنى غير محدد بشكل دقيق إذ يختلف حسب الاحتياجات والمصالح بالدرجة الأولى كونه يؤثر تأثيراً مباشراً في اتخاذ القرار فضلا عن أنه يتبع للخبرة التي يتمتع بها الشخص المستفيد .

4ـ الإفصاح الملائم.

هو الإفصاح الذي يراعي حاجة مستخدمي البيانات وظروف المنشأة وطبيعة نشاطها إذ أنه ليس من المهم فقط الإفصاح عن المعلومات المالية بل الأهم أن تكون ذات قيمة ومنفعة بالنسبة لقرارات المستثمرين والدائنين وتتناسب مع نشاط المنشأة وظروفها الداخلية.

5ـ الإفصاح الوقائي.

إن الإفصاح عن المعلومات المحاسبية بالشكل الذي يجعل التقارير المالية غير مضللة لمستخدميها وخاصة المستثمر منهم حيث يهدف هذا النوع من الإفصاح إلى حماية المجتمع المالي و يسمى بالإفصاح الوقائي (التقليدي) و يتطلب الكشف عن الأمور الآتية:

ـ السياسة المحاسبية.
ـ التغير في السياسة المحاسبية.
ـ تصحيح الأخطاء في القوائم المالية.
ـ المكاسب و الخسائر المحتملة.
ـ الارتباطات المالية.
ـ الأحداث اللاحقة.

6ـ الإفصاح التثقيفي.

لقـد ظهر هذه النوع من الإفصاح اثـر تزايد أهمية الملائمة حيث ظهرت المطالبـة بالإفصاح عن المعلومات الملائمة لاتخاذ القرارات كالا فصاح عن مكونات الأصول الثابتة و المخزون السـلعي والإفصاح عن بسياسـة الدارة المتبعة الخاصة بتوزيع الأربـاح و الهياكل التمويلية للمؤسسة.

ثالثا: مقومات الإفصاح المحاسبي.

يمكن إجمال مقومات الإفصاح المحاسـبي التـي تجعل معلوماته ذات ثقة وفائدة سواء في داخل المؤسسة أو خارجها فيما يلي:

1ـ تحديد المستخدم للمعلومة المحاسبية.

إن تحديد المسـتخدم للمعلومة المحاسـبية من شـانه معرفة أو تحديد الخواص التي يجب توفرها في تلك المعلومة من حيث الشـكل و المضمون لان المسـتخدمين للمعلومات المحاسـبية لهم مسـتويات مختلفة في تفسير المعلومات ولهذا كان من الواجب إعداد المعلومات عن طريق إعـداد تقرير واحد وفق نماذج متعـددة من الاحتياجات أو إصـدار تقرير مالي واحد متعدد الأغـراض بحيث يلبي احتياجات المسـتخدمين المحتمـل وجودهم وهذيـن النموذجين مـن الصعب تحقيقهـا فلذلـك من الأفضل إعداد نموذج يفـترض انه يلبي حاجات مسـتخدم معين من بين تلك الفئات وجعله محورا أساسـيا في تحديد أبعـاد الإفصاح بتوليـة العناية للمـلاك الحاليين والمـلاك المحتملين والدائنين.

2ـ تحديد أغراض استخدام المعلومات المحاسبية.

إن تحديد أغراض اسـتخدام المعلومات المحاسـبية من شـانه أن يحقق خاصية الملائمة بحيث يستفيد المستخدم من المعلومة وتكسبه قدرة على التنبؤ وتساعد بعضهم في اتخاذ القرارات.

وعـلى الرغم من أن البيانات المالية لا تفي بكافة احتياجات هؤلاء المسـتخدمين من المعلومـات إلا أن هناك احتياجات مشـتركة لهؤلاء المسـتخدمين فالبيانـات المالية التي تفـي باحتياجات المسـتثمرين الذين يتحملون مخاطر رأس المال سـوف تفي أيضا بمعظم احتياجات المستخدمين الآخرين.

وتقع مسـؤولية إعـداد وعرض البيانـات المالية للمنشـاة بصفة أساسـية عـلى عاتق إدارتها كما تهتـم الإدارة أيضـا بالمعلومات التي تحتويهـا البيانـات الماليـة بالرغم من أنـه يتوافر لهـا الحصول على معلومات ماليـة و إدارية إضافية تمكنها من أداء وظائفها الأساسـية في مجـالات التخطيط واتخاذ القـرارات والرقابة. وتعتبر الإدارة قادرة على تحديد شـكل ومضمون تلـك المعلومات الإضافيـة بحيث تفي باحتياجاتهـا الخاصة مـن المعلومات ويعتبر التقريـر عن مثل تلك المعلومـات الإضافية خارجا عن نطاق هذا الإطار ومع ذلك فالبيانات المالية المنشـورة تعتمد أساسا على المعلومات التي تستخدمها الإدارة عن المركز المالي وتقييم الأداء والتغيرات في المركز المالي للمنشاة.

3ـ تحديد طبيعة المعلومة الواجب الإفصاح عنها.

يتم الإفصاح حاليا بواسطة القوائم المالية التقليدية وهي:

ـ قائمة المركز المالي.
ـ قائمة الدخل.
ـ قائمة الأرباح المحتجزة.
ـ قائمة التغيرات في المركز المالي.
ـ معلومات أساسية ترفق في الملاحظات.

من خلال مـا تقدم نجد انه يجب التركيز عـلي نوعية المعلومات المفصح عنها بدلا من التركيز على جانب كم المعلومات المفصح عنها.

رابعا: الخصائص النوعية للقوائم المالية.

يلـزم قانون سـوق المال الـشركات المتداول أسـهمها في البورصة بضرورة نشر قوائمها المالية و يُعد ذلك ضرورة أساسـية لترشيد قرارات المسـتثمرين حيث يمكن القول إن قـراءة الميزانية هي أولى خطوات الشفافية ومفتاح القرار الاستثماري السليم وبدون ذلك تصبح العملية الاستثمارية في مجملها عملية غامضة قائمة على التكهنات والشائعات ومـن هنا تأتي أهمية الإفصاح المحاسـبي كسـبيل للقـراءة الدقيقة لبنـود الميزانية حيث تعتبر وظيفة الإفصاح المحاسـبي من الوظائف الأساسـية للمحاسبة وذلك من خلال ما تنتجه المؤسسة من معلومات مـن خلال قوائمهـا وتقاريرها المالية وحيث تتـم مراجعة ما تتضمنه تلك القوائم بواسـطة مراجع حسـابات خارجي تدعيماً لزيادة كفاءة الإفصاح المحاسـبي نظرا لأن تقرير مراجع الحسابات يعتبر أحد أهم التقارير المالية المنشـورة لما يتضمنـه من معلومات قد لا تفصح عنها القوائم المالية.

وتعتبر القوائم المالية الشكل الأكثر شيوعاً لتوفير المعلومات اللازمة للاسـتخدام على نطاق عام وتعد هذه القوائم طبقاً لمعايير المحاسـبة المتعارف عليها التي تصدرها الجمعيات المهنية والهيئات المشرفة على سـوق رأس المال أو تتضمنها قوانين الشركات في بعض الأحيان و هي:

ا- قائمة المركز المالي.
ب - قائمة الدخل.
ج - قائمة مصادر الأموال واستخداماتها.
د- قائمة التدفق النقدي.
هـ- قائمة التغيرات في حقوق الملكية.

خامسا: أساليب وطرق الإفصاح.

يوجد العديد من وسائل وطرق الإفصاح المحاسبي والتي يمكن أن تساعد مستخدمي المعلومات على فهمها واتخاذ القرار الصحيح وتتوقف المفاضلة بين طريقة وأخرى على طبيعة المعلومات المطلوبة وأهميتها النسبية وفيما يلي أكثر هذه الطرق شيوعاً في الاستخدام.

1- الإفصاح من خلال القوائم المالية : حيث يتم ظهور المعلومات الأساسية في صلب القوائم المالية بطريقة تساعد على الإفصاح من حيث شكل وترتيب هذه القوائم وعلى سبيل المثال قائمة المركز المالي تظهر بنود أصول وخصوم المنشأة وكذلك حقوق الملكية ويمكن الإفصاح عن العلاقات الملائمة بإعادة ترتيب تبويب بنود الأصول والخصوم إلى أصول ثابتة ومتداولة وخصوم ثابتة ومتداولة أو أصول نقدية وغير نقدية وخصوم نقدية وغير نقدية أو تطرح الخصوم المتداولة من الأصول المتداولة للوصول إلى رأس المال العامل إلى غير ذلك من طرق التبويب.
2- استخدام المصطلحات الواضحة والمتعارف عليها : مم لا شك فيه أن استخدام المصطلحات الواضحة ومقدار التفصيل في المعلومات لا يقل أهمية عن الإفصاح في صلب القوائم المالية السابق الإشارة إليها ويجب أن تستخدم المصطلحات التي تعبر عن المعنى الدقيق والمعروف جيدا لدى مستخدمي المعلومات مع مراعاة توحيد المصطلحات لنفس المعاني في جميع التقارير حتى يستفيد مستخدم المعلومات منها وإلا أصبح الإفصاح مضلل في حالة حدوث عكس ذلك.
3- المعلومات بين الأقواس : ويتم ذلك في صلب القوائم المالية في حالة بعض البنود التي يتعذر فهمها من عناوينها فقط دون إسهاب وتطويل لذلك يمكن شرح مثل هذه البنود كملاحظات مختصرة بين الأقواس مثل طريقة تقييم بند معين / الأصول المقيدة برهن أو إجراء شرح مختصر والى غير ذلك من الملاحظات.
4- الملاحظات والهوامش: تعتبر وسيلة الملاحظات والهوامش من وسائل الإفصاح الهامة لما توفره من معلومات قد يصعب توفيرها في صلب القوائم المالية إلا أنه لا يجوز الاعتماد عليها بدرجة كبيرة في الإفصاح عوضا عن القوائم المالية.
5- التقارير والجداول الملحقة: وتستخدم هذه الوسيلة لإظهار بعض المعلومات الإضافية والتفاصيل التي يصعب بل يستحيل إظهارها في صلب القوائم المالية وقد تستخدم هذه الوسيلة ضمن وسيلة الملاحظات والهوامش أو في صورة تقارير مستقلة وغير ذلك.
6- تقرير رئيس مجلس الإدارة وهذا التقرير يعتبر متمما للقوائم المالية والذي بدونه يصعب تفسير الكثير من معلومات القوائم المالية.
7- تقرير المراجع الخارجي ويعتبر تقرير المراجع الخارجي وسيلة إفصاح ثانوية وليست وسيلة رئيسية حيث أنه يمكن أن يؤكد إفصاح أو عدم إفصاح معلومات معينه عن طريق الملاحظات أو التحفظات التي يذكرها المراجع في تقريره.

المبحث الثاني - الإطار الفكري لإعداد وعرض البيانات المالية.

مستخدمي البيانات المالية واحتياجاتهم من المعلومات.

- يشمل مستخدمي البيانات المالية المستثمرين الحاليين والمتوقعين والعاملين والمقرضين والموردين وغيرهم من الدائنين التجاريين والعملاء والجهات الحكومية والجمهور بصفة عامة. ويستخدم هؤلاء البيانات المالية للوفاء ببعض احتياجاتهم المتنوعة من المعلومات.

– على الرغم من أن البيانات المالية لا تفي بكافة احتياجات هؤلاء المستخدمين من المعلومات إلا أن هناك احتياجات مشتركة لهؤلاء المستخدمين. فالبيانات المالية التي تفي باحتياجات المستثمرين الذين يتحملون مخاطر رأس المال - سوف تفي أيضا بمعظم احتياجات المستخدمين الآخرين.

– تقع مسؤولية إعداد وعرض البيانات المالية للمنشاة بصفة أساسية على عاتق إدارتها. كما تهتم الإدارة أيضا بالمعلومات التي تحتويها البيانات المالية بالرغم من أنه يتوافر لها الحصول على معلومات مالية و إدارية إضافية تمكنها من أداء وظائفها الأساسية في مجالات التخطيط واتخاذ القرارات والرقابة. وتعتبر الإدارة قادرة على تحديد شكل ومضمون تلك المعلومات الإضافية بحيث تفي باحتياجاتها الخاصة من المعلومات. ويعتبر التقرير عن مثل تلك المعلومات الإضافية خارجا عن نطاق هذا الإطار، ومع ذلك فالبيانات المالية المنشورة تعتمد أساسا على المعلومات التي تستخدمها الإدارة عن المركز المالي وتقييم الأداء والتغيرات في المركز المالي للمنشاة.

أهداف البيانات المالية.

– تهدف البيانات المالية إلى تقديم معلومات عن الوضع المالي ونتائج الأعمال والتغير في الوضع المالي للمنشاة تفيد العديد من الفئات التي تستخدمها في اتخاذ القرارات الاقتصادية.
– تلبي البيانات المالية المعدة لهذا الغرض الاحتياجات المشتركة لمعظم المستخدمين. ومع ذلك فإن تلك البيانات لا توفر كافة المعلومات التي قد يحتاجها المستخدمين في اتخاذ القرارات الاقتصادية. وذلك راجع إلى حد كبير أن تلك البيانات تعكس الآثار المالية للأحداث التاريخية ولا توفر بالضرورة معلومات غير مالية.
– تظهر البيانات المالية أيضا نتائج تقييم كفاءة الإدارة في القيام بواجباتها وتساعد في محاسبتها عن الموارد المؤتمنة عليها. ويهدف المستخدمون الذين يرغبون في تقييم كفاءة الإدارة ومحاسبتها إلى اتخاذ قرارات اقتصادية قد تشمل على سبيل المثال على قرارات

للاحتفاظ باستثماراتهم في المنشأة أو بيعها أو ما إذا كان من الضروري تغيير الإدارة.

المركز المالي ونتائج الأعمال والتغيرات في المركز المالي.

المركز المالي.

ـــ إن العناصر التي ترتبط مباشرة بقياس المركز المالي هي الموجودات والمطلوبات وحقوق الملكية.

ـ توضح تعريفات الموجودات والمطلوبات خصائصها الرئيسية دون أن تحاول تحديد المقاييس التي يجب استيفائها قبل الاعتراف بها في الميزانية.

ـ عند تحديد ما إذا كان البند مستوفيا لتعريف الموجودات أو المطلوبات أو حقوق الملكية فإن الأمر يتطلب الالتفات إلى جوهره و واقعه الاقتصادي وليس إلى مجرد شكله القانوني.

ـــ يمكن أن تحتوي الميزانية المعدة حسب المعيار المحاسبي الدولي الحالي على بنود لا تستوفي تعريفات الموجودات أو المطلوبات ولا تعرض ضمن حقوق الملكية.

الدخل.

ـ يشمل تعريف الدخل كل من الإيرادات والمكاسب. ينشأ الإيراد من الأنشطة الاعتيادية للمنشأة ويشار إليه بمسميات مختلفة مثل المبيعات والرسوم و الفوائد وأرباح الأسهم وإيراد حقوق الامتياز والإيجار.

ـ تمثل المكاسب البنود الأخرى التي تستوفي تعريف الدخل سواء كانت ناتجة عن أنشطة المنشأة الاعتيادية أم لا. وتتمثل المكاسب زيادة قي المنافع الاقتصادية وبالتالي لا تختلف طبيعتها عن الإيراد. لذا طبقا للإطار الحالي لا تعتبر المكاسب عنصرا مستقلا من عناصر البيانات المالية.

ـ تشمل المكاسب مثلا تلك التي تنشأ عن التخلص من موجودات غير متداولة. كما يشمل تعريف الدخل أيضا المكاسب غير المحققة، فمثلا تلك التي تنشأ من إعادة تقييم الأوراق المالية التي لها سوقا رائجة وتلك التي تنشأ من ارتفاع في القيمة الدفترية لموجودات طويلة الأجل. وعندما يعترف بالمكاسب في قائمة الدخل فإنه عادة ما يتم إظهارها بشكل منفصل، إذ تفيد تلك المعلومات لغرض اتخاذ قرارات اقتصادية. ويتم إظهار المكاسب عادة بالصافي بعد استبعاد المصاريف المتعلقة بها.

ـ قد ينطوي الدخل على الحصول على العديد من أنواع الموجودات أو تعزيز قيمتها، ومن أمثلة تلك النقدية أو المدينين والبضاعة والخدمات المحصلة في مقابل سلع وخدمات مقدمة. ويمكن أن ينشأ الدخل أيضا نتيجة للوفاء بمطلوبات. فمثلا يمكن للمنشاة أن تقدم سلع وخدمات لأحد الدائنين للوفاء بالتزامها بسداد قرض مستحق.

المصروفات.

ـ يشمل تعريف المصروفات الخسائر وكذلك تلك المصروفات التي تنشا من الأنشطة الاعتيادية للمنشاة مثل تكلفة المبيعات والأجور والاستهلاك، وعادة تأخذ شكل تدفق خارج أو نفاذ للموجودات مثل النقدية والنقدية المعادلة والمخزون والموجودات التشغيلية المعمرة.

ـــ تمثل الخسائر تلك البنود الأخرى التي تستوفي تعريف المصروفات سواء أكانت ناتجة عن الأنشطة الاعتيادية للمنشأة أم لا. وتنطوي الخسائر على انخفاض في المنافع الاقتصادية وبالتالي لا تختلف في طبيعتها عن المصروفات الأخرى لذا فإنه طبقا للإطار الحالي لا تعتبر الخسائر عنصرا مستقلا من عناصر البيانات المالية.

ـ تشمل الخسائر على سبيل المثال تلك التي تنشأ من كوارث مثل الحرائق

والفيضانات وكذلك تلك التي تنشأ من التخلص من موجودات غير متداولة. ويشمل تعريف المصروفات أيضا الخسائر غير المحققة، مثال ذلك، تلك التي تنشأ من آثار الارتفاع في سعر صرف العملة الأجنبية المتعلقة بالقروض التي تقترضها المنشأة بتلك العملة. وعندما يتم الاعتراف بالخسائر في قائمة الدخل فإنه عادة ما تظهر بشكل منفصل لأن العلم بها يفيد لغرض اتخاذ القرارات الاقتصادية. ويتم إظهار الخسائر عادة بالصافي بعد استبعاد الدخل المتعلق بها.

الاعتراف بالمطلوبات.

ـــ يعترف ببند المطلوبات في الميزانية عندما يكون من المحتمل أن تتدفق لخارج المنشاة موارد ذات منافع اقتصادية نتيجة الوفاء بالالتزام، وأن قيمة هذا الالتزام قابلة للقياس بشكل موثوق به. وفي التطبيق العملي لا يعترف عادة في البيانات المالية بالالتزامات عن عقود لم يكتمل تنفيذها من كلا الطرفين (مثل مطلوبات عن بضاعة تم طلبها ولم يتم تسلمها). إلا أنه يمكن أن تكون تلك مستوفاة لتعريف المطلوبات وقد تكون مؤهلة للاعتراف بها إذا استوفت مقياس الاعتراف في ظل تلك الظروف. وفي هذه الحالة يستتبع الاعتراف بالمطلوبات الاعتراف بالموجودات وما يرتبط بها من مصروفات.

الاعتراف بالدخل.

ـــ يعترف بالدخل في قائمة الدخل عندما تنتج زيادة في المنافع الاقتصادية المستقبلية المرتبطة بزيادة الموجودات أو انخفاض المطلوبات والتي يمكن قياسها بشكل موثوق به. وذلك يعني في الواقع أن الاعتراف بالدخل يتم بشكل متزامن مع الاعتراف بزيادة الموجودات أو انخفاض المطلوبات(فمثلا صافي الزيادة في الموجودات أو انخفاض في المطلوبات التي تنشأ من بيع سلع أو خدمات، أو انخفاض في المطلوبات نتيجة التنازل عن ديون يستحق سدادها).

ـ الإجراءات التي تتبـع في الحياة العملية عادة للاعتراف بالدخل هي تطبيق لمعايير التحقق الواردة بالإطار الحالي، مثال ذلك اشـتراط ضرورة اكتسـاب الإيـراد. ولكن تتوجه تلك الإجـراءات عموما إلى أن تقتصر بنـود الدخل التي يتم الاعتراف بها على تلك البنود التي يمكن قياسها بشكل موثوق به، وتتوافر لها درجة كافية من التأكد.

الاعتراف بالمصروف.

ـ يعترف بالمصروف في قائمة الدخل عندما ينتج انخفاض في المنافع الاقتصادية المرتبطة بانخفاض الموجودات أو زيادة في المطلوبات والتي يمكن قياسها بشكل متزامن مع الاعتراف بزيادة المطلوبات أو انخفاض الموجودات (فمثلا استحقاق مستحقات العاملين أو استهلاك المعدات). ـــ يعترف بالمصروفات في قائمة الدخل على أسـاس الارتباط المباشر بين التكلفة التي تم تحملها وبين اكتسـاب أحـد بنود الدخل. وهذه العملية التي يطلق عليها عموما مقابلة التكاليف بالإيرادات تسـتلزم اعترافا متلازما أو مشـتركا بالإيرادات والمصروفات التي نتجت مباشرة أو بالمشـاركة مـن نفس العمليات أو من غيرها مـن الأحداث. فمثلا يعترف بالمكونات المختلفة للمصروفات التي تشكل تكلفة المبيعات في نفس الوقت الذي يتم فيه الاعتراف بالدخل الناتج عن بيع السلع. إلا أن تطبيق مبدأ المقابلة في ظل الإطار الحالي لا يسمح بالاعتراف ببنود في الميزانية لا تستوفي تعريف الموجودات أو المطلوبات.

ـــ عند توقع نشـوء منافع اقتصادية خلال عدة فـترات فإنه يتم الاعـتراف بالمصروفـات في قائمـة الدخل بنـاء على إجـراءات توزيع منطقية ومتسـقة. ويعتبر ذلك الإجراء ضروريا عادة لأغراض الاعتراف بالمصروفات المتعلقة باستخدام موجودات مثل التجهيزات والإنشاءات والمعدات وشـهرة المحل والبراءات والعلامات التجارية، والذي يطلق عليه في تلك الحالات مصروف اسـتهلاك أو تخفيض (إطفاء). وتهدف إجـراءات التوزيع تلك إلى الاعتراف بالمصروفات في الفترة المحاسـبية التي خلالها استخدام أو استنفاذ المنافع الاقتصادية المتعلقة بها.

ـــ يعترف بالمـصروف على الفور في قائمة الدخـل عندما لا يحقق الإنفـاق منافع اقتصادية مسـتقبلية أو عندما، والى الحد الذي تصبح عنده المنافع الاقتصادية المسـتقبلية غير مؤهلة للاعتراف بها كأصل في الميزانية.

ـ يعـترف أيضا بالمصروف في قائمة الدخل في الحالات التي ينشـأ عنها بند مـن بنود المطلوبات بدون أن يتـم الاعتراف به كأصل مثل الالتزام الناشئ من كفالة المنتجات المباعة.

قياس عناصر البيانات المالية.

ـ القياس هو عملية تحديد القيم المالية التي يجب أن تسجل بها عناصر البيانات المالية وتظهر في الميزانية وقائمة الدخل.ويتضمن ذلك اختيار أساس معين للقياس .

ـ تطبق عدة أسـس قياس مختلفـة وبدرجات وتداخلات متباينة في البيانات المالية.

ـــ يعتبر أسـاس التكلفة التاريخية هو الأسـاس الأكثر شـيوعا في الاستخدام من جانب المنشات لغرض إعداد البيانات المالية. وعادة ما يتم دمج هذا الأسـاس مع أسس القياس الأخرى. فمثلا يظهر المخزون عـادة بالتكلفة أو صـافي القيمة البيعية أيهما أقـل. كما يمكن إظهار الاسـتثمارات في الأوراق الماليـة بالقيمة السـوقية، وتقوم المطلوبات المرتبطـة بخطط تقاعد العاملين بقيمتها الحالية. يضاف إلى ذلك، فإن بعض المنشـات تقوم باستخدام أساس التكلفة الجارية استجابة لعدم قدرة نموذج التكلفة التاريخية المحاسـبي عـلى التعامل مع آثار تغير أسعار الموجودات غير المالية.

المبحث الثالث - معيار المحاسبة الدولي رقم (1) عرض القوائم المالية.

عرض البيانات المالية.

ـــ البيانات الماليـة هي عرض مالي هيكلي للمركز المالي للمنشـأة والعمليات التي تقوم بها،والهدف مـن البيانات المالية ذات الأغراض العامة تقديم المعلومات حول المركز المالي للمنشأة وأداؤها وتدفقاتها النقدية مما هو نافع لسلسـلة عريضة من المستخدمين عند اتخاذهم قرارات اقتصادية، كما تبين البيانات المالية نتائج تولي الإدارة للمصادر الموكلة لها، ولتحقيق هذا الهدف تقدم البيانات المالية معلومات حول ما يلي:

- موجودا ت المنشأة.
- مطلوبات المنشأة.
- حقوق المساهمين.
- دخل ومصروفات المنشأة بما في ذلك الأرباح والخسائر.

التدفقات النقدية.

السياسات المحاسبية.

ـ يجب على الإدارة اختيار وتطبيق السياسـات المحاسـبية لمنشأة بحيث تمتثـل البيانات الماليـة لكافة المتطلبات الخاصـة بكل معيار محاسبة دولي منطبق عليها وبتفسير لجنة التفسيرات الدائمة.

ـ السياسـات المحاسبية هي المبادئ والأسـس والأعراف والقواعد والممارسـات المحددة التي تتبناها المنشـأة في إعداد وعرض البيانات المالية.

ـ في حالة عدم وجود معيار محاسـبة دولي محدد وتفسـير للجنة التفسـيرات الدائمة يجب على الإدارة استخدام حكمها لتطوير سياسة محاسـبية توفر أكـثر المعلومات فائدة لمسـتخدمي البيانـات المالية للمنشأة.

المعلومات المقارنة.

ـ ما لم يتطلب أو يسمح معيار دولي بخلاف ذلك يجب الإفصاح عن المعلومات المقارنة فيما يتعلق بالفترة السابقة لكافة المعلومات الضرورية في البيانات المالية، ويجب إدخال المعلومات المقارنة في المعلومات السردية والوصفية عندما تكون لازمة لفهم البيانات المالية للفترة الحالية.

ـ في بعض الحالات تبقى المعلومات السردية الواردة في البيانات المالية للفترة/ الفترات السابقة مناسبة في الفترة الحالية، فعلى سبيل المثال يتم الإفصاح في الفترة الحالية عن تفاصيل نزاع قانوني لم تكن نتيجته مؤكدة في تاريخ آخر ميزانية عمومية ولم يتم حله بعد، ومستخدمو البيانات المالية يستفيدون من المعلومات التي تفيد بوجود شك في تاريخ آخر ميزانية عمومية والخطوات التي اتخذت خلاك الفترة لإزالة الشك.

ـ عندما يتم تعديل عرض أو تصنيف بنود في البيانات المالية يجب إعادة تصنيف المبالغ المقارنة إلا إذا كان ذلك غير عملي وذلك لضمان إمكانية المقارنة مع الفترة الحالية، ويجب الإفصاح عن طبيعة ومبلغ وسبب أي إعادة تصنيف، وعندما تكون إعادة تصنيف المبالغ المقارنة غير عملية يجب على المنشأة الإفصاح عن سبب عدم إعادة التصنيف وطبيعة التغييرات التي كانت ستتم لو أن المبالغ تم إعادة تصنيفها.

ـ قد توجد ظروف لا يكون فيها إعادة تصنيف المعلومات المقارنة عملية لتحقيق المقارنة مع الفترة الحالية، فعلى سبيل المثال قد لا تكون هناك بيانات جمعت في الفترة / الفترات السابقة بطريقة تسمح بإعادة التصنيف، وقد لا يكون عمليا إعادة إحياء المعلومات، ففي هذه الظروف يتم الإفصاح عن طبيعة التسويات للمبالغ المقارنة التي كانت ستتم، ويتناول معيار المحاسبة الدولي رقم (8) التسويات المطلوبة للمعلومات المقارنة بعد حدوث تغيير في السياسات المحاسبية التي تطبق بأثر رجعي.

تحديد البيانات المالية.

ـ يجب تحديد البيانات المالية بشكل واضح وتمييزها عن المعلومات الأخرى في نفس الوثيقة المنشورة.

ـ تنطبق معايير المحاسبة الدولية فقط على البيانات المالية وليس على المعلومات الأخرى المقدمة في تقرير سنوي أو في وثيقة أخرى، وعلى ذلك من المهم أن يستطيع المستخدمون التفرقة بين المعلومات المعدة باستخدام معايير المحاسبة الدولية والمعلومات الأخرى التي من الممكن أن تكون مفيدة للمستخدمين إلا أنها ليست موضوعا للمعايير.

ـ يجب تحديد كل جزء من أجزاء البيانات المالية بوضوح، علاوة على ذلك يجب عرض المعلومات التالية بشكل بارز وإعادتها عندما تكون ضرورية لفهم المعلومات المقدمة بشكل صحيح.

الميزانية العمومية.

المعلومات التي يجب عرضها في صلب الميزانية العمومية.

ـ يجب أن تحتوي الميزانية العمومية في صلبها كحد أدنى على البنود التي تعرض المبالغ التالية.

أ ـ الممتلكات والتجهيزات والمعدات.
ب ـ الموجودات غير الملموسة.
ج ـ الموجودات المالية.
د ـ الاستثمارات التي تمت محاسبتها باستخدام أسلوب حقوق الملكية.
هـ ـ المخزون.
و ـ الذمم التجارية المدينة والذمم المدينة الأخرى.
ز ـ النقد والنقد المعادل.
ح ـ الذمم التجارية الدائنة والذمم الدائنة الأخرى.
ط ـ المطلوبات والموجودات الضريبية حسبما يتطلب معيار المحاسبة الدولي رقم-12 ضرائب الدخل.
ى ـ المخصصات.
ك ـ المطلوبات غير المتداولة المنتجة للفائدة.
ل ـ حصة الأقلية.
م ـ رأس المال الصادر والاحتياطيات.

ـ يجب عرض البنود والعناوين والمجاميع الفرعية في صلب الميزانية العمومية عندما يتطلب معيار محاسبة دولي ذلك، أو عندما يكون هذا العرض ضرورياً لإجراء عرض عادل للمركز المالي للمنشأة.

ـ هذا المعيار لا يبين الترتيب أو الشكل الذي تقدم به البنود.

ـ إن الحكم فيما إذا كانت بنود إضافية معروضة بشكل مستقل هو بناء على تقييم ما يلي :

أ ـ طبيعة وسيولة الموجودات وماديتها التي تؤدي في معظم الحالات لعرض مستقل للشهرة والموجودات الناجمة عن مصروفات التطوير والموجودات النقدية وغير النقدية والموجودات المتداولة وغير المتداولة.

ب ـ عمل ا لبنود ضمن المنشأة مؤديا على سبيل المثال إلى عرض مستقل للموجودات التشغيلية والمالية والمخزونات والذمم المدينة والموجودات النقدية والنقدية المعادلة.

ج ـ مبالغ وطبيعة وتوقيت المطلوبات مما يؤدي على سبيل المثال إلى عرض مستقل المطلوبات ومخصصات منتجة للفائدة وغير منتجة للفائدة مصنفة على أنها متداولة أو غير متداولة إذا كان ذلك مناسبا.

ـ في بعض الأحيان تكون الموجودات والمطلوبات التي تختلف في طبيعتها أو عملها خاضعة لأسس قياس مختلفة، فعلى سبيل المثال يمكن أن تسجل فئات معينة من الممتلكات والتجهيزات والمعدات بمقدار تكلفتها أو حسب مبالغ أعيد تقييمها بموجب معيار

المحاسبة الدولي رقم 16، ويوحي استخدام أسس قياس مختلفة لفئات مختلفة من الموجودات أن طبيعتها أو عملها مختلف وأنه لذلك يجب عرضها كبنود مستقلة.

المعلومات التي تعرض إما في صلب الميزانية العمومية أو في الإيضاحات.

- يجب على المنشأة أن تفصح إما في صلب الميزانية العمومية أو في إيضاحات الميزانية العمومية عن تصنيفات فرعية أخرى للبنود المعروضة مصنفة بشكل مناسب لعمليات المنشأة،ويجب أن يتم تصنيف كل بند إلى أنواع فرعية حينما يكون ذلك مناسباً حسب طبيعته، ويجب الإفصاح بشكل مستقل عن المبالغ الدائنة والمدينة للمنشأة الأم والشركات التابعة والزميلة والأطراف الأخرى ذات العلاقة.
- يعتمد التفصيل الوارد في التصنيف الفرعي إما في صلب الميزانية العمومية أو في الإيضاحات على متطلبات معايير المحاسبة الدولية وعلى حجم وطبيعة وعمل المبالغ ذات الصلة.
- يجب على المنشأة أن تفصح عما يلي إما في صلب الميزانية العمومية أو في الإيضاحات:

1 ـ بالنسبة لكل نوع من رأس المال المساهم:

- عدد الأسهم المصرح بها.
- عدد الأسهم الصادرة والمدفوعة بالكامل، وعدد الأسهم الصادرة ولكنها ليست مدفوعة بالكامل.
- القيمة الاسمية لكل سهم أو أن الأسهم ليس لها قيمة اسمية.
- مطابقة لعدد الأسهم غير المسددة في بداية ونهاية السنة.
- الحقوق والأفضليات والقيود الخاصة بتلك الفئة بما في ذلك القيود على توزيع أرباح الأسهم وتسديد رأس المال.
- أسهم المنشأة التي تملكها المنشأة نفسها أو شركاتها الفرعية أو شركاتها الزميلة.
- الأسهم المحتفظ بها لإصدارها بموجب الخيارات وعقود المبيعات بما في ذلك الشروط والمبالغ.

2 ـ وصف لطبيعة وغرض كل احتياطي ضمن حقوق المالكين.

3 ـ مبلغ أرباح الأسهم الموزعة المقترحة أو المصرح عنها بعد تاريخ الميزانية العمومية لكن قبل المصادقة على إصدار البيانات المالية.

4 ـ مبلغ أية أرباح أسهم تفضيلية متراكمة لم يتم الاعتراف بها.

يجب على المنشأة التي هي بدون رأسمال مساهم مثل شركة الأشخاص الإفصاح عن معلومات معادلة للمعلومات المطلوبة أعلاه مبينة الحركات أثناء الفترة في كل فئة من حصة الملكية والحقوق والأفضليات والقيود لكل فئة من حصة الملكية.

قائمة الدخل.

المعلومات التي تقدم في صلب قائمة الدخل.

ـ يجب أن يشمل قائمة الدخل كحد أدنى البنود التي تعرض المبالغ التالية:

أ ـ الإيراد.

ب ـ نتائج الأنشطة التشغيلية.

ج ـ تكاليف التمويل.

د ـ حصة الشركات الزميلة والمشاريع المشتركة في الأرباح والخسائر التي تمت محاسبتها باستخدام طريقة حقوق الملكية.

هـ ـ المصروف الضريبي.

و ـ الربح أو الخسارة من الأنشطة العادية.

ز ـ البنود غير العادية.

ح ـ حصة الأقلية.

ط ـ صافي الربح أو الخسارة للفترة.

يجب عرض البنود الإضافية والعناوين و المجاميع الفرعية في صلب قائمة الدخل حينما يتطلب ذلك معيار محاسبة دولي، أو عندما يكون هذا العرض ضرورياً من أجل العرض العادل للأداء المالي للمنشأة.

المعلومات التي يجب عرضها في صلب قائمة الدخل أو في الإيضاحات.

ـ يجب على المنشأة أن تعرض إما في صلب قائمة الدخل أو في إيضاحات قائمة الدخل تحليلاً للمصروفات باستخدام تصنيف مبني إما على طبيعة المصروفات أو عملها ضمن المنشأة.

ـ يتم إجراء تقسيم فرعي لبنود المصروفات من أجل إبراز سلسلة من أجزاء الأداء المالي التي قد تختلف من ناحية الثبات وإمكانية الربح أو الخسارة وإمكانية التنبؤ بها.

ـ يجب على المنشأة أن تفصح إما في صلب قائمة الدخل أو في الإيضاحات عن مبلغ ربح السهم المعلن أو المقترح للفترة التي تغطيها البيانات المالية.

التغيرات في حقوق المساهمين.

ـ يجب على المنشأة أن تعرض كجزء مستقل لبياناتها المالية قائمةً تظهر ما يلي:

1 ـ صافي الربح أو الخسارة للفترة.

2 ـ كل بند من بنود الدخل أو المصروف أو الربح أو الخسارة التي يتم الاعتراف بها حسب متطلبات المعايير الأخرى بشكل مباشر في حقوق المساهمين وإجمالي هذه البنود.

3 ـ الأثر التراكمي للتغيرات في السياسة المحاسبية وتصحيح الأخطاء الرئيسة التي تم التعامل معها بموجب المعالجات القياسية في معيار المحاسبة الدولي رقم (8).

إضافة إلى ذلك يجب على المنشأة أن تعرض ضمن هذه القائمة أو في الإيضاحات ما يلي:

4 ـ المعاملات الرأسمالية مع المالكين والتوزيعات للمالكين.

5ـ رصيد الربح أو الخسارة المتراكمة في بداية الفترة وفي تاريخ الميزانية العمومية.

6ـ الحركات خلال الفترة.

7ـ مطابقة بين القيمة الدفترية لكل فئة من الأسهم العادية لرأس المال وعلاوة الإصدار وكل احتياطي في بداية ونهاية الفترة مبينة بشكل مستقل كل حركة.

ـــ تعكس التغيرات في حقوق مساهمي منشأة بين تاريخين للميزانية العمومية الزيادة أو الانخفاض في صافي موجوداتها أو ثروتها خلال الفترة بموجب مبادئ القياس المعينة التي تم تبنيها أو الإفصاح عنها في البيانات المالية، وفيما عدا التغيرات الناجمة عنه عمليات مع المساهمين مثل مساهمات وأرباح رأس المال يمثل التغير الكلي في حقوق المساهمين إجمالي الأرباح والخسائر التي ولدتها أنشطة المنشآت خلال الفترة.

عرض السياسات المحاسبية.

ـ يجب أن يبين القسم الخاص بالسياسات المحاسبية في إيضاحات البيانات المالية ما يلي:

أ ـ أساس (أسس) القياس المستخدمة في إعداد البيانات المالية:
ب ـ كل سياسة محاسبية محددة لازمة للفهم المناسب للبيانات المالية.

ـــ بالإضافة إلى السياسات المحاسبية المحددة المستخدمة في البيانات المالية من المهم بالنسبة للمستخدمين أن يكونوا على علم بأساس (أسس) القياس المستخدمة (التكلفة التاريخية، التكلفة الحالية، القيم الممكن تحقيقها، القيمة العادلة أو القيمة الحالية) لأنها تشكل الأساس الذي تم بموجبه إعداد البيانات المالية بكاملها ' وعندما يكون هناك أكثر من أساس قياس واحد يستخدم في البيانات المالية، مثال ذلك عندما يتم إعادة تقييم موجودات معينة غير متداولة فإنه يكفي تقديم دلالة على فئات الموجودات والمطلوبات التي طبق عليها كل أساس للقياس.

ـــ عند تقرير ما إذا كان يجب الإفصاح عن سياسة محاسبية محددة، يجب على الإدارة النظر فيما إذا كان الإفصاح سيساعد المستخدمين في فهم الطريقة التي تعكس بها المعاملات والأحداث في الأداء والمركز المالي المقدم عنهما التقرير.

ـ يجب على كل منشأة النظر في طبيعة عملياتها والسياسات التي يتوقع المستخدم أن يتم الإفصاح عنها لذلك النوع من المنشأة، فعلى سبيل المثال يتوقع من جميع منشات القطاع الخاص الإفصاح عن سياسات محاسبية لضرائب الدخل بما في ذلك الضرائب المؤجلة والموجودات الضريبية، وعندما يكون للمنشأة عمليات أو معاملات أجنبية هامة في العملات الأجنبية فإنه يتوقع الإفصاح عن السياسات المحاسبية للاعتراف بأرباح وخسائر الصرف الأجنبي والتحوط لهذه الأرباح والخسائر، وفي البيانات المالية الموحدة يتم الإفصاح عن السياسة المستخدمة لتحديد الشهرة وحصة الأقلية.

المبحث الرابع - الدراسة الميدانية على القوائم المالية للشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) لعام ٢٠٠٩ واختبارات الفروض.

لاختبار فرضيات البحث نقوم فيما يلي بدراسة القوائم المالية المنشورة للشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) عن عام 2009 ومقارنتها بما ورد بمعيار المحاسبة الدولي الأول لعرض البيانات المالية.

قائمة المركز المالي الموحدة (بالألف ريال).

الموجودات			
الموجودات المتداولة			
نقدية وشبه النقدية	4	56377434	51027586
مدينون	5	20533768	16104204
مخزون	6	22769990	24359750
مصاريف مدفوعة مقدما وموجودات متداولة أخرى	7	5782492	3963434
مجموع الموجودات المتداولة		106463684	95454974
الموجودات غير المتداولة			
استثمارات	8	8298741	8792981
ممتلكات وآلات ومعدات	9	157539066	141440177
موجودات غير ملموسة	10	21901313	22979090
موجودات غير متداولة أخرى	11	2658498	2092767
مجموع الموجودات غير المتداولة		190397618	176305015
المطلوبات وحقوق الملكية			
المطلوبات المتداولة			
دائنون	13	13382450	8261246
مطلوبات مستحقة ودائنون آخرون	14	12268388	11864382
قروض بنكية قصيرة الأجل	15	939774	1235542
الجزء المتداول من قرض طويل الأجل	16	5537199	3053274
زكاة مستحقة	17	1720962	2165563
مجموع المطلوبات المتداولة		33848773	26580007
المطلوبات غير المتداولة			
قرض طويل الأجل	16	100537782	88367462
تعويضات الموظفين المستحقة	18	7044485	7339816
مطلوبات غير متداولة أخرى	19	2800062	2831091
مجموع المطلوبات غير المتداولة		110382329	98538369
مجموع المطلوبات		144231102	125118376

حقوق الملكية			
حقوق المساهمين			
رأس المال	20	30000000	30000000
احتياطي نظامي	21	15000000	14702984
احتياطي عام	21	54478089	43652631
أرباح مبقاة		8776707	14576859
مجموع حقوق المساهمين		108254796	102932474
حقوق الأقلية	22	44375404	43709139
مجموع حقوق الملكية		152630200	146641613

ـــ يتطلب معيار المحاسبة الدولي الأول أن تعرض كل شركة الموجودات المتداولة وغير المتداولة والمطلوبات المتداولة وغير المتداولة كفئات مستقلة في صلب الميزانية العمومية وقد التزمت الشركة بعرض الموجودات المتداولة وغير المتداولة والالتزامات المتداولة وغير المتداولة كفئات مستقلة في صلب الميزانية طبقا لمتطلبات المعيار.

ـ يتطلب معيار المحاسبة الدولي الأول أن تعلن المنشاة عن تواريخ الاستحقاق لكل من الموجودات المالية والمطلوبات المالية ولم تلتزم الشركة بالإفصاح عن تواريخ الاستحقاق لكل من الموجودات المالية والمطلوبات المالية وفقا لمتطلبات معيار المحاسبة الدولي رقم 32 ـ الأدوات المالية ـ الإفصاح والعرض حيث تم الاكتفاء بالإفصاح فقط عن القروض طويلة الأجل الواجب سدادها حتى عام 2014 م وكذلك الارتباطات الرأسمالية الخاصة بعقود الإيجار التشغيلية وعقود الإيجار الراسمالى حتى عام 2013 م ولم يتم الإفصاح عن تواريخ استحقاق الموجودات المالية من ذمم تجارية وذمم مدينة أخرى وبذلك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول.

ـــ لم تفصح الشركة بشكل تفصيلي عن المبالغ الدائنة والمدينة للمنشاة الأم والشركات التابعة والزميلة والأطراف الأخرى ذات العلاقة حيث اكتفت بالإيضاح رقم (5) عن مديونية إجمالية تحت مسمى مبالغ مستحقة من الشركاء في المشاريع المشتركة وكذلك بالإيضاح رقم (13) مبلغ دائن اجمالى تحت مسمى مبالغ مستحقة إلى الشركاء في المشاريع المشتركة وبذلك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول.

ـ يتطلب معيار المحاسبة الدولي الأول وجوب الإفصاح عن أسهم المنشاة التي تمتلكها المنشاة نفسها أو شركاتها الفرعية أو شركاتها الزميلة إلا أن الشركة لم تفصح عن ذلك بالتقرير وأفصحت الشركة فقط عن عدد الأسهم التي يتكون منها رأس المال والقيمة الاسمية للسهم وبذلك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول في هذا البند.

ـــ التزمت الشركة بتحليل الذمم المدينة والاحتياطيات وكذلك بتصنيف المخزون طبقا لمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول.

ـ التزمت الشركة عند إعداد بياناتها المالية بالمحاسبة على أساس الاستحقاق حيث يتم الاعتراف بالعمليات والأحداث عند حدوثها كما تحسب الإيرادات في الشركات الزميلة وفقا لطريقة حقوق الملكية.

ـ التزمت الشركة بالإبقاء على عرض وتصنيف البنود في العمليات المالية خلال الفترات السابقة طبقا لمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول.

ـ التزمت الشركة بالإفصاح عن المعلومات المقارنة الخاصة بالفترة السابقة لكافة المعلومات الضرورية في البيانات المالية طبقا لمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول.

السياسات المحاسبية المتبعة عند إعداد القوائم المالية.

1ـ أسس توحيد القوائم المالية.

أفصحت الشركة عن أن القوائم المالية الموحدة تم إعدادها على أساس القوائم المالية للمجموعة المعدلة بحذف الأرصدة والمعاملات الهامة المتداخلة بين شركات المجموعة والشركة التابعة هي منشاة تمتلك فيها شركة سابك بصورة مباشرة أو غير مباشرة استثمارا يزيد عن 50% من رأس المال ويتم إعداد القوائم المالية للشركات التابعة باستخدام سياسات محاسبية مماثلة لتلك المتبعة من قبل شركة سابك.

2ـ العرف المحاسبي.

أفصحت الشركة انه تم إعداد القوائم المالية الموحدة وفقا لمبدأ التكلفة التاريخية فيما عدا الاستثمارات المتاحة للبيع والأدوات المالية المشتقة يتم قياسها بالقيمة العادلة.

3ـ استخدام التقديرات.

أفصحت الشركة عن أن إعداد القوائم المالية الموحدة يتطلب من الإدارة استخدام التقديرات والافتراضات التي قد تؤثر على أرصدة الموجودات والمطلوبات المسجلة وقد تختلف النتائج الفعلية عن هذه التقديرات.

4ـ الاستثمارات.

ـ الاستثمارات في الشركات الزميلة.

أفصحت الشركة عن أن الاستثمارات تظهر بنسبة 20% أو أكثر في رأس مال الشركات المستثمر فيها عدا الشركات التابعة ويتم إثبات حصة المجموعة في النتائج المالية لهذه الشركات المستثمر فيها في قائمة الدخل الموحدة.

ـ الاستثمارات المتاحة للبيع.

أفصحت الشركة عن أنها تمثل الاستثمارات في الموجودات المالية المشتراه لغير أغراض المتاجرة بها أو لاقتنائها حتى تاريخ الاستحقاق وتظهر هذه الاستثمارات بالقيمة العادلة وتمثل استثمارات في صناديق مالية وموجودات مالية أخرى.

ـ الاستثمارات المقتناة حتى تاريخ الاستحقاق.

تظهر الاستثمارات المشتراه بنية الاحتفاظ بها حتى تاريخ الاستحقاق بالتكلفة المعدلة بالعلاوة أو بالخصم ناقصة اى انخفاض غير مؤقت في قيمتها وتصنف هذه الاستثمارات كموجودات غير متداولة فيما عدا الاستثمارات التي تستحق خلال الاثنى عشر شهرا التالية وهى تمثل استثمارات في صكوك وسندات.

5ـ إثبات الإيرادات.

أفصحت الشركة أن المبيعات تمثل قيمة فواتير البضاعة المشحونة والخدمات المقدمة من قبل المجموعة خلال السنة بعد استبعاد الخصم المسموح به والمرتجعات كما تحسب إيرادات الاستثمارات في الشركات الزميلة وفقا لطريقة حقوق الملكية وتحسب إيرادات الودائع لأجل على أساس مبدأ الاستحقاق المحاسبي.

6ـ تحويلات العملات الأجنبية.

أفصحت الشركة أنها تحول المعاملات التي تتم بالعملات الأجنبية إلى الريال السعودي بأسعار التحويل السائدة وقت حدوث المعاملات ويعاد تحويل أرصدة الموجودات والمطلوبات النقدية المسجلة بالعملات الأجنبية كما في تاريخ قائمة المركز المالي بأسعار التحويل السائدة في ذلك التاريخ وتدرج الأرباح والخسائر الناتجة عن التسديدات أو التحويلات في قائمة الدخل الموحدة.

قائمة الدخل الموحدة (بالألف ريال).

المبيعات		103061800	150809596
تكلفة المبيعات		-74441849	-103547946
اجمالي الربح		28619951	47261650
مصاريف بيع وعمومية وإدارية	23	-8634207	-9171992
انخفاض قيمة الشهرة	10	-1181250	0
الدخل من العمليات الرئيسية		18804494	38089658
إيرادات استثمارات أخرى	24	1496265	3046280
أعباء مالية		-3025508	-3800927
الدخل قبل حقوق الأقلية والزكاة		17275251	37335011
حصة شركاء الأقلية في صافي دخل الشركات التابعة	22	-7301529	-13905168
الدخل قبل الزكاة		9973722	23429843
الزكاة	17	-900000	-1400000
صافي دخل السنة		9073722	22029843
ربح السهم (بالريال السعودي)			
المتعلق بالدخل من العمليات الرئيسية والمستمرة	25	6.34	13.07
المتعلق بصافي دخل السنة	25	3.03	7.34

ـــ لم تفصح الشركة في صلب قائمة الدخل عن حصة الشركات الزميلة والمشاريع المشتركة في الأرباح والخسائر التي تمت محاسبتها باستخدام طريقة حقوق الملكية في حين أنها التزمت بالإفصاح عن الإيراد ونتائج الأنشطة التشغيلية وتكاليف التمويل والمصروف الضريبي والربح من الأنشطة العادية وحقوق الأقلية وبذلك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول في هذا البند.

ـ يتطلب معيار المحاسبة الدولي الأول أن تعرض المنشأة إما في صلب قائمة الدخل أو في إيضاحات قائمة الدخل تحليلاً للمصروفات باستخدام تصنيف مبني إما على طبيعة المصروفات أو عملها ضمن المنشأة وقد التزمت الشركة بالإفصاح في الإيضاحات عن تحليل المصروفات مبنى على طبيعة المصروفات طبقا لمتطلبات المعيار.

ـ يتطلب معيار المحاسبة الدولي الأول أن تفصح المنشأة إما في صلب قائمة الدخل أو في الإيضاحات عن مبلغ ربح السهم المعلن أو المقترح للفترة التي تغطيها البيانات المالية وقد التزمت الشركة بالإفصاح في صلب قائمة الدخل عن ربح السهم المعلن طبقا لمتطلبات المعيار.

ـ أفصحت الشركة عن المعلومات القطاعية الخاصة بصافي الدخل للقطاعات ضمن الإيضاحات حول القوائم المالية الموحدة للشركة وهذا يساعد على معرفة مصادر الربحية بشكل أدق والقدرة على تقدير درجات المخاطرة في الاستثمار والتنبؤ بمعدلات النمو المستقبلية طبقا لمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول.

قائمة التدفقات النقدية الموحدة (بالألف ريال).

الأنشطة التشغيلية		
الدخل قبل الزكاة	9973722	23429843
التعديلات لـ		
استهلاك وإطفاء وانخفاض في قيمة الموجودات	10772512	10051999
الحصة في أرباح الشركات الزميلة. صاف	-229501	-1124589
حصة شركاء الأقلية في صافي دخل الشركات التابعة	7301529	13905168
التغيرات في الموجودات والمطلوبات التشغيلية		
مدينون ومصاريف مدفوعة مقدما	-6248623	10054874
مخزون	589761	-2053791
دائنون ومصاريف مستحقة الدفع ودائنون آخرون	5523918	-6967062
مطلوبات غير متداولة أخرى	-326360	56331
زكاة مدفوعة	-1344601	-1122928
الأنشطة الاستثمارية		
ممتلكات وآلات ومعدات. صاف	-23987968	-26595513
استثمارات. صاف	723741	-1647514
موجودات غير ملموسة. صاف	-1155398	-1136307
موجودات غير متداولة أخرى. صاف	-215988	-427275
الأنشطة التمويلية		
قروض طويلة الآجل. صاف	14654245	12711104
قروض بنكية قصيرة الأجل. صاف	-295769	-163646
توزيعات أرباح مدفوعة	-3750108	-10281634
حقوق الأقلية. صاف	-6635264	-13538269

الزيادة في النقدية وشبه النقدية	5349848	5150791
النقدية وشبه النقدية في بداية السنة	51027586	45876795
النقدية وشبه النقدية في نهاية السنة (إيضاح رقم 4)	56377434	51027586

يهتم مستخدمو البيانات المالية للمنشأة بمعرفة كيفية قيامها بتوليد واستخدام النقدية وما يعادلها وذلك بغض النظر عن طبيعة أنشطة المنشآت المختلفة وعما إذا كانت النقدية يمكن النظر إليها على أنها المنتج النهائي للمنشاة كما هو الحال بالنسبة للمنشات المالية. فالمنشات رغم اختلاف أنشطتها الرئيسية المولدة للإيرادات والمصروفات تحتاج إلى النقدية وذلك لتأدية وظائفها التشغيلية وسداد التزاماتها ولتوفير عائد للمستثمرين.

ـــ يتطلب معيار المحاسبة الدولي السابع ـ قائمة التدفقات النقدية ـ بعرض قائمة التدفقات النقدية خلال الفترة مبوبة حسب طبيعة الأنشطة المتعلقة بها إلى تدفقات من الأنشطة التشغيلية و الاستثمارية، والتمويلية وقد التزمت الشركة بهذا التبويب.

ـ يتطلب معيار المحاسبة الدولي السابع أن تقوم المنشأة بالتقرير عن التدفقات النقدية من الأنشطة التشغيلية باستخدام أي من الطريقة المباشرة أو غير المباشرة وقد التزمت الشركة بالإفصاح عن التدفقات النقدية بالطريقة غير المباشرة في حين أن المعيار يفضل استخدام الطريقة المباشرة.

ـــ يتطلب معيار المحاسبة الدولي السابع الإفصاح عن إجمالي الفوائد المدفوعة خلال العام بقائمة التدفقات النقدية بغض النظر عن معالجتها محاسبيا كمصروف بقائمة الدخل أو رسملتها طبقا للمعالجة البديلة الواردة بالمعيار المحاسبي الدولي الثالث و العشرون "تكاليف الاقتراض" إلا أن الشركة لم تفصح عن إجمالي الفوائد المدفوعة خلال العام بقائمة التدفقات النقدية وبذلك لم تلتزم بمتطلبات المعيار.

ـ يتطلب معيار المحاسبة السابع الإفصاح بشكل منفصل عن التدفقات النقدية الناتجة عن ضرائب الدخل، كما يتعين تصنيف تلك التدفقات كتدفقات نقدية من الأنشطة التشغيلية، ما عدا في الحالات التي ترتبط بشكل خاص بالأنشطة التمويلية والاستثمارية وقد التزمت الشركة بالإفصاح بشكل منفصل عن التدفقات النقدية الناتجة عن ضرائب الدخل (الزكاة) وتم تصنيف تلك التدفقات كتدفقات نقدية من الأنشطة التشغيلية.

ـ يتطلب معيار المحاسبة الدولي السابع انه إذا كانت المنشأة تستخدم طريقة حقوق الملكية للمحاسبة عن حصتها في مشروع مشترك، فإنه يجب عليها أن تفصح بقائمة التدفقات النقدية عن تلك التدفقات النقدية الناشئة بسبب الاستثمار في المشروع المشترك، وكذلك التوزيعات أو أية مدفوعات أو متحصلات تتم بينها وبين المشروع المشترك وقد التزمت الشركة بالإفصاح عن التدفقات النقدية الناشئة عن الاستثمار في مشروعات مشتركة طبقا لمتطلبات المعيار.

قائمة التغير في حقوق المساهمين الموحدة (بالألف ريال).

رصيد 2007/12/31	25000000	12500000	1291691	28894705	23467635	91154031
الزيادة في رأس المال	5000000				-5000000	
توزيعات أرباح سنوية					-5000000	-5000000
مكافأة أعضاء مجلس الإدارة					-1400	-1400
محول إلى الاحتياطي العام			-191691	14757926	-13466235	
صافي دخل السنة					22029843	22029843
محول إلى احتياطي نظامي		2202984			-2202984	
توزيعات أرباح مرحلية					-5250000	-5250000
رصيد 2008/12/31	30000000	14702984	0	43652631	14576859	102932474
توزيعات أرباح سنوية					-3750000	-3750000
مكافأة أعضاء مجلس الإدارة					-1400	-1400
محول إلى الاحتياطي العام				10825458	-10825458	
صافي دخل السنة					9073722	9073722
محول إلى احتياطي نظامي		297016			-297016	
رصيد 2009/12/31	30000000	15000000	0	54478089	8776707	108254796

ـ التزمت الشركة بالإفصاح عن التغير في حقوق المساهمين بموجب القائمة السابقة طبقا لمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول.

الأزمة المالية وأثرها على القوائم المالية لشركة سابك.

المبيعات	103061800	150809596	47747796
تكلفة المبيعات	-74441849	-103547946	-29106097
اجمالى الربح	28619951	47261650	18641699
مصاريف بيع وعمومية وإدارية	-8634207	-9171992	-537785
انخفاض قيمة الشهرة	-1181250	0	1181250
الدخل من العمليات الرئيسية	18804494	38089658	19285164
إيرادات استثمارات أخرى	1496265	3046280	1550015
أعباء مالية	-3025508	-3800927	-775419
الدخل قبل حقوق الأقلية والزكاة	17275251	37335011	20059760
حصة شركاء الأقلية في صافي دخل الشركات التابعة	-7301529	-13905168	-6603639
الدخل قبل الزكاة	9973722	23429843	13456121
الزكاة	-900000	-1400000	-500000
صافي دخل السنة	9073722	22029843	12956121
ربح السهم (بالريال السعودي)			
المتعلق بالدخل من العمليات الرئيسية والمستمرة	6.34	13.07	6.73
المتعلق بصافي دخل السنة	3.03	7.34	4.31

من خلال قائمة الدخل لشركة سابك يتضح أن هناك تأثر كبير بالأزمة المالية العالمية ظهر أثرها بأرقام عام 2009 وتتمثل في الاتى:

1ـ انخفضت المبيعات من 150809596 ألف ريال عام 2008 إلى 103061800 ألف ريال عام 2009 وبانخفاض قدره 47747796 ألف ريال وبمعدل انخفاض قدره 31.7% عن عام 2008.

2ـ انخفض اجمالى الربح من 47261650 ألف ريال عام 2008 إلى 28619951 ألف ريال عام 2009 وبانخفاض قدره 18641699 ألف ريال وبمعدل انخفاض قدره 39.4% عن عام 2008.

3ـ انخفض الدخل من العمليات الرئيسية من 38089658 ألف ريال عام 2008 إلى 18804494 عام 2009 وبانخفاض قدره 19285162 ألف ريال وبمعدل انخفاض قدره 50.1% عن عام 2008.

4ـ انخفضت إيرادات الاستثمارات الأخرى من 3046280 ألف ريال عام 2008 إلى 1496265 ألف ريال عام 2009 وبانخفاض قدره 1550015 ألف ريال وبمعدل انخفاض قدره 50.9% عن عام 2008.

5ـ انخفض صافي دخل السنة من 22029843 ألف ريال عام 2008 إلى 9073722 ألف ريال عام 2009 وبانخفاض قدره 12956121 ألف ريال وبمعدل انخفاض قدره 58.8% عن عام 2008.

6ـ انخفض ربح السهم من 20.41 ريال عام 2008 إلى 9.37 ريال عام 2009 وبانخفاض قدره 11.04 ريال وبمعدل انخفاض قدره 54.1% عن عام 2008.

يتضح مما سبق أن الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) قد تأثرت تأثر كبير بالأزمة المالية العالمية وقد أفصحت الشركة في تقريرها السنوي أن هذا التأثر كان نتيجة لتدنى الأسعار بسبب الانكماش الاقتصادي وليس نتيجة لانخفاض الإنتاج أو التسويق وبذلك تكون الشركة قد التزمت بالإفصاح عن هذا الجانب.

المبحث الخامس - النتائج والتوصيات.

النتائج.

مـن خلال عرض وتحليـل البيانات والمعلومـات الخاصة بالشركة السـعودية للصناعات الأساسية (سـابك) وفي ضوء الفروض التي قام على أساسها البحث فقد تم التوصل إلى النتائج التالية:

أولا: عدم التزام الشركات المدرجة في السوق المالي السعودي بالإفصاح طبقا لمعيار المحاسبة الدولي الأول.

على الرغم من قيام الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) وهى اكبر شركة مدرجة بالسـوق المالي السـعودي بالإفصاح بموجب قائمـة المركز المـالي الموحدة وقائمة الدخل الموحـدة وقائمة التدفقات النقدية الموحدة وقائمة التغير في حقوق المساهمين الموحدة إلا أنها لم تلتزم بمتطلبات المعايير الدولية وذلك طبقا للاتي.

قائمة المركز المالي الموحدة.

ـ لم تلتزم الشركة بالإفصاح عن تواريخ استحقاق الموجودات المالية من ذمـم تجارية وذمم مدينة أخرى وبذلك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول في الإفصاح عن هذا البند.

ـ لم تفصح الشركة بشـكل تفصيلي عن المبالـغ الدائنة والمدينة للمنشاة الأم والشركات التابعة والزميلة والأطراف الأخرى ذات العلاقة حيـث اكتفت بالإفصاح عـن مديونية إجمالية تحت مسـمى مبالغ مسـتحقة من الشركاء في المشاريع المشتركة وكذلك بالإفصاح عن مبلغ دائن اجمالى تحت مسـمى مبالغ مسـتحقة إلى الشركاء في المشـاريع المشـتركة وبذلـك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسـبة الدولي الأول في الإفصاح عن هذا البند.

ـ يتطلب معيار المحاسـبة الدولي الأول وجوب الإفصاح عن أسهم المنشـاة التي تمتلكها المنشـاة نفسـها أو شركاتها الفرعية أو شركاتها الزميلـة إلا أن الشركة لم تفصح عن ذلـك بالتقرير وأفصحت الشركة فقط عن عدد الأسـهم التي يتكون منها رأس المال والقيمة الاسـمية للسـهم وبذلـك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسـبة الـدولي الأول في الإفصاح عن هذا البند.

قائمة الدخل الموحدة.

ـ لم تفصح الشركة في صلب قائمة الدخل عن حصة الشركات الزميلة والمشاريع المشتركة في الأرباح والخسائر التي تمت محاسبتها باستخدام طريقة حقوق الملكية في حين أنها التزمت بالإفصاح عن الإيراد ونتائج الأنشـطة التشـغيلية وتكاليف التمويل والمـصروف الضريبي والربح من الأنشـطة العادية وحقوق الأقلية وبذلك لم تلتزم بمتطلبات معيار المحاسبة الدولي الأول في الإفصاح عن هذا البند.

قائمة التدفقات النقدية الموحدة.

ـ يتطلب معيار المحاسـبة الدولي السـابع الإفصـاح عن إجمالي الفوائـد المدفوعة خلال العام بقائمة التدفقـات النقدية بغض النظر عن معالجتها محاسـبيا كمـصروف بقائمة الدخل أو رسـملتها طبقا للمعالجة البديلة الواردة بالمعيار المحاسبي الدولي الثالث و العشرون إلا أن الشركة لم تفصح عن إجمالي الفوائد المدفوعة خلال العام بقائمة التدفقات النقدية وبذلك لم تلتزم بمتطلبات المعيار الدولي السـابع في الإفصاح عن هذا البند.

يتضح مما تقدم عدم التزام الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سـابك) بالإفصـاح طبقا لمعايير المحاسـبة الدوليـة وحيث أن هذه الشركة هي اكبر شركة مدرجة بالسوق المالي السعودي فان هذا يحقق صحـة الفرضية الأولى بعدم التزام الشركات المدرجة في السـوق المالي السعودي بالإفصاح طبقا لمعيار المحاسبة الدولي الأول.

ثانيـا: عدم كفايـة المعلومات التي يتـم الإفصاح عنهـا في التقارير المالية للشركات المدرجة في السـوق المالي السعودي لتلبية احتياجات المستفيدين.

يترتب على عدم التزام الشركات المدرجة في السوق المالي السعودي بالإفصـاح طبقا لمتطلبـات معيار المحاسـبة الـدولي الأول أن تكون المعلومـات التي يتم الإفصاح عنها في التقاريـر المالية لهذه الشركات غير كافية لتلبية احتياجات المستفيدين وذلك طبقا لما يلي.

ـ عدم التزام الشركة بالإفصاح عن تواريخ اسـتحقاق الموجودات الماليـة مـن ذمـم تجارية وذمـم مدينة أخـرى على الرغـم من أن المعلومات الخاصة بتواريخ اسـتحقاق الموجودات والمطلوبات مفيدة في تقييم سيولة المنشأة وقدرتها على الوفاء بمطلوباتها المالية ويتطلب معيار المحاسبة الدولي رقم (32) الإفصاح عن تواريخ الاستحقاق لكل مـن الموجودات المالية والمطلوبات المالية وتشـمل الموجودات المالية الذمـم التجارية المدينـة والذمم المدينة الأخرى وتشـمل المطلوبات الذمـم التجارية الدائنة والذمـم الدائنة الأخرى كـما أن المعلومات الخاصة بالتاريخ المتوقع لاسـتعادة وتسـوية الموجودات والمطلوبات غـير النقدية مثـل المخزون والمخصصات مفيدة كذلك سـواء صنفت الموجودات والمطلوبات على أنها متداولة أو غير متداولة ويترتب على ذلك عدم كفاية المعلومات التي تم الإفصاح عنها في هذا البند.

ـ يتطلب معيار المحاسبة الدولي الأول أن يشمل قائمة الدخل كحد أدنى البنود التي تعرض المبالغ التالية:

1ـ الإيراد.
2ـ نتائج الأنشطة التشغيلية.
3ـ تكاليف التمويل.
4ـ حصة الشركات الزميلة والمشاريع المشتركة في الأرباح والخسائر التي تمت محاسبتها باستخدام طريقة حقوق الملكية.
5ـ المصروف الضريبي.
6ـ الربح أو الخسارة من الأنشطة العادية.
7ـ حصة الأقلية.
8ـ صافي الربح أو الخسارة للفترة.

ولم تفصح الشركة في صلب قائمة الدخل عن حصة الشركات الزميلة والمشاريع المشتركة في الأرباح والخسائر التي تمت محاسبتها باستخدام طريقة حقوق الملكية وبالتالي عدم كفاية المعلومات التي تم الإفصاح عنها في هذا البند.

ـــ يتطلب معيار المحاسبة الدولي السابع الإفصاح عن إجمالي الفوائد المدفوعة خلال العام بقائمة التدفقات النقدية بغض النظر عن معالجتها محاسبيا كمصروف بقائمة الدخل أو رسملتها طبقا للمعالجة البديلة الواردة بالمعيار المحاسبي الدولي الثالث و العشرون إلا أن الشركة لم تفصح عن إجمالي الفوائد المدفوعة خلال العام بقائمة التدفقات النقدية وبذلك لم تلتزم بمتطلبات المعيار الدولي السابع في الإفصاح عن هذا البند في حين أن المعلومات المتعلقة بالتدفقات النقدية لأي منشأة مفيدة في تزويد مستخدمي البيانات المالية بالأساس اللازم لقياس قدرة تلك المنشأة على توليد نقدية أو ما يعادلها واحتياجات المنشأة لاستخدام والانتفاع من تلك التدفقات النقدية وتتطلب القرارات الاقتصادية لمستخدمي المعلومات تقييم قدرة المنشأة على توليد نقدية وما يعادلها وكذلك توقيت ودرجة التأكد المتعلقة بتوليد تلك التدفقات وبذلك تكون المعلومات التي تم الإفصاح عنها في هذا البند غير كافية.

من خلال ما تقدم يتضح عدم كفاية المعلومات التي تم الإفصاح عنها في تقرير الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) وحيث أن هذه الشركة هي اكبر شركة مدرجة بالسوق المالي السعودي فان هذا يحقق صحة الفرضية الثانية بعدم كفاية المعلومات التي يتم الإفصاح عنها في التقارير المالية للشركات المدرجة في السوق المالي السعودي لتلبية احتياجات المستفيدين.

التوصيات.

بناءا على النتائج التي تم التوصل إليها يقترح الباحث ما يلي:

ـــ إلزام الشركات السعودية المدرجة بالسوق المالي السعودي بإعداد القوائم المالية وفقا للأسس والقواعد التي نص عليها المعيار المحاسبي الدولي الأول وذلك من خلال هيئة سوق المال السعودي.

ـ تطبيق المعايير المحاسبية الدولية الصادرة عن لجنة المحاسبين الدوليين عند إعداد القوائم المالية لهذه الشركات لأن ذلك يوفر معلومات تكفى لتلبية احتياجات المستفيدين من القوائم المالية.

ـ تطبيق عقوبات من قبل هيئة سوق المال على الشركات التي لا تلتزم بتطبيق معايير الإفصاح المحاسبي.

المراجع.

1. الحيالي، وليد ناجي، نظرية المحاسبة – الأكاديمية العربية في الدنمرك 2007.
2. الشيرازي، مهدي عباس، نظرية المحاسبة، مطبعة ذات السلاسل، الكويت 1991
3. المعايير المحاسبية الدولية الصادرة عن لجنة المعايير المحاسبية الدولية.
4. التقرير السنوي لشركة سابك للعام 2009.
5. دراسة بعنوان الإفصاح المحاسبي في القوائم المالية للمصارف وفقاً للمعيار المحاسبي الدولي رقم (30)"حالة تطبيقية في المصرف التجاري السوري" للباحثة رولا لايقة إشراف الدكتور لطيف زيود والدكتور عقبة الرضا.
6. دراسة بعنوان دور الإفصاح المحاسبي وأهميته في ظل تطبيق معايير المحاسبة المصرية ومتطلبات القانون 91 لسنة 2005 للدكتور محمد نجيب حمد ـ كلية التجارة جامعة قناة السويس ـ مصر.
7. دراسة بعنوان مشكلات الإفصاح عن المعلومات المحاسبية بالقوائم المالية ـ دراسة منشورة بموقع عالم المحاسبة الالكتروني.
8. دراسة بعنوان دور الإفصاح المحاسبي في سوق الأوراق المالية في ترشيد قرار الاستثمار للباحثة نغم أحمد فؤاد مكية وإشراف الدكتور لطيف زيود والدكتور حسان قيطيم.
9. دراسة بعنوان معوقات وأسباب عدم الالتزام بالتطبيق الكلى لمتطلبات الإفصاح المحاسبي في الشركات المساهمة السعودية للدكتور عدنان بن عبد الله الملحم ـ كلية العلوم الإدارية والتخطيط ـ جامعة الملك فيصل ـ السعودية.
10. دراسة بعنوان اثر حجم الشركة ونوع نشاطها على مستوى الإفصاح المحاسبي في التقارير المالية السنوية للشركات المساهمة العامة الأردنية للباحث حمود حميدي عواد بني خالد إشراف الدكتور غسان المطارنة.
11. دراسة بعنوان دور المعايير المحاسبية الدولية في الحد من الأزمة المالية العالمية للدكتور حسن عبد الكريم سلوم والدكتورة بتول محمد نورى ـ الجامعة المستنصرية ـ العراق ـ دراسة مقدمة إلى المؤتمر العلمي الدولي السابع ـ كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية ـ جامعة الزرقاء ـ الأردن.
12. دراسة بعنوان خيار الجزائر بالتكيف مع متطلبات الإفصاح وفق معايير المحاسبة الدولية للدكتور زغدار احمد ، سفير محمد ـ جامعة الجزائر ـ مجلة الباحث ـ العدد 7 / 2009 – 2010.
13. دراسة بعنوان اثر تطبيق معايير المحاسبة الدولية في الشركات الأردنية على استقطاب الاستثمار الاجنبى المباشر للدكتور ظاهر القشى ـ جامعة فلادليفيا ـ الأردن ـ 2008.

البيمارستان في المدينة العربية والإسلامية القديمة بغداد ودمشق في حكايات ألف ليلة وليلة "أنموذجا "

د. محمد عبد الرحمن يونس

شـهدت المدينة العربية والإسـلامية في عصرها الأموي والعباسي ازدهارا معرفيا في شتى المعارف العلمية، ومنها العلوم الطبيّة والصيدلانية . وبلغ الطب العربي ازدهارا كبيرا في عهد الدولة العباسية، وتحديدا في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد، وابنه الخليفة عبد الله المأمون.ونتيجة لهذا الازدهار الطبي، فقد نشـأت البيمارسـتانات (المشـافي الطبية) في المدينة العربية والإسـلامية، وكانت مهمتها معالجة المرضى من الأمراض المسـتعصية، ومنها الأمراض النفسـية والعصابية، التي كانت منتشرة في هذه المدينة. وتأتي مدينتا بغداد ودمشق، في طليعة المدن العربية التي انتشرت فيها البيمارسـتانات، وفي غير حيّ من أحياء هاتين المدينتين.وقد ذكرت حكايات ألف وليلة في عهديها الأموي والعباسي، مشـافي هاتين المدينتين، وأشارت إلى دور هذه المشافي في معالجة المرضى.ويأتي بحثي هذا : ((البيمارستان في المدينة العربية والإسلامية القديمة بغداد ودمشق في حكايات ألف ليلة وليلة "أنموذجا "))، ليدرس ملامح البيمارستانات في مدينتي بغداد ودمشق، ومظاهرها، ودورها الوظيفي في حكايات ألف ليلة وليلة، وتحديدا في الحكايات التي حدثت في فضاء العصر العباسي زمانيا ومكانيا

(Hospital institutions at Arabic and Islamic Old Cities Baghdad and Damascus in a ONE THOUSAND AND ONE NIGHT).

Dr: Mohammad Abdul Rahman Younes

It has been witnessed the Arabic and Islamic city in both eras Omaiya and Aabasi eras advancement in knowledge and science and from it science of medicine and pharmacy.

And the Arabic medicine reached advancement and a big success at the Aabasi era and specifically in the era of Aabasi government era of Haroun Al rasheed and his son the khalifa Abdul Allah almaoun.

From that success in Medicine it has been established Albemarstan (hospitals) in the Arabic and Islamic city and it was the main purpose of it to treat the patients from difficult illness and psychological and neurological illness which has been spread in that city.

Both cities Baghdad and Damascus were the first Arabic cities that has spread in it hospitals in several neighborhoods of those cities.

Also it has been mentioned in the stories of One thousand and one night in both eras Omaiya and Aabasi the hospitals and its roles in treatment for the ill people.

Here it is my research (hospital institutions in the Arabic and Islamic old city).

(Baghdad and Damascus in the stories of One thousand and one night/ sample).

To study the appearance of hospitals in the two cities Baghdad and Damascus and its appearance and its main role in the stories of One thousand and one night specifically in the stories that happened in the space of Aabasi era in time and Place.

مدخل في تاريخ العلوم الطبية عند العرب

شـهدت المدينة العربيـة الإسـلاميّة في عصرها العبّـاسيّ ازدهاراً معرفيّاً في شـتّى المعارف العلميّة، سـواء أكانت نظريّة أم تطبيقيّة، و كان العرب و المسـلمون في هذه المدينة » من أشـدّ شعوب الأرض طلبـاً للمعرفة و رغبـة في الإفادة منها في حياتهـم. و كان في مقدّمة العلوم العلميّة التي ظفـرت بنصيب ملحوظ من اهتماماتهم، الطبّ ثـمّ الفلك و ثائر فروع المعرفـة التي تقوم على خدمتهما. «(1).و بلغ الطبّ العـربيّ ازدهاراً واضحاً في عهد الدولة العبّاسـيّة، و تحديداً في عهد الخليفة هرون الرشـيد، و عهد ولده عبد الله المأمون. و قد أولى الخليفة الرشـيد اهتماماً كبيراً بالطبّ و تاريخه، و حضّ على ترجمته، ففي عهده ترجم طبيبه الماهر يوحنّا بن ماسـويه (ت 242هـ/857م) كثـيراً من الكتـب الطبيّة القديمة التي جلبها من أنقـرة و عمّوريّة و سـائر بلاد الروم، و تلك التي جمعها العرب المسلمون من البلاد التي فتحوها(2).

و نظـراً للمثاقفـة الحضاريّة بين العرب و غيرهم من الشـعوب، يبـدو من الطبيعي أن يرتكز الطبّ العربيّ على الطبّ اليونانيّ المترجم بوسـاطة اللغات السريانيّـة و الآرامية و العربيـة. فعلى المعطيات الطبيّـة اليونانية اسـتند الأطبّاء اليهود و النصارى و المسـلمون، و ضمّـوا إلى معارفهم الطبيّة ما قدّمه لهم الشرق القديم. أمّا المصنّفات الطبيّـة التـي وصلت من اليونان إلى سـورية و تُرجِمـت فيها، فإنّها سرعـان مـا نُقلت إلى المراكز البعيدة في بغـداد و القاهرة و قرطبة، حيث ترجمها اليهود الأسبان إلى اللاتينيّة(3).

و كان للأطبّـاء المسـلمين باع طويل في تاريخ المكتشـفات الطبيّة التـي أثّرت تأثيراً حاسـماً في مسـار الحضـارة الإنسـانيّة في العصور الوسـطى، فقد اكتشـف الطبيب أبو بكـر محمد بن زكريـا الرازي (ت 313هـ/925م)، المسـمّى عند أهل الغـرب (رازيز، 4)(Rhazis) خيـوط الجراحـة من مصاريـن الحيوان، و التي سـاهمت في تطوير الجراحة الداخليّة(5). و اكتشـف الطبيب أبو علي الحسـين بن عبد الله (ابن سـينا، ت 429هـ/1037م) المعروف بـ(أفيسينيا لدى الغرب، 6)(Avicenna) مصل التخدير الذي اسـتخلصه من الأعشاب، و الذي كان لـه الفضل في تطوّر عمليّات الجراحة الكبـيرة و الطويلة(7). أمّا عالم البصريات أبو علي الحسـن بن الهيثم (ت 430هـ / 1039م)، فقد ألّف كتاباً في البصريّات، و سـمّاه بـ » علم المناظر «، ثمّ أصبح ـ بعـد أن تُرجم إلى اللاتينيّة ـ كتاباً مدرسـيّاً يُدرّس في أوروبا في العصر الوسـيط حتّى عـام 1213م(8). و قد توصّل ابـن الهيثم إلى صناعة أوّل نظّـارة طبيّة للقراءة في التاريخ، و قد قدّمت هذه النظّارة أعظم خدمـة لضعاف البصر(9). أمّا الطبيـب علي بن أبي الحزم بن النفيس الدمشـقيّ (ت 687هـ / 1288م)، فقد » كان أوّل من اكتشف الدورة الدمويّة الصغرى و فهم تركيبة الرئة و الأوعية الشـعريّة، و ميّز بين الشرايين و الأوردة فيها.«(10). هذا و قد عُرِف عن ابن النفيس تفوّقه على علـماء عصره و العصور التي سـبقته في فهم المبادئ الأساسـيّة للـدورة الشريانيّـة، فقد أوضـح أنّ الدم كان يُطهّـر في الرئتين حيث

(1) – الطويل، د. توفيق: في تراثنا العربي الإسلاميّ،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، العدد السابع والثمانون، الطبعةالأولى، جمادى الآخرة 1405هـ/آذار (مارس)، 1985م، ص 96.

(2) – نادر، د. ألبير نصري: في شرح كتاب "أبو نصر الفارابي ـ كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين "، دار المشرق، بيروت، الطبعة الرابعة، دون تاريخ، ص 50 ـ 51.

(3) – الخازن، د. وليم: الحضارة العباسيّة،دار المشرق، بيروت،الطبعة الثانيّة، 1992م، ص 119.

(4) – بلسنر، مارتن؛ Plessner,M: "العلوم الطبيّة و الطبّ"، في: تراث الإسلام، تـصنيف جوزيـف شـاخت و كليفـورد بوزورث، ترجمة د. حسين مؤنس و إحسان صدقي العمد، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، "سلـسلة عالم المعرفة"، العدد 234، الطبعة الثالثة، صفر 1419هـ/حزيران (يونيو)، 1998م، الجزء الثاني، ص 149.

(5) – الفنجري، د. أحمد شوقي: العلوم الإسلاميّة، مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، الطبعـة الأولى 1985م، الجـزء الثالث، ص 66.

(6) – بلسنر، مارتن:"العلوم الطبيّة و الطبّ"، ص 165.

(7) – الفنجري، د. أحمد شوقي: العلوم الإسلاميّة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، الطبعة الأولى، الجزء الثالث، ص 66.

(8) – العلايلي، عبد الله؛ و آخرون: المنجد في الأعلام،دار المشرق، بيروت،الطبعة العاشرة، 1980م، ص 735.

(9) – الفنجري، د. أحمد شوقي العلوم الإسلاميّة، ص 66.

(10) – نخبة من أساتذة الجامعات: "العلوم الطبيّة عند العرب"، في: موسوعة بهجة المعرفة ـ مسيرة الحضارة،إشراف الصادق النيهوم، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،طرابلس/ليبيا، طبعة إيطاليا،1982م،المجلد الأول، المجموعة الثانية، ص 401.

يخضع لعملية تكرير عن طريق احتكاكه بالهواء الذي يأخذه الجسم من الجوّ الخارجيّ. و الحقّ أنّ اكتشافاته تقدّمت اكتشافات العلماء الأوربيين بثلاثة قرون(11).

و قد عُرِف عن الأطبّاء العرب أنّهم تفوّقوا في علم الجراحة على الشعوب الأخرى، و منها جراحات النساء و التوليد. و قد قام الطبيب أبو القاسم خلف بن عبّاس الزهراوي(ت 499هـ/1106م)، الذي يُعدّ من كبار الجرّاحين العرب، باستنباط آلات جراحيّة كثيرة(12)، ساعدته في جراحة تفتيت رأس الجنين متى كان ضخماً، يُضاف إلى ذلك أنّه اخترع منظاراً للمهبل، و ألّف مع غيره من الأطبّاء، من أمثال » ابن سينا «، كتباً مهمّة في الأورام الرحميّة(13). و قد ترك الطبّ العربيّ للبشرية أقدم موسوعة عربية في الطبّ، و ما زالت باقية حتّى الآن، و هي كتاب فردوس الحكمة، لمؤلّفه علي بن سهل بن ربّن الطبري (ت 246هـ/861م)، الذي لمع نجمه نحو 236هـ/850م، و قد ظلّت هذه الموسوعة تفوق كل ما عداها في بعض النواحي العلميّة(14). ومن هنا يمكن القول: إنّ أهميّة علم الطبّ في التراث الإنسانيّ و العلمي الذي تركه العرب و المسلمون للبشريّة » لا تضارعه أهميّة أيّ فرع آخر من العلوم «(15).

و نتيجةً لازدهار العلوم الطبيّة في المدينة الإسلاميّة كان من الطبيعي أن ينشأ في هذه المدينة مرفق معماريّ يأوي المرضى، و يضمّ الأطبّاء الذين يعالجون هؤلاء المرضى. و قد اتّفق المؤرّخون على تسمية هذا المرفق بـ » البيمارستان «، أو » المارستان «(16). و يُعتبر البيمارستان شكلاً متطوّراً من أشكال التطوّر المدينيّ الذي شهدته المدن الإسلاميّة الكبرى، بفضل ازدهار علم الطبّ، لأنّه من الصنائع التي لا تستدعيها إلاّ كثرة العمران و الحضارة و الترف في المدن الإسلاميّة. على حدّ تعبير ابن خلدون(17).

و إذا كانت المدن الإسلاميّة الكبرى مُنشئة لهذا البيمارستان، و حاضنة له، فإنّ ذلك يعود إلى وقوع:

» الأمراض من أهل الحضر و الأمصار أكثر، لخصب عيْشهم و كثرة مأكلهم، و قلّة اقتصارهم على نوع واحد من الأغذية، و عدم توقيتهم لتناولها. و كثيراً ما يخلطون بالأغذية من التوابل و البقول و الفواكه رطباً و يابساً في سبيل العلاج بالطبخ، و لا يقتصرون في ذلك على نوع أو أنواع، فربّما عددنا في اليوم الواحد من ألوان الطبخ أربعين نوعاً من النبات و الحيوان، فيصير للغذاء مزاج غريب. وربّما يكون غريباً عن ملاءمة البدن و أجزائه (...) ثمّ الرياضة مفقودة لأهل الأمصار إذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً، و لا تؤثّر فيهم أثراً. فكان وقوع الأمراض كثيراً في المدن و الأمصار. «(18).

(11) - لاندو، روم: الإسلام و العرب، تعريب منير البعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت، الطبعة الثانية،كانون الأول 1977م، ص 264.

(12) - المنجد في الأعلام، ص 340.

(13) - الطويل، د. توفيق: في تراثنا العربي الإسلامي، ص 105.

(14) - بلسنر، مارتن: "العلوم الطبيّة و الطبّ"، ص 164.

(15) ـــم ص، ص 163.

(16) -المارستان: لفظة فارسيّة تعني دار المرضى، المنجد في اللغة،معلوف، لويس،منشورات اسماعيليان، طهران/دا المشرق، بيروت، الطبعة الحادية والعشرون، كانون الثاني 1973م، مادة: مرس، ص 755.

- و يذكر فؤاد شمس الدين نقلاً عن الموسوعة الإسلاميّة "L'Encyclopedie de l'Islam "، "أنّ البيمارستان (بفتح الراء و سكون السين) لفظة فارسيّة تقسم إلى قسمين: " بيمار" و تعني المريض أو المصاب، و "ستان " و تعني المكان و اختُصرت الكلمة مع الأيام لتصبح مارستان.

- ينظر: " المدينة العربية من المرفق إلى الطراز"، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، المجلد الثالث، العدد العاشر، أيار/حزيران 1991م، ص 127.

(17) – ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،مقدّمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة محرم1401 هـ/1980م،الجزء الثالث، ص1143.

(18) – مقدّمة ابن خلدون ، 2/959 – 960.

ملامح البيمارستان في مدينتي بغداد ودمشق في حكايات ألف ليلة وليلة

إذا كانت البيمارستانات قد انتشرت في المدن الإسلاميّة الكبرى، فإنّ رواة ألف ليلة و ليلة لم يشيروا إلى هذه البيمارستانات في كلّ حكاياتهم إلاّ في مدينتي دمشق و بغداد. و فيما عدا ذلك لا نجد أي ذكر للبيمارستانات في كل المدن التي وصل إليها رواة ألف ليلة و ليلة(19). و ربّما يعود ذلك إلى أنّ هاتين المدينتين هما أهمّ مدينتين مركزيّتين في الدولتين الأمويّة و العبّاسيّة.

و من حكايات ألف ليلة و ليلة التي ذكرت البيمارستان، حكاية » الملك عمر النعمان و ولديه شركان و ضوء المكان «. إذ أشار الراوي إلى أنّ ضوء المكان أصيب بمرض شديد في مدينة القدس التي وصلها قادماً من دمشق(20). و عندما وصل حافّة الموت طلب من صبيّ الخان الذي كان نازلاً به أن يحمله إلى سوق المدينة. و عندما شاهده أهل السوق قاموا، و » أخذوا له من التجار ثلاثين درهماً و استأجروا له جملاً، و قالوا للجمّال احمل هذا و أوصله إلى دمشق و أدخله المارستان لعلّه يبرأ. «(21).

و يبدو أنّ المدن الإسلاميّة الكبرى هي التي كانت تشاد فيه البيمارستانات(22)المتخصّصة في علاج الحالات المستعصية، نظراً لتطوّر المعرفة الطبيّة فيها. فمدينة دمشق من أهمّ مدن ألف ليلة و ليلة المركزيّة، كونها عاصمة للدولة العربيّة الإسلاميّة في عهد بني أميّة، في حين أنّ مدينة القدس كانت أقلّ شأناً مركزيّاً منها، و يمكن اعتبارها وفق تسميات المؤرّخين » قَصَبة «، و في الاصطلاح الإداري الإسلاميّ بمعنى عاصمة لأحد الأقاليم الجهويّة التابعة للدولة الإسلاميّة(23). و من هنا فإنّ أهل السوق طلبوا من الجمّال أن يحمل ضوء المكان إلى دمشق العاصمة المزدهرة في علم الطبّ، و المتأثّرة معرفيّاً و حضاريّاً بحضارات المدن و البلدان الإسلاميّة الأخرى.

و تشير حكاية » غانم بن أيوب و قوت القلوب «، إلى أنّ غانم بن أيوب هرب من بغداد من بطش الخليفة هرون الرشيد، و وصل إلى دمشق، فطارده أعوان الخليفة إلى دمشق، ففرّ مذعوراً إلى إحدى المدن ـ لا يذكر الراوي اسماً لها ـ و هنالك » ازداد به الجوع و أضرّ به المشي (...) و أسند ظهره إلى حائط المسجد و ارتمى و هو في غاية الجوع و التعب. «(24). و ما إن شاهده سكّان المدينة حتّى قدّموا له الطعام، و تعهّدوا برعايته لمدة شهر. و عندما ازدادت حالته الصحيّة سوءاً » تشاوروا مع بعضهم في أمره ثمّ اتّفقوا على أن يوصلوه إلى المارستان الذي ببغداد. «(25).

و ممّا يثير الملاحظة أنّ راوي الحكاية لا يذكر مارستانات بغداد باحترام. على الرّغم من مكانة بغداد العلميّة، و ازدهار الطبّ فيها، في عهد الخليفة هرون الرشيد، بل يسخر منها، و يرى أنّ الداخل فيها يُمكن أن يُقتل. و لا يُعلم ما هو السبب الذي جعل هذا الراوي يعتبر أنّ المارستان فضاء للموت، بدلاً من أن يكون فضاءً للعلاج و الشفاء، إلاّ إذا افتُرِض ـ و تأسيساً على رأي الراوي بهذا المارستان ـ أنّ المارستانات في بغداد كانت وسخة، و كانت طرق العلاج فيها غير متطوّرة، أمّا أطبّاؤها فكانوا غير أكفاء، و أنّ الأطبّاء المتميّزين في بغداد كانوا يمارسون عملهم خارج المارستانات، و في قصور الخلفاء و الأمراء و القادة و التجار الأثرياء، و بالتالي يمكن ان يتعرّض المواطنون الداخلون إلى المارستانات إلى الموت بدلاً من فرص العلاج الناجعة. يقول الراوي(26):» و أمّا الجمّال فإنّه لم يزل سائراً به [بغانم بن أيوب] حتّى أنزله على باب المارستان و أخذ جمله و رجع. فمكث غانم راقداً هناك إلى الصباح، فلمّا درجت الناس في الطريق نظروا إليه و قد صار رقّ الخلال. و لم يزل الناس يتفرّجون عليه حتّى جاء شيخ

(19) – و ذلك في طبعة دار مكتبة الحياة التي اعتمدها هذه الدراسة. بيروت، دون تاريخ، أربع مجلدات.

(20) - و هذا المرض نفسيّ قبل أن يكون عضويّاً، و ذلك لأنّ ضوء المكان حزن على أخته نزهة الزمان التي افتقدها في القدس. يُضاف إلى ذلك غربته و فقره المدقع في القدس، بعد أن كان أميراً في مدينة بغداد.
- لمزيد من الإطلاع يُنظر: ألف ليلة و ليلة، 238/1.

(21) - م س، 284/1.

(22) - و تشير الأبحاث التاريخيّة إلى أنّ من بنى البيمارستانات في الدولة الإسلاميّة هو الخليفة الأمويّ الوليد بن عبد الملك (86 96هـ/705 ــ 715م)، فقد بنى في دمشق سنة 88هـ/706م مشفى خُصّص للمجذومين، و كان يقع بالقرب من الباب الشرقي لمدينة دمشق. [عثمان، د. محمد عبد الستار: المدينة الإسلاميّة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 128، الطبعة الأولى،آب(أغسطس) 1988م، ص 249]. و يذكر كمال الدين محمد بن موسى الدّميري أنّ الخليفة الوليد بن عبد الملك اهتمّ بالمصابين بمرض الجذام، وبالعجزة والعميان، " وقال لا تسألوا الناس و أعطى كل مُقعَد خادماً و كلّ أعمى قائداً ". [حياة الحيوان الكبرى، دون محقق، دار الألباب، بيروت/دمشق، دون تاريخ،83/1].

(23) - الولي، طه: "المدينة الإسلاميّة"،في: مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت/الهيئة القوميّة للبحث العلمي، طرابلس (ليبيا)، أكتوبر/نوفمبر، 1982م،العدد التاسع و العشرون، ص 115.

(24) - ألف ليلة و ليلة، 236/1.

(25) -م س، 236/1.

السوق و منع الناس عنه، و قال: أنا أكتسب الجنّة بهذا المسكين لأنّهم متى أدخلوه المارستان قتلوه في يوم واحد.».

لقد كانت بغداد العبّاسيّة قبلةً لعشّاق الطبّ و المعرفة، إذ نشر العبّاسيون العلوم الطبيّة. و أسّسوا المدارس الطبيّة، و البيمارستانات، و دعوا إلى عقد المؤتمرات الطبيّة، في مواسم الحجّ، و التي يجتمع فيها الأطبّاء من البلاد الإسلاميّة كافّة، حيث يعرضون نتائج أبحاثهم. و قد غدت بغداد في الشرق، و قرطبة في الغرب من أهمّ المراكز الثقافيّة الطبيّة في العالم الإسلامي(27). و عُرِف عن قادة بغداد العبّاسيّة اهتماماتهم بإنشاء البيمارستانات، فقد أقام البرامكة بيمارستاناً في عهد الخليفة هرون الرشيد، وأسندوا رئاسته إلى الطبيب ماسويه، ثمّ إلى ابنه يوحنّا. وازدادت البيمارستانات في الدولة العبّاسيّة زيادة واضحة، حتّى بلغت سنة 304هـ/916م في عهد الخليفة العبّاسيّ المقتدر بالله، خمسة، أشرف على إدارتها الطبيب الشهير سنان بن ثابت(28)، و إليه يرجع الفضل في إنشاء بيمارستانين كبيرين، سمّي الأول البيمارستان المقتدريّ نسبة إلى الخليفة العباسيّ المقتدر بالله بن المعتضد (295 ـ 320هـ/908 ـ 932م)، الذي أنفق عليه من ماله الخاصّ. أماّ الثاني فكان تحت رعاية أمّ المقتدر(29).

و لم تكن هذه البيمارستانات دُوراً لعلاج مرضى الأمراض المستعصية فحسب، بل كانت مدارس تُدرّس فيها العلوم الطبيّة، و أصبحت مؤسسات رسميّة و من المعالم الأساسيّة للمدن الإسلاميّة اعتباراً من القرن الرابع الهجري. و قد انتشرت في العراق و فارس و الشام و مصر، و كان الكثير منها يعتمد على الأوقاف في نفقاته، سواء للمرضى أو للأطبّاء أو للطلبة(30).

و تشير حكاية » أبو الحسن الخليع مع الخليفة هرون الرشيد«، إلى أنّ بغداد كانت تحتوي على بيمارستانات أشبه ما تكون بالمصحّات العقليّة في وقتنا الحالي. ففي الحكاية يحلم أبو الحسن الخليع أمام هرون الرشيد المتنكر، بأن يتولّى الأمر و النهي في بغداد حتّى ينتقم من جيرانه الشيوخ الأربعة الذين يظلمونه دائماً، و يهدّدونه بأنّهم سيشكونه إلى الخليفة الرشيد، و بالتالي يصبح قادراً على تحقيق أمنيته في أن يجلد كلّ واحد من هؤلاء الشيوخ أربعمائة سوط، ثمّ يُجرسهم أمام سكّان بغداد، و هذا هو أقلّ جزاء لهم، لأنّهم يبغضون الناس، و يكدّرون عليهم مسرّاتهم(31). فما كان من الخليفة الرشيد إلاّ أن جعله يحقّق أمنيته، إذ تحايل عليه، و وضع قطعة بنج في قدحه، فلمّا شربه سقط على الأرض. عند ذلك أمر خادمه مسرور السيّاف أن يحمل أبا الخليع إلى القصر ببغداد. و عندما يدخلونه القصر، يأمر الخليفة وزيره جعفر البرمكي، و الأمراء، و الجواري الحسان أن يقفوا في خدمته و يمتثلوا لأوامره مهما طلب، و يؤكّدوا له أنّه صار خليفة المسلمين. و ما إن ينتصف الليل حتّى يكون أبو الحسن الخليع حقّق أمنياته، و مارس سلطاته، و نادم الجواري، و شرب على وقع الدفوف و الغناء و كأنّه الخليفة(32).

و عند ذلك يقرّر الخليفة الرشيد إنهاء هذه المسرحيّة، و ذلك بأن يأمر إحدى الجواري الجميلات أن تُخادع أبا الحسن، و تضع قطعة بنج في قدحه، و تغريه بشربه. ثمّ يأمر خدم القصر بأن يرجعوه إلى قاعته في أحد أزقّة بغداد و عندما يستيقظ لا يكتشف سرّ ما جرى له، بل يظلّ دائراً في فضاء قاعته، آمراً ناهياً صائحاً على الجواري.

(26) - م س، 236/1 ــ 237.

(27) ــ حسن، د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،(العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر والمغرب والأندلس) ،دار الجيل ، بيروت/مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة،1991م، 404/4.

(28) - سنان بن ثابت: (أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرّة، ت 331هـ/943م): طبيب صابئيّ من أصل حرّانيّ. نشأ ببغداد. رئيس الأطباء في عهد الخليفة العباسيّ المقتدر. عمل في خدمة الخليفة القاهر بن المعتضد (320 ــ 322هـ / 932 ــ 934م).

-المنجد في الأعلام، ص 367.

(29) - عاشور، د. سعيد عبد الفتاح: المرأة و المؤسسات الاجتماعيّة في الحضارة العربية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة (تونس) ، طبعة 1994 م، ص 60.

(30) - نخبة من أساتذة الجامعات: "العلوم الطبيّة عند العرب"، في: موسوعة بهجة المعرفة ــ مسيرة الحضارة، ص 400.

(31) - ألف ليلة و ليلة، 167/2.

(32) - م س، 167/2.

فتسمعه والدته، وتسأله إن كان يحلم، فيسبّها، و يؤكّد لها أنّه أمير المؤمنين بعينه. عندها تتأكّد أنّ ولدها في طريق الجنون، فتستحلفه أن يرجع إلى صوابه قائلةً(33): » سلامة عقلك يا ولدي اسكت لئلاّ تروح أرواحنا، و يُنهب مالك إن سمع أحد هذا الكلام و أوصله إلى الخليفة (...) يا ولدي إيّاك أن تفسد عقلك فيأخذونك إلى المارستان و تبقى شهرة، فإنّ الذي رأيته إنّما هو من الشيطان و هو أضغاث أحلام، و أنّ الشيطان يلعب بعقل الإنسان.«. لكنّ أبا الحسن الذي استمرأ شهوة السلطة و أبّهتها، و هو يأمر و الناس بين يديه طائعين، و الجواري الجميلات يدلّلنه و يقبّلن الأرض بين رجليه، لا يستطيع أن يصدّق أنّه صار شخصاً عادياً، فيلتاث عقله، و يضرب والدته، و يصرخ مهتاجاً مؤكّداً انه أمير المؤمنين. و عند ذلك يتقدّم الناس إليه، و قد اقتنعوا تماماً أنّه مجنون، » ثمّ دخلوا عليه و مسكوه و كتّفوه و أخذوه إلى المارستان.«(34). و في المارستان يسألونه عن حاله، فيؤكّد لهم أنّه أمير المؤمنين هرون الرشيد. و بدلاً من أن يعالجونه علاجاً نفسياً ناجعاً، فإنّهم يعرّونه من ثيابه، و يعملون في رقبته زِنجيراً ثقيلاً، و يربطونه في شبّاك عالٍ، و يضربونه ضرباً وحشياً في النهار و الليل، و لمدّة عشرة أيام(35).

إنّ نصّ الحكاية السابقة يكشف إلى أي مدى كانت طرق المعالجة في المصحّات العقليّة في المدينة الإسلاميّة بدائيّة و متخلّفة. هذا إذا افترضنا أنّ هذا النصّ الحكائيّ يتقاطع(36)مع الواقع الحقيقيّ لأجنحة بيمارستانات المدينة الإسلاميّة الخاصّة بالأمراض العقليّة. على أنّه ليس من الضروريّ أن يكون واقع كلّ أجنحة بيمارستانات الأمراض العقليّة في بغداد العبّاسيّة سيّئاً إلى هذه الحال التي وصفها الراوي، إذا أخذنا انفتاح حكايات ألف ليلة و ليلة على مزيد من الأبعاد الأسطوريّة و التخيليّة و السحريّة من جهة، و إذا انطلقنا من بعض النصوص التاريخيّة التي سجلّتها المصادر و المراجع، و التي تثبت عكس ذلك من جهة أخرى.

لقد كانت البيمارستانات في المدينة الإسلاميّة تشتمل على قاعات عديدة لمعالجة عدد من الأمراض المتنوّعة، فكان فيها قاعة لمرضى الحميّات، و أخرى للرمد، و ثالثة للجراحة، و رابعة لمرضى الإسهال، و قد زوّدت بمطبخ لتجهيز طعام المرضى. و كان فيها موضع للأدوية و الأشربة(37)، يمكن أن يحل محل الصيدلية في المستشفيات المعاصرة. و كان للمصابين بالأمراض العقليّة نصيب من الرعاية في المدينة الإسلاميّة(38)، إذ خُصصت لهم أقسام في البيمارستانات الكبرى، و ربّما أنشئت مصحّات خاصّة بهم. و قد أشار أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسيّ (ت 327هـ/940م) في كتابه العقد الفريد، إلى وجود بيمارستان خاص بالمجانين في جنوب بغداد، و أشار إلى أنّ بيمارستان أحمد بن طولون(ت 270هـ/884م) في القطائع بمصر، قد ضمّ قسماً خاصّاً بذوي الأمراض العقليّة. و قد أشار الرحالة ابن جبير إلى أنّ بيمارستان دمشق كان به قسم خاصّ لهؤلاء المرضى، و أشار أيضاً إلى أنّ البيمارستان الذي عاينه بالقاهرة كان فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد، و قد اتّخذت محابس للمجانين الذين عُيّن لهم من يتفقّد أحوالهم كلّ يوم، و يقابلها بما يصلح لها، و لقي هؤلاء المرضى رعاية خاصّة في المدينة الإسلاميّة، إذ خُصّص لكلّ واحدٍ منهم مرافق يأخذه باللين و الرفق و يصحبه في الحدائق الجميلة، و يسمعه ترتيلاً هادئاً من آي الذكر الحكيم، ليطمئنّ به قلبه و تهدأ نفسه(39).

و إذا كانت هذه البيمارستانات التي تعالج الأمراض المتعددة، و منها النفسيّة و العقليّة، قد انتشرت في المدينة الإسلاميّة، فإنّه لا بدّ من وجود صيدليّات تؤمّن الأدوية لهذه البيمارستانات، سواء أكانت هذه الصيدليّات داخلها أم خارجها في شوارع المدينة. و قد عُرِف عن العرب

(33) سم س، 172/2.

(34) -م س، 173/2.

(35) - م س، 173/2.

(36) - لا أقصد بمفهوم التقاطع هنا معنى التباين أو الافتراق، بل الالتقاء و التداخل، و ذلك استناداً إلى مفهوم التقاطع في المجموعات الرياضيّة في الرياضيّات الحديثة،هذا المفهوم الذي يعني مجمل العناصر المشتركة بين مجموعتين، أو عدّة مجموعات.

(37) - عثمان، د. محمد عبد الستّار : المدينة الإسلاميّة، ص 250.

(38) - يشير الدكتور علي زيعور إلى أنّ المدينة الإسلاميّة احتوت على مؤسسة خاصّة لمعالجة المرضى العقليين (الذهانيين)، و المرضى النفسيين (العصابيين)، و كانت تحمل اسم (البيمارستان)، و أنّ هذه المدينة كانت رحومة بالطفل و العجائز، و المصابين بالأمراض المزمنة.

- "مكانة الصحة النفسيّة و العلاج النفسي في علم المدن الإسلاميّة"، مجلة الاجتهاد،دار الاجتهاد، بيروت، السنة الثانية، العدد السادس، ربيع 1990م / 1410هـ، ص 120.

أنّهم من أولّ الشعوب التي اهتمّت بتحضير العقاقير و الأدوية، و قد بحثوا عنها في البلاد البعيدة، فأحضروها من الهند و الصين، و اكتشفوا الكثير منها، و كانوا روّاداً في علم النبات(40)و استخلاص ما ينفع منه، و طـوّروا علم تركيب الأدوية، و فتحـوا الصيدليّات في المدن، فاقتبس طرقهم الصيادلة اللاحقون(41).

و تذكـر ألف ليلة و ليلة، و في حكايـة » نعمة و نعم « أنّ طبيباً أعجميّاً سـافر بصحبة (نعمة الله) إلى دمشـق، ليساعده في جلب زوجته التي خطفها الحجّاج بن يوسف الثقفي، و أهداها إلى الخليفة عبـد الملك بن مـروان. و عندما وصلا إلى دمشـق اسـتأجر الطبيب العجمـي ـ لا يذكر الراوي اسـماً لـه ـ مكاناً و حوّلـه إلى صيدليّة. و يسـمي الراوي هذه الصيدليّة بالدكان. يقـول(42): » ثمّ إنّهما وصلا إلى دمشـق و أقاما فيها ثلاثة أيام، و بعد ذلك أخذ الأعجميّ دكّاناً و مـلأ رفوفه بالصينيّ النفيـس و الأغطية، و زركش الرفوف بالذهب و القطـع الثمينة، و وضع قدّامه أواني من القناني فيها سـائر الأدهان و سائر الأشربة، و وضع حول القناني أقداحاً من البلّور و حطّ الاصطرلاب قدّامه، و لبس أثواب الحكمة و الطبّ. «.

و يبدو من خلال النص السابق أنّه كانت للأطبّاء و الصيادلة ثياب خاصّـة يرتدونها، و هم على رأس عملهم، و تميّزهم عن غيرهم من بقيّـة أفراد المجتمـع. و هذه حال حضاريّة تدلّ عـلى أنّه كان هناك نـوع مـن التنظيم للمهن و الحـرف في المدينة الإسـلاميّة. و إذا كان الراوي في الحكاية السـابقة قد ذكر أنّ هـذه الصيدليّة تقع في مدينة دمشق ، فإنّه لم يبتعد كثيراً عمّا قد شهدته المدينة الإسلاميّة من تطوّر في صناعة العقاقير الطبيّة، فقد كان للمسـلمين باع طويل في كشـف الكثير من الأدوية المستخلصة من الأشجار و النباتات، و » في مقدمتها الكافـور(43)، و الصنـدّل(44)، و الرواند(45)،و المِسْـك المرّ(46)، و التمـر الهنـدي(47)، و الحنظل(48)، و جوز الطيب(49)، و القِرفـة(50)، و غيرها. كـما ابتدعوا صنوفاً من الشراب و الكحول و المستحلب و الخلاصة العطريّة و نحوها. «(51).

(39) ــ عن / عاشور، د. سعيد عبد الفتاح: "الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلاميّة"،مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام ، الكويت،المجلد الحادي عشر، العدد الأول، أبريل، مايو، يونيو، 1980م، ص 115.

(40) - لقد كان التقدم الذي أحرزه العرب في ميادين الطبّ، في الكيمياء و علم النبات، لا يقلّ عن التقـدّم الـذي كانوا قد أحرزوه في الطبّ نفسه. و يعتبر جابر بن حيّان (ت199هـــ/815م)، الـذي بلـغ أوج عبقريتـه العلميّـة عام 157هـ / 775م، الأب الحقيقي لعلم الكيمياء الإسلامي، إذ أصبحت رسائله في الكيمياء، حوالي القـرن الرابـع عشر للميلاد (الثامن للهجرة)، أكثر التصانيف أثراً في آسية و أوروبة، و كان علماء الكيمياء المسلمون في كلّ مكـان يعدّون جابراً أستاذاً لهم.

- حتّي، د. فيليب: الإسلام منهج حياة، تعريب د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، آذار 1983م، ص 229 ــ 230.

(41) - الخازن، د. وليم: الحضارة العباسيّة، ص 120.

(42) - ألف ليلة و ليلة، 331/2.

(43) - الكافور: شجرة من فصيلة الغاريّات مهدها الأصلي جنوب الصين، أوراقها دائمة و أزهارها ضاربة إلى الصفرة، يستخرج منها مادّة عطريّة تستعمل في الطبّ.

- المنجد في اللغة، مادة: كفر، ص 691.

(44) - الصندل: جنس شجر هنديّ، أبيض الزهر، خشبه طيّب الرائحة، يحمل ثمراً من عناقيد و له حـبّ أخـضر. و خـشب الصندل من الأدوية القلبيّة.

- م س، مادة: صند، ص 437.

(45) - الصندل: جنس شجر هنديّ، أبيض الزهر، خشبه طيّب الرائحة، يحمل ثمراً من عناقيد و له حـبّ أخـضر. و خـشب الصندل من الأدوية القلبيّة.

- م س، مادة: صند، ص 437.

(46) - المِسْك: جنس زهر من فصيلة النرجسيّات، مكسيكيّ الأصل، تتجمع أوراقه عند القاعدة. أزهاره بيضاء شائكة لها رائحة ذكيّة جداً.

- م س، مادة: مَسَك، ص 762.

و عـلى الرغم من أهميّة البيمارسـتانات في المدينة الإسـلاميّة، و دورهـا العلاجيّ و الإنسـانيّ، و قدرتهـا على تخفيف آلام الناس، فـإنّ رواة ألف ليلة و ليلة لم يولوها الأهميّة التي تسـتحقّها، إذ مرّوا مـروراً سريعاً عليها دون أن يتعمّقوا في وصفها أو وصف طرق العلاج فيهـا. و هي في حكايات الليالي لا ترقى إلى مسـتوى الحمّام أو القصر أو مقصورة الجارية، و هي لا تسـهم في نمو الحكاية و تشعّبها، لأنّها تبدو فضاءات مغلقة بالنسبة لنموّ الحدث الحكائيّ، و ذلك لأنّ المرضى الذين يدخلونها، تُشلّ حركاتهم بسبب عجزهم عن المغامرة و الكشف، و لا يسـتطيعون الارتحال مع الوحدات السرديّـة إلى مدن جديدة و بعيـدة. و مـن هنا فإنّ بعض الرواة يسـعفون أبطالهـم بالنجدة، و يمنعونهم من دخول البيمارستانات، و هم على أبوابها، لأنّ هذا المنع من شـأنه أن يحرّر الأبطـال، و بالتالي يدفعهـم إلى الارتحال. و بهذا يكون الراوي، و على مستوى البنية الحكائيّة، قد زاد من مساحة السرد و وسّـع من فضاءات الأزمنة و الأمكنة التي يتحرّك من خلالها أبطال الحكايـة. يُضاف إلى ذلـك أنّنا أمام رواة مُؤدلجين ضدّ بيمارسـتانات مدنهم الإسـلاميّة، فهم لا يرونها إلاّ فضاءات للموت و التعذيب. و ربّما تكون هذه الرؤية متشـكّلة ممّا سـمعه أو قرأه هؤلاء الرواة عن واقع مشافي أوروبا، إذ كان المصابون بالأمراض العقليّة يُكبّلون بسلاسل من حديد، و يتعرّضون للتعذيب الشـديد داخل هذه المشافي(52). و ربّما تكون متشكّلة من الواقع الحقيقي لبعض البيمارستانات في الدولة الإسلاميّة، لأنّ مرضى بعض هذه البيمارستانات كانوا يُربطون بسلاسل حديديّة إذا ظهر أنّهم يشكّلون خطراً(53)على من حولهم من المرضى و الأطبّاء.

(47) - التمر الهندي: شجر كبير، أصله هندي، ثمّ زرع في أكثر البلدان الحارّة. تستعمل ثماره كمسهّل، و يُستعمل جذعه للقبض. زهره مفيد ضدّ هيجان الكبد، و خشبه جيّد للغاية.

-م س، مادة: ثَمَرَ، ص 64.

(48) - الحنظل: نبات يمتدّ على الأرض كالبطيخ لكنّه أصغر منه جداً و هو سام. يستعملونه في الطب، و يضرب المثـل بمرارتـه، فيقال: "أمرّ من الحنظل".

(49) - الحنظل: نبات يمتدّ على الأرض كالبطيخ لكنّه أصغر منه جداً و هو سام. يستعملونه في الطب، و يضرب المثـل بمرارتـه، فيقال: "أمرّ من الحنظل".

- م س، مادة: حنظ، ص 158.

(50) - القرفة: / القشرة /: جنس شجر من فصيلة الغاريّات مهده الأصلي جزيرة سيلان. أوراقه بيـضويّة الـشكل، يـزرع في البلدان الحارّة. يُستخرج من قشرة أغصانه الفتيّة مطيّب حادّ الطعم. هو التابل المعروف.

- المنجد في اللغة، مادة: قَرَفَ، ص 622.

(51) - الطويل، د. توفيق: في تراثنا العربيّ الإسلاميّ، ص 112.

(52) - الطويل،د. توفيق: في تراثنا العربي الإسلاميّ، ص 115.

(53) - شمس الدين، د. فؤاد: "المدينة العربية من المرفق إلى الطراز"، ص 128.

انتهى المقال

المصادر والمراجع

الكتب العربية

(1) – ألف ليلة وليلة، مكتبة الحياة التي اعتمدتها هذه الدراسة. بيروت، دون تاريخ، أربع مجلدات.

(2) – حسن، د. حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،(العصر العباسي الثاني في الشرق و مصر والمغرب والأندلس) ،دار الجيل ، بيروت/مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة،1991م، المجلد الرابع.

(3) – الخازن، د. وليم: الحضارة العباسيّة،دار المشرق، بيروت،الطبعة الثانيّة، 1992م.

(4) – ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،مقدّمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثالث' محرم1401 هـ/1980م، الجزء الثاني، والجزء الثالث.

(5) - الدّميري ،كمال الدين محمد بن موسى :حياة الحيوان الكبرى، دون محقق، دار الألباب، بيروت/دمشق، دون تاريخ، المجلد الأول.

(6) - الطويل، د. توفيق: في تراثنا العربي الإسلاميّ،سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، العدد السابع والثمانون، الطبعةالأولى، جمادى الآخرة 1405هـ/آذار (مارس)، 1985م.

(7) - عاشور، د. سعيد عبد الفتاح: المرأة و المؤسسات الاجتماعيّة في الحضارة العربية، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة (تونس) ، طبعة 1994 م.

(8) -عثمان، د. محمد عبد الستار: المدينة الإسلاميّة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 128، الطبعة الأولى،آب(أغسطس) 1988م.

(9) - الفنجري، د. أحمد شوقي: العلوم الإسلاميّة، مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، الطبعة الأولى 1985م، الجزء الثالث.

(10) – نادر، د. ألبير نصري: في شرح كتاب "أبو نصر الفارابي - كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين "، دار المشرق، بيروت، الطبعة الرابعة، دون تاريخ.

الكتب المترجمة

(1) - بلسنر، مارتن؛ Plessner,M، وآخرون : في: تراث الإسلام، تصنيف جوزيف شاخت و كليفورد بوزورث، ترجمة د. حسين مؤنس و إحسان صدقي العمد، المجلس الوطني للقافة و الفنون و الآداب، الكويت، "سلسلة عالم المعرفة"، العدد 234، الطبعة الثالثة، صفر 1419هـ/حزيران (يونيو)، 1998م، الجزء الثاني.

(2) حتّي، د. فيليب: الإسلام منهج حياة، تعريب د. عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، آذار 1983م.

(3) - لاندو، روم: الإسلام و العرب، تعريب منيرالبعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت، الطبعة الثانية،كانون الأول 1977م.

المعاجم والموسوعات

(1) - العلايلي، عبد الله؛ و آخرون: المنجد في الأعلام،دار المشرق، بيروت،الطبعة العاشرة، 1980م.

(2) - معلوف، لويس: المنجد في اللغة، ،منشورات اسماعيليان، طهران/دا المشرق، بيروت، الطبعة الحادية والعشرون، كانون الثاني 1973م.

(3) - نخبة من أساتذة الجامعات:: موسوعة بهجة المعرفة - مسيرة الحضارة،إشراف الصادق النيهوم، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،طرابلس/ليبيا، طبعة إيطاليا،1982م،المجلد الأول، المجموعة الثانية.

المجلات

(1) –زيعور، د. علي : "مكانة الصحة النفسيّة و العلاج النفسي في علم المدن الإسلاميّة"، مجلة الاجتهاد،دار الاجتهاد، بيروت، السنة الثانية، العدد السادس، ربيع 1990م / 1410هـ

(2) –عاشور، د. سعيد عبد الفتاح: "الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلاميّة"،مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام ، الكويت،المجلد الحادي عشر، العدد الأول، أبريل، مايو، يونيو، 1980م.

(3) - فؤاد شمس الدين: " المدينة العربية من المرفق إلى الطراز"، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، المجلد الثالث، العدد العاشر، أيار/ حزيران 1991م.

(4) - الولي، طه: "المدينة الإسلاميّة"،في: مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، بيروت/الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس (ليبيا)، أكتوبر/نوفمبر، 1982م،العدد التاسع و العشرون.

الرؤية والواقع، قراءة في رواية خلاصات النزف للروائي الأردني أحمد العرود

إعداد
الدكتورة نجود عطا الله الحوامدة
جامعة جرش الأهلية ــ الأردن

حفلت رواية خلاصات النزف بمشاهد من الإحباطات التاريخية التي ينوء بها الواقع الراهن ، وقدمتها بلغة شعرية أبانت عن مساحات لغوية، فكشفت عن موهبة الروائي ووعيه، وموضوعية رؤيته الخاصة وحياديتها. فلم تطغَ الرؤية الأيديولوجية فيها على البنية اللغوية للنص الروائي ، وتجنبت المباشرة والوعظية بكفاية، على رغم اقتضاء التشخيص والمعالجة لمثل هذين الأسلوبين،ولم تجرِ اللغة،رغم الافتتان بها، على الطرح الأيديولوجي .ومن خلال المقاربة النقدية لبنية الرواية، ثارت مجموعة من أسئلة مشروعة،في مقدمتها: هل كانت خلاصات النزف وسيلة للتعبير،أم دعوة للتغيير؟ وهل كان النص بحمولاته الفنية،إبداعاً له خصوصيته في تشخيص التحديات،أم رؤية واقعية للعالم المعيش؟ ولعل هذا ما سيحاول أن يجيب عنه متن البحث.

Vision and Reality. A Reading in Jordanian Novelist

Ahmad Al-Aerod's

Novel Khulasaat Al-Nazf (What's Left)

ABSTRACT

Khulasaat Al-Nazf (What's Left!) is a novel rich in scenes of historic frustration clearly seen in the status quo (present situation). The way these scenes presented within the novel in the form of a poetic language implies the skill and awareness of the novelist to employ the linguistic features in an objective and neutral way in order to avoid directness and preaching. Although the diagnosis and treatment of such styles need an ideological background, the language used is free of any ideological thoughts. Through the critical examination of the novel structure, many legitimate questions have been raised as to : whether Khulasaat Al-Nazf is a means of expression or a call for change, and whether the text loaded by the artistic features is a creative work with exclusiveness in diagnosing reality, or a factual vision for the world lived in. These questions would be answered in the present paper.

ليس بغريب أن تتشابك إشكاليات الواقع الراهن والرؤى، في لُحمة العمل الأدبي في ظل حقيقة قارة مفادها: أن الإبداعات الأدبية ما هي إلا ثمـرة نتاج إنسـاني يعايش الواقع، ويتأثر بـه، مكوناً علاقة تبادلية يعبر عنها النص الأدبي، فيكون له خصوصيته مع تعالقه بمعايير تحكمه وتوجهه.

ولا يغفل الذهن مبدأ المحاكاة الأرسـطي، فمفهوم أرسـطو للفن ينطلق من كونـه إيحاءً ومحاكاة للواقـع(1)، وفي المحاكاة تقابل بين الفـن والواقع الاجتماعي، الـذي تعبر عنه، والمحـاكاة أيضاً تنظر إلى الأديـب على أنه يمتلك القـدرة على عكس الواقع في فنه . ومهما يكن النـص الأدبي، في تجلياتـه الفنية، فإن بعض الأدبـاء يُحمّلون أعمالهم بـرؤى وتجليات، تجعل منهـا نصوصاً فكرية وذهنيـة ." فقد لعبت الثقافـة والأيديولوجيات دائماً دوراً مهماً في الحياة(2)، وقد صور ذلك الأدب ولاسـيما الروايات، والأمثلة كثيرة، نختار منها ، نموذجاً للدراسة، رواية الروائي الأردني أحمد العرود (خلاصات النزف)(3).

تنتظم رواية (خلاصات النزف) خمسـة فصول، مثوِّرة المرسل إليه برؤية (أدوسـيوس بطل حرب طروادة في ملحمة الأوديسة الإغريقية، لهيمروس وهو الذي حقق النصر لأمته، وقد اسـتلهمه الروائي أملاً في تثويـر أمجاد الأمة العربية)(4)، التي تجلت عبر متن الرواية في فصلها الأول:عتبـات المقدس, و الثاني حبنا عذري، والثالث فسيفسـاء فوق الماء، والرابع شقوق في سطح رخامي، وفصلها الأخير الزرافة المحترقة.

والعمل الأدبي لا يعّبر عـن رؤية الواقع(5)، إلا عندما يكون هناك حـراك يثوِّر الوعي في المجتمع، وطموح نحو قيم جديدة، ولهذا عرّف (لوسـيان غولدمان) الرواية الحديثة بأنهـا: "بحث عن قيم أصيلة في عـالم منحط"(6)من هذا الفهم لـدور الأدب وعلاقتـه بالواقع، نجد روايـة (خلاصات النزف) تتجاوز، في رؤيتها، الواقعي، وتعمل من أجل البحث عن قيم الأصالة التي يفتقدها الواقع، وهذا سر رؤية الواقعي الفني والإنسـاني لأي عمل إبداعي، على أسـاس أنه ليس عملاً ثانوياً في حياة الإنسـان، فالرواية هي إبداع يساهم في إغناء الرؤية الفكرية للمجتمـع،إذ تمارس تأثيرها فكرياً في الواقع ، بحسـب طروحاتها. إن عمـلاً فنياً مـن هذا القبيل، يتصـدى لنقد الواقع ، مـن خلال تصور مسـبق لبدائل، لابد أن يعتمد على أيديولوجيا معينة ، وبحسب رأي (دونالـد. ر. كيلي): " تصبـح الأيديولوجيا بطرق متصاعدة، جزءاً دائماً من التراث الفكـري، وحتى عندما توضع المادة جانباً، أو تصبح قديمة ، يمكن الحفاظ على شـكل الأيديولوجية، ويسـتمر الوعي أو الجذب، ليكون عاملاً بارزاً في الفكر والممارسة "(7).

وبـرأي (كاترين بيلـسي): يفترض الحس السـليم أن النصوص الأدبية القيمة، التي تستحق القراءة من منظور خاص، تعبر في الحقيقة عـن الفترة التي أنتجت النصوص،وعن العالم بشـكل عام، لذلك فإنها تعبر عن الإدراكات الخاصة، والبصائر الفردية لمؤلفيها(8).

وبنـاءً على هـذا التصور، فإن روايـة (خلاصات النـزف) تحدد موقعهـا الأيديولوجي انطلاقاً من رؤيتها الفكريـة والاجتماعية، التي تبلورت بعد الانتكاسـات التاريخية والاجتماعية التي مُني بها الواقع العـربي، والتي حفلت بكل هذا الإحبـاط التاريخي ، لتقدمه بلغة شـعرية وإن كانت تمثل الرؤية الأيديولوجية، التي هيمنت على البناء الفكري للنص الروائي.

ولفهـم أعمق للرؤيـة الأيديولوجيـة في الروايـة، أرى بنا حاجة إلى مقاربـة أكثر لمفهـوم الأيديولوجيا، ويعرف (بوريس أوسبنسـكي) الأيديولوجيـا: "بأنهـا منظومـة القيم العامـة لرؤية العـالم ذهنياً" (9). فالأيديولوجيـا0(*) مصطلح ابتدعه الفكر الإنسـاني، قبل القرن العشرين، واكتسح به النشاط السياسي والاجتماعي، بخاصة بعد القرن العشرين.

ومن هنا يبدو العمل الفني للمرسل إليه، أكثر فاعلية، عندما يجد معطيـات الواقع ماثلة قيـد النقد المنهجي ممكنـة التصول والمثول، وبحسب رأي (هورنت ريدكر): " فإن القارئ، بعد أن يتلقى النبضات من العمل الفني، ينشئ لنفسه صورة العالم المماثلة بتلك الرؤية التي يبسـطها أمامه الأدب، مما يعطي العمل الفنـي كمية غير قليلة من النبضات والإشـارات، التي بإمكانها أن تثير بفعـل التداعي مجموعة كاملـة من التصورات المفصلة، التي تنشـئ بمجملهـا لوحة تصورات القارئ" (10)

ومـما ينبغي أن نأخذه بالحسـبان،عند مقاربة أي عمل أدبي، وفي قراءتنا لرؤية (أدوسـيوس) بخاصة، فالفضـاء الأيديولوجي، في العمل الأدبي ، ليس كما هو في السـياقات المطروحـة، فحينما تتلاقح الرؤية الأيديولوجية ،في عمق النص الأدبي، سـتذوب في البنية اللغوية ووعي المبدع، لتنوب عنه في التعبير والمحيط الذي يعيشـه، وهذا هو عين ما أشـار إليه (تودوروف وباختين)، إذ بيّنا: "أن القسـم الداخلي لا يمكن أن يشـحن لاعتبارات الذات الفردية ومن أجلها، ويؤخذ معزولاً عنها، إنه ينتسـب إلى الفردية ومن أجلها، ويؤخذ معزولاً عنها، إنه ينتسب إلى الفرد، إلى مجموعته الاجتماعية ومحيطه، فحتى أصير واعياً لذاتي، أحاول أن أرى نفسي من خلال عيني شخص آخر"(11)

ولعـل مثل هذا الفهم هو الذي دفـع بالناقد (جورج بليخانوف) ليقـول: "إن القول بأن الفن، وكذلك الأدب ، انعكاس للحياة ،لا يعدو الإفصـاح عن فكرة هي في صحتها في غاية الإيهام"(12)، فالمبدع هذا إنسـان له مرجعياته ورؤيته، كما أنـه ابن المجتمع الذي هو بفضائه. وبـرأي(بليخانوف): " إن كل أيديولوجيا، بما فيها الفن، وما يسـمى بالآداب الجميلة إنما تعبر عن الميول والأحوال النفسية، لمجتمع بعينه ، إذا كان هذا المجتمع منقسماً إلى طبقات"(13).

ومصطلـح الأيديولوجيا، المأخوذ عن (لويس ألثوسـير)، يشـير إلى أن: "الأيديولوجيـا ليس فائضاً اختيارياً، يتبنـاه بأريحية الأفراد الذين يتمتعون بوعي دقيق، إنها أمر مسلم به جدلاً، ولا يتطرق إليه الشك،

فالأيديولوجيا تعمل بالاقتران مع الممارسة السياسية والاقتصادية لتؤلف التشكيلة الاجتماعية "(14). ويوضح (ألثوسير) مفهوم الخطاب، بأنه ما هو إلا استعمال اللغة، وأسلوب خاص فيها، وتشير إلى ذلك (كاترين بيلسي): " فإن الأيديولوجيا تتجسد في الكلمات، لكنها أسلوب تفكير وكلام وتجريب" (15)

في ضوء هذه المفاهيم ، سيتم التعامل مع الرؤية إلى الواقع، في العمل الذي هو قيد الدراسة: وعند دراسة النص من حيث الرؤية الأيديولوجية لا بد أيضاً من الالتفات إلى المحاور المهمة في العملية الإبداعية التي هي: المرسل والخلفية المرجعية له، و(الرسالة) النص بحمولاته الأيديولوجية، و(المرسل إليه) وثقافته وما هي المؤثرات فيه. وهذا ما جاء عند الناقد (حميد لحميداني) في دراسته للرؤية الأيديولوجية في الأدب، فقد أشار إلى:

أ. الرواية باعتبارها فضاءً أيديولوجياً.

ب. الأيديولوجيا في الفضاء الروائي بما يحمله النص الروائي من كثافة الفكرة، وكثافة فنية، وعلى هذا فإن رواية (خلاصات النزف) تمثل جانب الأيديولوجيا في الفضاء الروائي، وقراءتها تتطلب من ثَم تسلحاً مسبقاً بمعرفة خاصة بأبعادها وعلاماتها، وخاصة لأنها تحفل بتداخلات تناصيّة مكثفة، تحتاج ذاكرة باحثة تسهم في تفكيك المتن(16).

وينبغي ألا يخفى على دارس أي نص أدبي، الملاحظة الدقيقة للمضمون وعناصره الموظفة بصورة واضحة، على امتداد الزمان والمكان، والأحداث، والشخوص وحتى اللغة التي يقدم بها النص، بما تحمله من ترميز وإيحاء، حينها يكون النص في السياق الأيديولوجي بكليته، فيتراجع السياق اللغوي لصالح الأيديولوجي، وفي هذا السياق نستذكر رأي للناقد (خلدون الشمعة) الذي رأى في هذا الصنف من الإبداع طرفاً من الصخب الإعلامي يحمس الجماهير. إذ يقول:

"إذا قُدر لمؤرخ أدبي أن يرسم صورة للمشهد الأدبي العربي المعاصر، فسيكشف طائعاً، وغير طائع، أن البوق والأزيز الدعائي، كل هذه الملامح الضريرة التي احتفى بها النقد العربي الحديث عندما اعتبر أن قضية المضمون، هي الأدب كله، وليست شقاً في عملية الإبداع، لم تلبث أن أعلنت عن إخفاقها الذريع" (17)

وتكشف الملاحظة الدقيقة أن نص رواية خلاصات النزف، لا ينطبق عليه مثل هذا الرأي بحال، فقد كان غنياً وثرياً بسياقاته اللغوية، إذ تغيا الروائي في نصه شعرية اللغة(*) على امتداد النص

ويشير (لحميداني) إلى أن "آراء الكاتب لا تشكل في البداية إلا طرفاً واحداً من حدود الصراع الأيديولوجي، ولا يتنبه القارئ إلى مشروع الكاتب الأيديولوجي إلا بعد أن يكون قد انتهى من قراءة العمل" (18)

وأما الناقد (علي حرب) فقد ذكر: "أن الخطاب يقع أسير إشكالاته"(19) فإذا انطوى الخطاب على الأبعاد الأيديولوجية، فإن حوار النص وفكرته وأبعاده تقود إلى عوالم النص.

إن كل عمل أدبي لا يمكن فهمه فهماً صحيحاً ، اعتماداً على تحليل بنيته الداخلية فقط، لأنه حصيلة الواقع الاجتماعي كله، وفي المقابل يمكن فهم النص الروائي من خلال البنية الدالة على تركيبته، وممارسة القراءة للنص، لقد أدرك كل من (جاك لاكان، ولويس ألثوسير, وجاك دريدرا) أن الذاتية وعقل الفرد والكينونة الداخلية، تمثل مصدر الفعل والمعنى، وأن فكرة النص تبوح بالحقيقة، يدركها شخص ما (المبدع)، فتكون بصائره مصدر المعنى للنص 20

وانطلاقاً من مسلّمة أن العمل الأدبي يعد بنية متماسكة ذات دلالة، فإذا اعتبرنا أن رواية (خلاصات النزف) تشكل بنية روائية متماسكة، بأحداثها وشخوصها ومكانها وزمانها، وأنها ترتبط بإشارات تفرضها الحياة داخل المجتمع، يصبح لازماً الكشف عن رؤية أودوسيوس للعالم الواقعي، التي يتحكم فيها. والسؤال المطروح: هل حدد أودوسيوس رؤيتة للعالم؟، عالمه هو.

والرؤية للعالم، كما عرفها (لوسيان غولدمان): "هي مجموعة التطلعات والأحاسيس والأفكار التي تجمع بين أعضاء طائفة ما وتجعهم يعارضون الطوائف الأخرى، إنها بعبارة أخرى، كل مجموعة بشرية تحتل موقعاً داخل المجتمع، وتحاول، من خلال موقعها ذاك، أن تشارك في تغييره وبنائه"(21). إنه مصطلح بالغ الأهمية أضيف إلى المصطلحات التعبيرية، لتفسير المنحى التوثيقي التاريخي في النص الأدبي، وتشخيص القيم الفنية للنص، عبر الاستنطاق الأيديولوجي لرؤية العالم لشخوص الرواية.

يمكن تبيُّن أهمية هذه الرواية، في ظل رؤيتها التصويرية للحقب التاريخية، ومراحل الصراع التاريخي والاجتماعي، المتمثلة بإدراك أودوسيوس للحقائق التي مرت به. وبحسب رأي (جودي بطاينة) فإن :" الأبعاد الأيديولوجية واضحة من خلال السياقات التي ترد على لسان الشخوص، ولاسيما البعد السياسي المضمر والكامن في باطن الكلام،وهذا ما يلفت الانتباه، ويحمل المتلقي على تمثل المرحلة، وبالتالي تكوين وجهة نظر تجاه ما هو مطروح من قضايا في هذا العمل الإبداعي ".(22)

إن مقاربة نقدية واعية، لمتن (خلاصات النزف)، كافية لتبين لنا الفضاءات الروائية المتعارف عليها، فهناك فضاء الزمن: وهو الزمن العربي، بمرجعياته التاريخية إلى الراهن، وأما المكان: فهو فضاء الوطن العربي، بأحداثه على امتداد خارطة الوطن العربي الحمراء والخضراء والصفراء23)، وأما الشخوص: فنجدها مختزلة بـ(سيرين وهي واحدة من مخلوقات أسطورية لكل منهن رأس حسناء وجسم طير، كن يتغنين غناءً ساحرا على شاطئهن الصخري، فيغوين البحارة الذين حالما يسمعونهن، يحولون سفنهم نحوهن، فترتطم بالصخور،

وتتحطـم فيذهب البحارة ضحية الغواية ، وكان ما ترنمن به، تقرب يا أودوسيوس الشـهير، يا صاحب المجد، أوقف سفينتك, وتعال إلينا...) (*)، و(أدوسيوس) كل عربي مؤطر في زمانه ومكانه. يقول أودسيوس:

"أخـذ المعلـم يحاورنـا في حدود هـذا الوطن لغتـه... دينه... عاداتـه... تقاليـده... تاريخـه المشـترك... وحدتـه الاقتصادية... السياسية... العسكرية"(2).

وبحسـب رأي (عبد الرحمن أبـو علي) تكون " أهمية الرأي هي في العلاقة التي يقيمها الكاتب بين الأشـياء والقصة "(2)، لكننا في النـص الأدبي، ليس أمامنا راءٍ عائم، وإنما راءٍ له مرجعية، راءٍ قادر على التمثل وإقامة المشاهد لعالمه.

ومـا إن نتوغل أكـثر في متن النص حتى نجـد أن الخطاب الروائي في خلاصات النـزف مُحمَّل بالبنى الأيديولوجيـة، وباللوحات الزمنية الاسـترجاعية، والزمن الأيديولوجـي يتضح في فضاء النـص بدءاً من الحروب القبلية، وبخاصة حرب البسـوس بين كليب وجساس، وزمنها الأكبر المعاصر في الحروب من (هزيمـة حزيران 1967، مروراً بالحرب الإسرائيلية على لبنان، والحروب العربية العربية، وانتهاءً بالحرب على العـراق في عاصفة الصحراء) على هذا الأسـاس، يمكن لنا فهم الرواية فهماً يخضع، قبل أي اعتبار آخر، للاستنطاق الواقعي، والحقيقي.

لقـد كان النص مفعماً بدلالات وإشـارات ضافيـة، بحيث أمدنا بمفاتيح أساسـية لرؤية الروائي، فالشخصيتان الرئيستان الوحيدتان في الرواية، تتمتعان بحيوية وديناميةظاهرتين، وهما تنتميان معاً إلى فئة مثقفـة واعية، والأحداث كانت متتابعة متتاليـة ،على مدى الخارطة الزمنية للواقع العربي كما صورته الرواية.

وبحسـب رأي (محمد بـرادة) فإنه بالقـراءة الناقدة، "يصوغ القـارئ صمت النص ودلالاتـه الهاربة، إلى لغة يولـد فيها أبداً بهذه الصياغـة ضياء اللامنظـور، الخفي التالف لأن يكـون حضوراً دائماً في الزمن"(2)، وفي الفضاء العام للنص الروائي .

اسـتمدت هذه الرواية أهميتها من تاريخها، الذي يشـكل المجال الزمني الحيوي لتحرك الحدث من خلال حركة الشخصيتين وحوارهما المشـتجر دائماً ، فبدايتها هي بالضبط بداية، الاشتغال والرغبة، وهما نتيجة حتمية لواقع بات محكوماً عليه بالانهيار، أما الرغبة فهي حالة داخليـة وطموح الامتـلاك والفعل، امتلاك سـيرين الحرية والوحدة والحلم العربي، ورغبة أودوسيوس في امتلاك الواقع العربي أملاً بالتغيير.

ومـن هنا احتـل النص الروائي موقعـه داخل إطـار بنية الواقع (السوسـيو- ثقافي)، ذلك الواقع الذي كان (أودوسـيوس) يتحرك فيه، والذي يشكل الإطار المكاني للوطن العربي، أما الإطار الزمني فيعود إلى بداية وعيه لمغزى الحروب العربية الإسرائيلية.

كان انطـلاق هذه الرواية من مشـهد تاريخـي رؤيوي، يدخل في اللحظـة التاريخيـة الحاضرة منذ وعي (أدوسـيوس) عـلى الحروب، بحسـب رأي (خالدة سعيد) " وهي عتبة الرؤيا التي تتسع للأحداث الهائلـة والتحـولات، والرؤيا خروج مـن اللحظة الجزئيـة إلى لحظة يتعانـق فيها المـاضي والمسـتقبل"(2) فالراهن المجتمعـي يمتح منه الـروائي، ويصوره ويخاطبه سـواء تجاوز الإشـكالية الجغرافية، أم لم يتجاوزها، فدلالة البداية هي الخطوة نحو راهن المكان والزمان.

انطلـق الـروائي من ألم الهزيمة العربية، في حـرب حزيران 1968، هذا الحدث التحولي في مسـيرة إدراك (أودسـيوس الطفل) حينها، إذ ترك أثره في الوعي المبكر عنده، وقاده لاحقاً، من خلال الوعي المنظم المحاور، لينـاضل في برنامج وحدوي لإسـقاط هيمنة ،الروح الانهزامية الاستسلامية، إنها أيديولوجية (أودسيوس) التي يعيشها، والتي تنطلق مـن رؤيته لعالمه وواقعـه، في أبعاده المؤطـرة لأيديولوجيته في هذه الأبعاد، وهي:

1. البعد النفسي: تناقضات الإنسـان العـربي، وصراعه مع الواقع والنفس في مواجهته للتحديات:

وفي رأي اودسـيوس، الحائر في دوامة مفاهيـم الحب العذري، في واقعه العـربي القديم، وامتداده حتى الراهـن إلى هذا الزمن، يقول: " قيـس وليلى.. قيـس ولبنى... جميـل بثينة... كثيّر عـزة... عروة وعفراء... هذه أسماؤنا وهذا حبنا... هذه مساحتنا التي لم ينبت بها عشـب الوجود... حبنا عذري يا سيرين... هل الحب العذري صورة للنقـص؟ هل الحب العذري فقط عنـد العرب؟ هل عرفه أعداؤهم؟ وعندما مارسوه أصبحوا ضعفاء"(2).

إلى أن يصبـح في شـك من ثمار هذا الحـب والواقع المعيش، "هل العروبـة تكره الحب إلى هذا الحـد! إنهم يرفضون أن تقوم أي علاقة عـلى الحب... إنهـم يبحثون عـن الخيانة... ماذا سـيظهر لو تزوج هؤلاء؟"(29)

2. البعـد الوطني / القومي: المتمثـل في إدانة الواقع، بل للمصير العربي مـن قديمه إلى راهنه، وانهيار التجربـة القومية الوحدوية بين (مصر وسـوريا)، وعدم مقدرتها على امتلاك الماضي المشرق بانتصاراته وهزائمه، فضلاً عن عـدم المقدرة على امتلاك الوعي بالأخطار الراهنة المحدقة بها ، فأودوسـيوس شـغوف كلفٌ بالحكم التوحدي العربي، لذلـك فإن رأيه يعلنه قائلاً: "لا أحـب أن يكون حبنا عذرياً... الحب العذري لا ينجب، ولهذا، فإن الوحدة العربية الأولى لم تنجب... لكنها لم تكن عاقراً إننا أحببناها حباً عذرياً ." 30).

ويرفض أن يحب (سـيرين) الحرية على طريقـة الأولين: "لا أريد أن أحبك يا سـيرين على طريقة هؤلاء... لا تفهمي أن العذرية تتنافى مع الجسـد، إنها روحه، إنها صـورة لكيفية هذا الحب... العذرية أن نحفظ وجودنا" (31). لذلك فهو يدرك بوضوح ترابطية الهمّ الوطني

بالهـم القومي، ويريد الوحـدة للوطن العربي كامـلاً، دون تجزئة أو ضعف أو تفكك

3. البعـد الحضـاري للأمم: وما يوحيـه له هذا الفهـم لحضارة الغرب الفكرية والعسـكرية والسياسـية والأدبية والفنية، المتمثلة في إبداعات العباقرة، أمثال:(بيكاسـو وسـلفادور دالي) الرسام الإسباني، حيث كانت هذه الحضارات خالدة في الزمن، وثورّت الكامن في داخل (أودوسـيوس) لرؤية إشكالية الفكر في البقاء والخلود لأمثالهم، وامتد من (سلفادور دالي) عمق أيديولوجي آخر، وظّفه مع فنه، فتناغم مع خواطر أودوسيوس، وكان هذا التناغم والإحلال مع لوحة دالي (الزرافة المحترقة)، التي شكلت لحظة الخلود والتنوير، في داخل (أودوسيوس) حينما أحضر معلم التربية الفنية اللوحة موضوعاً للدرس فقال:

ـ "كنت في حينها يا سـيرين منغمسـاً في الجسد... جسد الإنسان الذي شـكله دالي... كيف اسـتطاع دالي أن يرسـم صورتك يا وطني دون أن يعيش مأسـاتك... منذ تلك اللحظة أصبحت الأجساد هي ما يؤرقني... وأسـعى إلى معرفتها مهما كلف الثمن... فقفزت من مكاني وقلت:

ـ سـلفادور دالي عربي يا أسـتاذ؟ صاح المعلم بأعلى صوته حنقاً... غضباً... أزماً... أسـفاً... أنت غبي. قلـت: ولم؟ قال: يجب أن تعرف أن اسـمه ليـس عـربي... قلـت: ألم تقولوا لنـا أن تاريخنـا فيه كل العلماء... والفنانين... والشـعراء... والفلاسفة والأطباء... والقادة... والمخترعين... والقتلة... والعدلة، ألم تكن إسـبانيا عربية يا أستاذ؟؟؟ ربما أنه من بقايانا هناك!؟"(32).

إنـه الخوف عـلى مصير الأمـة العربيـة الحضـاري، والفزع من هـذا التلاشي الـذي ينتابها جـرّاء الانهيـارات المتلاحقة،التي خلفتها مأسـاة حروبها الدائمة مـع إسرائيل، وبخاصة ما حـدث في الجنوب اللبناني، يقول (أودسـيوس): "كنت في السـنوات الجامعية الأولى... حينما دخلـت إسرائيل أرض الجنوب اللبنـاني الحبيب 1982، قامت المظاهرات، في كافة الدول العربية... والغربية... كالعادة... شـاركنا في مظاهـرات الجامعة... اعتصمنا... عبرنا عن حبنـا وانتمائنا لهذه العروبة... وتحاصر بيروت... سـبعين يوماً... سـبعين يوماً يا سيرين وجـنرالات (الهولي كوسـت) يقتلون... ويمرحون في مسـاحة الوطن البيضاء... لم تكن أفلام هوليود، أكثر خيالاً مما كان... (صبرا وشاتيلا) الشـاهد الحاضر على صورة حبنا العذري... لم يستطع حبنا أن يوقف عصابات الخزر... من أن يدوسوا كرامة الوطن" (33)

إنه ليحزنه هذا التفكك، وهذا الانهيار، اللذان تردّت فيهما الأمة ، لـذا فهو يقـول متألماً: "يا له من حبٍ عقيـم... لا بد من الهدنة... والانصياع إلى الشروط... حتى يتركنا العدو ويعود إلى أرضنا المحتلة... قبلنا الشروط... يخرج من أرضنا إلى أرضنا... من جسدي إلى جسدي" (34)

هذه العُطالة، عُطالة اتخاذ القرارات الوجودية، ثم انتشار الأحداث والتراكمات التاريخية داخل وعي أودوسـيوس، شكّلا نمطاً جديداً من الكتابة الأدبية، وقع في ملتقى الطريق لوعي الروائي. فاستمد من الأول صورة مُثلى للإنسـاني، ومن الثاني فكرة النص الروائي في فضحه للواقع تاريخياً.

إن تحديـداً مكثفـاً للرؤيـة الأيديولوجيـة يتبين، مـن خلاله، أن الروايـة قدمت الوعي الممكن، الذي يعد بمثابة مفتاح تحديد الرؤية الأيديولوجية، عبر حوارات أودوسـيوس وسـيرين المشتجرة، فلم يكن أودوسـيوس مغيباً عـن الواقع، منـذ الطفولة، بل استشـعر الهزيمة والنصر، وهذا ما أسهم في تشكيل جوهر النص الروائي في رؤية تساؤلية، تتشوف لسـبر غور الراهن العربي. فهو العربي المتسائل والمتحير دائماً، عبر الزمان والمكان، ينتكس يتألم على تقطيع الوطن العربي، فيقول:

"أصبحنـا أكـثر بعداً عـن البحر... والسـمك... وأكـثر قرباً من الجوع... سيناء اقتطعت من مصر، والضفة الغربية من نهر الأردن... هضبة الجولان من سوريا... والجنوب من لبنان... كل هذا قطع من جسـدك... يا وطني... إنني لم أعد قادراً على الحب... إنني أصبحت أشك في ذكورتي..."0(35)

إنها الذكورة، وعودة الرجولة، والتوحد مع الجسـد العربي، ليعود إلى ممارسـة التشـكل في الوجود، فبقدر ما أفجعتـه الهزائم، أفرحته الانتصارات العربية، فيستذكر ذات يوم:

ـ "يقف مدير المدرسـة مخاطباً لهم: أبناءنـا الأعزاء... لقد دخل اليهـود إلى أرضنا... أرض الكرامة في الأردن واشـتبك معهم جيشـنا العربي... وما زالت المعارك مسـتمرة... ومكثنـا في بيوتنا... نتنصت الأخبـار، يـوم... يومـان... إلى أن قال المذيـع... لقد ارتـد العدو عـلى أعقابه... وهُـزم في أرض الكرامة... ومـا زال جيلنا يعيش تلك اللحظات... التي أعادت شـيئاً من ذكورتنا التي أحسسنا بفقدانها... إننـا لا نحب الحرب لكننا نحب الكرامة... ذلـك المكان الذي توافق اسـمه مع نهاية المعركة... لقد انتصرنا يا سـيرين... مسكين أبي الذي بكى... مات قبل أن يسمع كلمة النصر... لأول مرة أسمع كلمة النصر يا سيرين... سجل أيها التاريخ كلمة النصر..."(36).

تلك الانتصارات العربية، التي بدلت دواخل أودوسـيوس المعتقة بالقهـر، كما في كل نفس عربية، فيقول: "كنت في الثامنة من عمري لم أسـمع إلا الهزيمة... والنكبة... والنكسة... والعدوان الثلاثي... لكن هـذه المرة أخذنا نجد في قاموسـنا كلمات تحمـل كرامتنا، يا لها من لحظات عصيبة تلك التي تنقلنا من حالٍ إلى حال..."(37).

ما يـزال الحب في ثنايا الحـس العروبي، يتصاعـد عالياً من عمق الأيديولوجـي، ليتجسّـد في صـوت المذيع: " قامت القـوات المصرية والقوات السورية، بتوجيه ضربة قاصمة إلى قوات الاحتلال الصهيوني... وما تزال المعارك في أوجها... اسـتطاعت القـوات المصرية عبور خط

باريف... واستطاعت القوات السورية عبور منطقة القنيطرة... لقد بدأنا نحب يا سيرين... سنعيدك إلى سيرتك الأولى... لا تخافي... لم نخدع كما خدع أهل طروادة... "(38).

لكن الخديعة جاءت في الأحلام العربية، والتراجع عن الحب، ويكون (أودوسيوس) تحت ضغط إشكالية السؤال "هل تراجعنا عن الحب؟... هل صحيح أن من لا يستطيع أن يحب بإخلاص يتراجع؟"(39). فقال متألماً: "آه يا سيرين يا حبيبتي... لم نتفق على تسمية المعركة... في الشام "حرب تشرين"، وفي مصر "حرب أكتوبر" ،وعند أعدائنا "حرب يوم الغفران"... لم نستطع أن نسميها "حرب رمضان" ثمانية عشر يوماً... دفعنا من أجلك ما دفعنا..."(40).

فالنتيجة هي الأهم، إذ صغت الإشكاليّة الجديدة للواقع العربي ووضعته بين اللانصر، واللاهزيمة، تقول سيرين: "حبيبي ليس المهم في التسمية المهم في النتيجة..."(41).

تواصلت الهزائم في عمق (أودوسيوس)، ويصور ذلك بوحُه: " أصبحت الهزيمة ملاصقة لنا في كل شيء... لكن لن أهزم في حبك يا سيرين، ولأننا انتصرنا، كما قال سياسيونا... فقد اكتفينا من الانتصارات... كنت في أرشيف المكتبة... أتصفح بعض الصحف القديمة... فوقع تحت نظري قول الرئيس: "لا أعتراف... لا مفاوضات... لا هدنة مع العدو الإسرائيلي (لاءات ثلاثة) نظرت إلى التاريخ فوجدته قديماً... كان عمري فقط أربع سنوات..."(42)

وتتوالى المفاجآت على أودوسيوس، كما هي على الواقع الراهن... "كان جهاز التلفاز يبث مباشرة... صورة "سيد عربي" يخطب أمام الكنيست الإسرائيلي... ويعرض على أعداء الأمس الصلح... ما أقرب الأمس من اليوم"(43)، إنها الإصابة بالذهول واللامعقول، وهذا الاستسلام الرابع كبح جماح هذه (اللاءات).

إنه ركام من نصوص مشحونة بالرؤى الفكرية الأيديولوجية، محُملة بالفكرة المؤطرة للحدث في حينه، وما جرته، بعد ذلك، من تبعات، حتى الراهن، هذا ما تتكشف عنه الرواية حدثاً بعد حدث، فالحديث عن الحروب والانهزام والانتصار تجلى في الحديث عنه عبر مساحات نصيّة متعددة على صفحات المتن، باستخدام لغة سردية مفعمة بالشعرية.

أما هندسة النص، فقد قام على تقنيات القطع الزماني والمكاني، وعلى التشابك الزمني المتداخل بين الزمان والمكان، على نحو ما نجده عند أودوسيوس في قوله: "إن الأماكن هي التي تحملنا، والزمن هو الذي يقصينا..."(44).

ولعل من أشد الأسباب التي حملت أودوسيوس على التأثر، معايشته للأحداث والظروف المحيطة، والهزائم المتلاحقة في الواقع، وهذا ما ارتآه (سليمان الأزرعي) من أثر الهزائم على الروائيين الأردنيين، إذ أشار إلى "ظاهرة تفجرت في الرواية الأردنية بعد حزيران 1967 تحديداً، وهي ناتجة بسبب المراجعة التي أفضت بها الهزيمة، والتي مارسها الروائيون الأردنيون حينما وجدوا أنفسهم منقادين لمحاسبة الإنسان العربي ببعديه الراهن والتاريخي، فوجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام الموروث الذي أخذ شكل الأسطورة تارة، والحكاية الشعبية تارة أخرى، بصدد ربط الحاضر بالماضي . (45)

يتكئ الروائي، في نصه الروائي، على تقنيتي الأسطورة والفن،مما يجعل المرسل إليه يدرك ما يقاربه في الراهن، وهذه المقاربة تنتج شكلاً فنياً متميزاً، وبحسب قول (حميد لحميداني): " فالخصوصية والفرادة هما ما يعطيان للفضاء في النص الإبداعي قوة التميز والاختلاف عن صور الفضاء الواقعي، لأن قيمته حينئذٍ لا تكون مستمدة من خارج النص بل من داخله، أو على الأصح من السياق التخيلي الذي وضعنا في هذا الفضاء"(46).

فهذه(سيرين) الوجه الأسطوري "سيرين واحدة من مخلوقات أسطورية لكل منهن رأس حسناء وجسم طير..."(47)، والغول يبلع الوطن، وكما تقول الحكاية: "لم ير أحد في حياته غولاً... الغول كما تقول الحكاية... كان يشرب سبعة بحار... ويأكل سبع بقرات... ويصوم سبعة أيام... ويغيب سبعة شهور... حكاية طويلة عاشها أودوسيوس العرب"(48). ويشير (سمير روحي الفيصل) إلى أسطورة الغول: "يبدو للمهتمين في التراث الشعبي أن الخرافات الشعبية لا تخلق من الفراغ، فهي تعبير عما يجول في ضمير الشاعر، عن إحساسه الفطري بالظلم "(4).

إنها حكايات المستحيل، يقع فيها المرسل إليه، بفعل تثويري للمعطيات ،والعناصر المتعلقة بنسيج الرواية، حيث يشكل فعل الهزيمة والانكسار تكراراً لما حدث. ولا يخفى على المرسل إليه ما في البنية الفنية للنص الروائي، من الرؤية الأيديولوجية، التي يمكن تلمسها عبر تجليات متعددة، وبخاصة عبر استشعار (أودوسيوس) لذلك، في حشد الإيماءة العربية قديمها وحديثها، وصولاً إلى الفنية المطلوبة في السياق، ثم معرفة الدلالة والانزياح عن السياقات الفنية، وصولاً إلى الأسماء المحمّلة بالدلالات الأيديولوجية، ومن ثَم تشرع التأويلات بالتداعي لكونها علامات دالة على تواشجها مع السياق، على نحو ما جاء في النص الذي يغير حقيقة الأشياء:

- "إنه الحب، عندما أحب نبوخذ نصر قضى على اليهود... وعندما أحب "فردناند" "أزبيلا" أخرجونا من الأندلس... وعندما أحبت شجر الدر عز الدين أيبك توحدت مصر والشام... وعندما أحب "الكاوبوي" أمريكا اقتلع الهنود الحمر... واحتل أفغانستان... والعراق... وعندما أحب "ماوتسي تونغ" الصين حررها من اليابان، وعندما أحب "هوشي منه" فيتنام حررها من "الكاوبوي" وعندما أحب "هرتزل" الصهيونية احتل فلسطين، فمتى نحب نحن لنغير التاريخ؟" 50

إنها المقاربات الإشارية التي تتعالق مع النص، فتوضح دلالته وتشابكها مع السياق، ومن ثَم فلا بد من التساؤل بالسؤال المشروع، من هم هؤلاء الأعلام؟ ما المنجزات التي حققوها حتى اكتسبوا هذه المآثر الخالدة؟ وكيف كانت حالتهم الشعورية؟ فالحب يصنع المعجزات، وإيراد مثل هذا الحشد من الأسئلة،في السياق، وانتشاره عبر النص عامة،هو ما يقصد به أودوسيوس من تثوير المرسل إليه، أيديولوجياً عبر التعمق معه بهدف شحذ وعيه.

وتغدو رؤية (أودوسيوس) أكثر عمقاً، إذ أصبح النص محتضناً للفعل الحركي المتناقض، ما بين الماضي والحاضر، المتمثل في الصراع من أجل تثبيت الهوية العربية والوجود العربي، ومن خلال التناقض بينهما، يمكن أن نستشف المزيد من مظاهر الواقع الأيديولوجي التي تعبر عنه في الإدانة، التي قام عليها النص والتي تشتمل على :

صورة العقل العربي، وضياعه بين القديم والحديث، وبين الموروثات التاريخية، جاء في قول(أودسيوس) : "يا عروبتي... يا مصنع المعجزات... أين القادسية؟ أين اليرموك؟ أين الأندلس؟ أين بلاد الصين؟ أين الصليبيون؟ يا سعد بن أبي وقاص... يا خالد بن الوليد... يا أبا عبيدة... يا عبد الرحمن الداخل... يا محمد بن القاسم... لقد أبرّوا بيمينك فوطئت تراب الصين... يا صلاح الدين كيف دخلت القدس؟ بالله عليك قل لنا..." . (51)

إنها إحالات لثوابت دلالية، تشكل مرجعية، فحينما تنوب عن (أودسيوس)في التعبير، فإنها تغدو عاملاً مساعداً يقترب من المقصود، بانزياحاته الدلالية، فحتى يرى المرسل إليه الحقائق الأيديولوجية، ينبغي له أن يستشعر الماضي بأمجاده، وأعلامه لترتفع درجة الوعي الموضوعي مجدداً. لقد ورد توظيف هذا الحشد من الأسماء، وانتشر على مساحة النص، قصدياً ليشكل مثيراً أيديولوجياً، ليلفت نظر المرسل إليه، للبحث عن مقصد (أودوسيوس) تجاه الرؤية المبثوثة في السياق.

ويتضح أثر موقف الواقع الإعلامي العربي، وأسلوبه في إبراز خطر سيطرة وسائل الإعلام المبرمجة، وتغييب المواطن العربي عن واقعه، فقد شكل صوراً وهمية للحقائق، بحسب قول أودسيوس: "يرسمون أشياءهم في موقد التزييف"(52).

و من هذه الصور الوهمية ما يتذكره (أودوسيوس)، حينما كان صغيراً: "يأتي على مسامعي أصوات... منها ما يغني... ومنها ما يذيع الأخبار... لكن صوتاً منها... لا زال في أذني كان يخاطب السمك... ولعل هذا ما جعلني في ذلك العمر استغرب الخطاب الذي يجريه المذيع مع السمك... هل السمك يتكلم؟ كنت في حينها أصدق ذلك، ولكنني كنت أحب السمك... كنت عندما أذهب مع أصدقائي، إلى الوادي الذي بقرب بلدتنا، أجلس على حافة بركة الماء... وأخاطب السمك بما كنت أسمع تجوّع يا سمك"(53.

إنها العُطالة الفكرية التي يغذيها الإعلام لتغييب المواطن عن الحقائق في المقولة (تجوّع يا سمك)، وكان الانهيار للحلم العربي الكبير في الانتصار على الإسرائيليين، وقذفهم في البحر للسمك، " وقد اكتشفت ذلك بعدما كبرت ومات أبي، اكتشفت أنه الحلم العربي أودعناه البحر، بل جوف السمك"(54).

و ترى(كاترين بيلسي) في ذلك أنه: "يتم بناء الذات في اللغة والخطاب على شكل أيديولوجيا ، ويكون لها الأثر في تأسيس الأفراد كذوات"(55).

ويتنبه (أودوسيوس) إلى إصابة المؤسسة التعليمية التربوية بالعُطالة أيضاً، عبر التلقين، والقمع لسلطة الموروث والتقليدي، وزرع الخضوع في البنية الفكرية العربية، بدءاً من المراحل التربوية الأولى (لأودوسيوس)المتمثلة في السلطة الأبوية الأولى: "كنت أرهق يا حبيبتي والدي الأمي بالأسئلة... ما معنى هذا يا أبي؟ هل السمك يتكلم؟... لكنه كان يصمت لا يجيب... كان ينظر إليّ بعينيه الحائرتين ويقول لي: "منشان الله تسكت" (مسكين) أبي... يا سيرين... يسمع كلاماً لكنه لا يفهم مغزاه... وأعيد السؤال مرة... ومرة... لكن أبي كان دائماً يخلص من حرجه وعدم فهمه لما يدور من حوله بأن يطلب من والدتي أن تأخذني إلى منامي وتنهي هذا الحوار... لماذا يكرهون الحوار يا سيرين... ألأن الحوار يعرينا أمام أنفسنا... إنهم يحاورون السمك... فلماذا لا يحاورونا؟"(56).

هذا هو الواقع العربي القامع، بدءاً من السلطة الأبوية، في مراحل تشكل البذرة الأولى للطفولة الواعية، لكن الأمل المنتظر في أعماق(أودوسيوس)، تمثله البذرة الخاضعة، أو المغيبة عن الواقع، هو في تيقظ وذكاء، وهذا ما يُحسب للعربي، الذي يعيش واقعه متيقظاً له. رافضاً محاصرة الطبقات التحتية من اللاوعي في عقل الفرد العربي، داعياً إلى الصحوة من التيه والتدليس والسيطرة على ما زرع في النفس، من قيم مغلوطة، وقد تصل في أحيان أُخر لامعقولية الراهن، إلى تداخل المعقول باللامعقول، فالمواطن التائه والمعتوه تتداخل عليه المسميات والأشياء، وبحسب رأي (أودسيوس) تتناقض، وهذا ما يعبر عنه في قوله:

- "الأضداد في الحياة... سطحنا الرخامي يكسر... وبدأنا نبحث عنه في كومة التاريخ... ينجمع ما كان مسطوراً فيه"، حملنا كاذب، وحلمنا مزوّر، وحربنا مع عدونا تنتهي بلمح البصر... وأرضنا أصبحت محلاً... وملحنا فقد طعمه... وشويت فيه لحومنا... لحومنا... ما أرخص لحومنا يا سيرين... كل اللحوم العالمية ارتفعت أسعارها إلا لحمنا يا سيرين... هل لحمنا مثل حملنا... كاذب لا قيمة له..."(57).

إن في ذلك إدانة مشهودة للفكر العربي البعيد عن اعتماد المعرفة العقلية، التي تعوّل على البرهان والتجريب والاستدلال المنطقي، ويمتد التناقض إلى لا معقولية الواقع، وسيادة القيم الاستهلاكية السريعة، يقول(أودسيوس) (لسيرين): "فكري قبل أن تجيبي... رغم أننا في

عـصر السرعة... والوجبـات السريعة... وعـصر (الماكدونالدز)... و (التشـكن تكة)... والكوكا كولا، ونانسي عجرم وهيفاء وهبي، وسرعة التحولات التي وضعتنا في فك سـمك القـرش هل تعلمين أنني قرأت مرة أن سمك القرش عربي؟ كما هو شكسبير (الشيخ زبير) عاشت أمتي حرة عربية "(58).

هذه الممارسـات الأيديولوجية نبه إليها (لويس ألثوسير) في مقالته (الأيديولوجيـا وأجهـزة الدولة): " فهي تتقـوى، ويعاد إنتاجها، من خلال مؤسسـات المجتمع " التي تسـمى الأجهزة الأيديولوجية، والتي يسـاعد وجودها على ضمان قبول نمط الانتاج السـائد"(59). وتتمثل هـذه الأجهزة في الأنظمة : التعليميـة، والأسرية، والإعلامية، والأدبية، والقانونيـة، والفنـون، وهي تسـاعد في إنتـاج الأفـكار والمعتقدات الضروريـة، التي تمكن الناس من العمل ضمن التشـكيلة الاجتماعية الموجودة 60

إن إصابـة الواقع، بتشـوش القاعـدة الفكريـة والعقائدية، أدت إلى فقـدان الهوية ، فتقاسـمت المجتمع العربي تبعيـات أيديولوجية مختلفة، وخيانات، منذ جسـاس وكليب وغسان وعدنان، إلى الراهن، حتى بات الفرد العربي والوحدة وسيرين، في حروب وصراع مع الذات، ومع الواقع بعد مراحل التيه التي حلت بالوطن، يقول (أودسيوس):

ـ "اقتربي يا سيرين... لمَ تبتعدين عني...؟ هل صدقتني أني مشروع خيانة...؟ ألا يمكن أن يكون هناك رجل، يمكن أن يكون مشروع حبٍ غير عذري...؟ أقسـم لك إني (أنا) جربي مرة واحدة ، وسـتجدين إني صادق معك... على الرغم من أن تجربة واحدة يمكن أن تضعفنا أمام انهزامات كثيرة... لن تكوني عاقراً... أنا أقسـم أنك لن تكوني عاقراً... رغم أيام غسـان وعدنـان... الآن أُدرك أن بجماليـون كان على حق عندما طلب من الموت الحياة " (61)

إنها مطالبات (أودوسـيوس العرب) بالعـودة إلى تحليل الموروث القديم، والعمل على تأسـيس الإنسان العربي القادر على التعامل مع المسـتقبل، مرتاحاً إليه ومشـاركاً فيه بفعالية، فالماضي يشكل الوعي الحديث عنصراً محورياً في إشكاليته، ومعروف مدى تأثير قوى الغرب على هذا الوعي، لذا يطالب (أودسـيوس) بالرحيل وحالة من التفرد فيقول:

"لكـن أي رحيل يجعلنا في حالة تفـرد... ويعيد أوراقنا إلى حالة البيـاض الأول الـذي خلقت عليـه...! أتاريخنا لم يسـتطع أن يرحل مـن أوراقه... فكيف نسـتطيع نحـن أن نرحل مـن ذاكرتنا... التي تحمل معها كل الأمكنة والأزمنة... التي عشـناها في لحظات الخوف والحـب... لم تكـن في لحظة من اللحظـات في حالـة تعطينا صورة الهزيمة... بل كنا دائماً في بحث عن لحظة للهروب"(62).

إنـه يريد العكس تماماً، بخلاف ما جاء، فهـو يريد أوراقاً بيضاء، كالبياض الذي خلقت عليه، بلا تشـوهات، ليبدأ من جديد. وبحسب رأي (عبـد الرحيم المراشـدة): "كل هذه الفضـاءات تنطلق من بؤرة أيديولوجية، تتنامى حولها، وهي أحداث، أو اشـتعال أحداث تشي بما أصاب الأمة العربية، والكيان التكويني العربي".(63)

ومن مظاهر الصراع الأيديولوجي، عند (أودوسيوس) الماثل في صراع الحـدود، وإلغاء العلامات الفارقة بين الدول، فهو يعرف منذ الطفولة أن: "الحدود وضعها الاستعمار. فلِمَ نضعها نحن؟ نظر إليّ نظرة غضب وقال: عد لرسـم الحدود، منذ ذلك الحين يا سـيرين... أصبحت أكره خارطة وطني... لأنني لم أستطع أن أُلغي منها شيئاً... وأحب خارطة أوروبا... وأمريكا... وأسـتراليا... والصين... لأني أحسسـت أنهم هم الذين وضعوها... وأنت يا سـيرين... هل أستطيع أن أرسم خارطتك، دون أن يعيدهـا أحـد لي ليطلب مني أن أعدل فيها شـيئاً...؟ إنك تطلب المستحيل!"(64).

إنها المفارقات أو ربما المتناقضات، التي عايشـها (أودوسيوس)، في الحفـاظ على خارطة وطن سـليمة بلا تغيير. إنـه الانتماء إلى المكان، بوصفه فضاءً أساسـياً في تعالق أودوسـيوس معه، فهو يشـكل عمقاً لقضية الوطـن، والوجود العـربي وكيان الأمة، يقـول: (عبد الرحمن ياغي)، حول علاقة المكان بالإنسـان، وأثره عـلى بنيته التفكيرية: "إن عمق العلاقة بين المكان والإنسـان، جعل إنسان هذا المكان له رؤيته وله تفسـيره، وله ارتباطه وله انتماؤه"(65)، لأن علاقة الإنسـان مع محيطه علاقة متبادلة.

وتنتهي الرواية بالأمل، إذ يراهن (أودوسيوس) للحفاظ على كرامته، ويُقـدم قربانـاً لعروبته فيقول: "لماذا أحبتـك اليمامة يا كليب؟! هل لأنك زعيم القوم؟! فـكل الزعماء يموتون... ألأنك الكرامة؟! لم فعلت ما لا يسـتطيع فعله الآخـرون؟ ألأنك لم تحب الجليلـة حباً عذرياً؟! فغدروك، إنني أحبُك لأنك تفعل مالا يستطيعه غيرك..."(66).

لكـن رؤية(أودوسـيوس) للواقـع تدفعه إلى التطهـر من رجس الراهـن، معلناً: "هل نحترق لنكون طائراً فينيقياً تلحّف رماده الأبدي عـلى موعد الرجوع، أنت يا سـلفادور اخترت الاحتراق، هل النار هي حالة الطهارة الأبدية للإنسـان؟ كم سـنحترق يـا وطني حتى نطهرك من خطايانا؟"(67)، ويبقي (أودوسـيوس) متماهيـاً، مع أيديولوجية الاحتراق والانبعاث من جديد لغدٍ أفضل.

ويسـتمر الخطـاب الأيديولوجي، عـبر السرد الإخبـاري للراهن، فيتضـح توجه الـسرد لخدمة البعد الأيديولوجـي، وقد تجلى هذا في المظاهرات التي قامت في الجامعات، وعلى مدى الوطن العربي، حينما اجتـاح العدو الإسرائيلي جنـوب لبنان، فيقول (أودسـيوس): "قامت المظاهرات في كافة الدولة العربية... والغربية... كالعادة... شاركنا في مظاهرات الجامعة... اعتصمنا عبرنا عن حبنا وانتمائنا لهذه العروبة، تبرعنا بالدم...(68).

إن احتشاد الأحداث السياسية والاجتماعية، والتراكمات التاريخية، داخل حقل الأدب، أشاع نمطاً جديداً من المعالجة للأيديولوجي، تجلّى في اللغة والفهم، وبهذا تكون مهمة الأدب ليس تأسيس غير المنطوق في النص، وإزالة مركزيته، لإنتاج معرفة حقيقية للتاريخ، فالنص يحمل المعنى، وبقدر ما يسمح به النص الأدبي للمعنى الأيديولوجي، وبقدر ما يسمح به إنتاج المعنى(69).

من هنا نتبين لماذا كانت (خلاصات النزف) عملاً أيديولوجياً اجتماعياً، وتاريخياً رصد التحولات، وقدمها بشكل فني جمالي لا تنفصل عنه، بل هي قائمة على هذا الواقع. فتكونت ذوات الناس أيديولوجياً().

فإذا كان الفن الروائي أقرب الفنون الأدبية إلى التاريخ، بسبب شكله الشمولي، الذي يتسع لرؤية الإنسان للعالم من حوله، وباستيعاب (أودوسيوس) الشمولي، فقد أعطى الروائي أهمية للأحداث والعلاقات، لأن ما يهم في الرواية التاريخية ،كما يقول (جورج لوكاتش): "ليس إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبرى، بل الإيقاظ الشعري للناس الذين برزوا في تلك الأحداث"(70)، كما أن الأديب والنص يتضافران بلا انفصام، إلى درجة أن الخطاب يتضح لإظهار الخصائص الفردية لعقل مبدعه.

ويجد قارئ الرواية نفسه أمام السؤالين التاليين:

ما دافع أودوسيوس العرب الأيديولوجي والسلوكي، الذي مر به خلال الأزمات المتلاحقة، التي تورّث تلك التحديات الكبيرة؟

ثم ما الصورة المستقبلية لأودوسيوس العرب المتوقع تشكلها بمستويات التحدي؟

بدا من النص أن الروائي سعى إلى تشابكية فنية وأيديولوجية، وأدمجهما معاً، فكانتا في مسار واحد، وساعد المرسل إليه، على دراسة شمولية لجوانب النص عامة، لأنه يتعالق مع إنتاجية النص، على نحو ما أشار (لحميداني) حين دعا إلى "عدم النظر إلى النص الروائي كوحدات يمكن قراءتها فقط، بطريقة تتابعية ولكن، أيضاً كوحدات تدخل في علاقة بعضها البعض، بحيث لا يمكن دراسة وحدة إلا في علاقتها مع مجموع النص." 71

ويبدو أن الروائي (أحمد العرود) قد اختار أشكالاً معينة لمتنه الروائي، قصد إليها من القرآن الكريم بنص آية سورة يوسف، وأسطورة (سيرين)، و(أودوسيوس الإغريقي) ، ليسلط الضوء من خلالها على رؤيته، و ليفيد منها في إحداث مقاربة نقدية فاعلة، مع الواقع، وقت كتابة المتن، واكتفى بها تاركاً المجال للمتلقي لتقريب ذلك، وقد أحسن صنعاً في ذلك، إذ لا ينبغي للروائي أن يقدم رؤيته بوضوح، سعياً إلى متعة القراءة والتحليل ولذة النص، بحسب رؤية (رولان بارت) لذلك، وإنما يظهر لنا إشارات دالة تشير ولا تقول صراحة "فالكلمة لا تنقل إلينا عالم الواقع بل تشير إليه، وتخلق صورة مجازية لهذا العالم"(72).

لذا كانت اللغة طريقة للافصاح عن التجربة، وهي مرتبطة بالضرورة بأيديولوجيا، وترى (كاترين بيلسي) أن" الايديولوجية مغروسة في الممارسات الدالة في الخطابات والاساطير، وإلى هذا الحد مغروسة في اللغة" (73)

وتشيع في الرواية الأجواء التشابكية في علاقاتها، التي تتواشج مع الأيديولوجيي، وتتوضح أكثر، على نحو ما حدث، حينما ركز(أودوسيوس)على العروبة، والخوف على الزمن القادم. فالأيديولوجيا تظهر في سلوك الأفراد الذين يعملون وفقاً لاعتقادهم.

لقد استطاع الروائي، وبنجاح، التركيز في روايته على: التاريخي والأيديولوجي والأدبي، في تعالقات نصية متضافرة ، شكلت عالمها الخاص، وتحمّل (أودوسيوس العرب) مسؤولية الماضي والتاريخي، في تطلعه إلى أمل الاحتراق والتطهر من دنس الماضي، كما طالب (أودوسيوس) بالعودة لتحليل الموروث القديم، والعمل على تأسيس الإنسان العربي القادر، على التعامل مع المستقبل، وعلى صنعه. وأن يُكون صورة الإنسان العربي في مستوى التحديات المستقبلية.

الهوامش :

(1) أرسطو: فن الشعر، ترجمة وتحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1973م، ص26.

(2) جارودي، روجيه: حفار القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة عزة صبحي، دار الشروق، ط3، 2000م، ص 26.

(3) العرود، أحمد: روائي أردني، باحث أكاديمي، يعمل في جامعة جرش الأهلية، وخلاصات النزف روايته الأولى، الصادرة عن المركز القومي للنشر، ط1، 2010م، من مؤلفاته الأكاديمية:
- مناهج النقد الأدبي في الأردن.
- تحول الخطاب النثري في عصر النهضة.
- محاضرات في الأدب المقارن.

(4) البستاني، سليم: إلياذة هيرموروس، بيروت، دار إحياء التراث، ص 32-34.

(5) جاء في اللسان: الرؤية: النظر بالعين والقلب، والرؤيا: ما رأيته في منامك، وقد جاء في الرؤيا اليقظة، واكتسبت المفردة (الرؤيا) مفاهيم أدبية تعنى بحالة الوجود وإعادة تشكيله.فضلاً عما اكتسبته مفردة(رؤية)من دلالات أدبية ونقدية.

(6) ينظر لحميداني، حميد: الرواية المغربية، رؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985م، ص 107.
- وينظر ريتا عوض: أدبنا الحديث بين الرؤيا والتعبير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979م.

(7) كيلي، دونالد، ر.: الأيديولوجية في الغرب، دراسة في الوعي والاجتماع، فرنسا في عهد الإصلاح الديني، ترجمة: جعفر داوود، مراجعة: واثق عباس الداييني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1990.

(8) بيلسي، كاترين: الممارسة النقدية، ترجمة وتقديم: فؤاد عبد المطلب، سورية، حمص، دار التوحيدي، 2008م، ص 18.

(9) قاسم، سيزا: بناء الرواية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص 185.نقلاً عنها

(10) ريدكر، هورست: الانعكاس والفعل، دياكتيك الواقعية في الابداع الفني، ترجمة فؤاد مرعي، دمشق، دار الجماهير،1997، ص78.

* وفي تعريف الأيديولوجية: نجد ان أصل الكلمة ليس اللغة الإنجليزية، وأن البحث يشير إلى أنها من أصل مزدوج: (Idea) الإغريقية التي تعني الشكل أو النموذج، وزائدة مفردة (legein) بمعنى يتكلم لتكون بالفرنسية (Ideologie)، ومعناها الفكرة، وأما في الإنجليزية فيمكن إعادتها إلى البادئة (ideo-) واللاحقة (-logy) بمعنى علم الفكرة، أو علم الأفكار. حتى عربت بالنقل الحرفي بـ (أيديولوجية، وأيديولوجيا) دون ترجمة مباشرة، واستقر تداولها عربياً. والمعنى التفسير للمصطلح، في معجم مصطلحات الأدب يذكر: بأنها (علم الأفكار وموضوعه دراسة الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وعلاقتها بالعلامات التي تعبر عنها، أو تطلق على التحليل والمناقشة لأفكار مجردة لا تطابق الواقع.

* وقد روج نابليون بونابرت معنى مختلفاً للمصطلح، وبذلك مهد للمعنى الجديد في هجوم على مناصري الديمقراطية "الذين ضللوا الناس بمنحهم سيادة ليس في مقدورهم ممارستها"- وهاجم التنوير على أنها أيديولوجيا فقال: "يجب عزو كل المحن التي ألمت ببلدنا فرنسا الجميلة إلى تعليمات الأيديولوجيين". ودوى هذا الاستعمال طيلة القرن التاسع عشر. ولا يزال شائعاً ثم، تتالى المصطلح عند المفكرين الألمان، والمحافظين الأوائل (في القرن 19).

* ينظر أيضاً: وليامز، ريموند: الكلمات المفاتيح، معجم ثقافي ومجتمعي، ترجمة نعيمان عثمان، تقديم: طلال أسد، مراجعة: محمد بربري، إشراف: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2005م، 196-200.
وبعد أن أصبح مفهوم (الأيديولوجية مصطلحاً) وصفه (جون آدامز، نائب الرئيس الأمريكي 1789 (بالاختراع) بقوله: "إن عالم الفكر والسياسة وريثان بشدة إلى اختراع الكلمة الأيديولوجية".
- ينظر: كيلي،دونالد ر. : بدء الأيديولوجية، م.س.، ص 7-8.
- وينظر: موسوعة النظريات الأدبية، نبيل راغب، مكتبة لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر، 2003م، ص80-89.

(11) تودوروف، تزفيتان وميخائيل باختين: المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996م، ص 69.

(12) ينظر لحميداني، حميد: م.س.، ص 36.

(13) ينظر لحميداني، حميد: م.ن.، ص 27.

(15+14) ينظر بيلسي، كاترين، م.س، ص23، 25.

(16) لحميداني، حميد: النقد الروائي والأيديولوجيا، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1990م، ص8.

(17) الشمعة، خلدون: النقد والحرية، دمشق، اتحاد الكتاب، 1977م، ص 24.

* الشعرية: (Poeticity) تتلجى الشعرية في النص الأدبي الذي ينهض على مستويين متزامنين من خلال منظومة العلائقية والنسقية، فالأول النسق المتميز والخاص بالنص الأدبي وحده، والثاني في البنية الأكبر والأشمل التي تتجلى فيه وبه، وفي الوقت نفسه من خلال اتصاله نسقياً بالنصوص الأخرى. وارتبط المفهوم بالعمل الأدبي في تفسير وظيفته الأدبية، وأول من حلم بالشعرية (أفلاطون في محاورة (أيون) في عام (532 قبل الميلاد) ثم جاء بعده أرسطو في (فن الشعر) أو (البويطيقيا) التي تعني الشعرية وبعد بحوالي ثلاثة وعشرين قرناً ترسخ المفهوم العلمي المنهجي في ضوء المعطيات النقدية الحديثة عند (رولان بارت) و (رومان ياكبسون) الذي أكد بكتابه على خصائص الشعرية وبأنها منظومة الدلالات أي السيمولوجيا، فالشعرية عند جزء من اللغويات وهي من ست

وظائف وعوامل، ويأخذ النص سماته من تدرج الوظائف تلك، وكذلك من روادها (تودوروف).

* ينظر موسوعة النظريات الأدبية: نبيل راغب، مكتبة لبنان، والشركة المصرية العالمية، ط1، 2003م، ص378-379.

(18)لحميداني، حميد: م. س.، ص 36.

(19)حرب، علي: النص والحقيقية، ج3، الممنوع والممتنع، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1995م، ص 134.

(20) بيلسي، كاترين: م.س.، ص 20.

(21) غولدمان، لوسيان: علم اجتماع الأدب، نظامه الأساسي ومشاكله المنهجية، ترجمة مصطفى السناوي، الثقافة الجديدة، العدد 10-11، السنة الثالثة، 1978م.

(22) بطاينة، جودي: شخصية الآخر في الرواية الأردنية، عمان، الوراق للنشر، 2004م، ص 94.

(23) الرواية: ص 27.

(24) الرواية: ص 13-14.

* ينظر: الخوري، لطفي: معجم الأساطير، ج2، ط1، 1990، فصل(س)، ص 96-97.

(25) أبو علي، عبد الرحمن: الأدب والرواية الجديدة عند رولان بارت، تقديم وترجمة مجلة نزوى العمانية، ع11، 1997م، ص 24.

(26) برادة، محمد: دراسات في القصة العربية، وقائع ندوة مكناس، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1985م، ص 36.

(27) سعيد، خالدة: حركية الإبداع والتجلي، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت، ط2، 1982م، ص 262. وينظر: نبيل سليمان: الرواية العربية، رسوم وقراءات، مركز الحضارة العربية، ط1، 1982م، ص 11.

(28) الرواية: ص 59_60 .

(29) الرواية: ص60.

(30) الرواية: ص 63.

(31) الرواية: ص 64 .

(32) الرواية: ص 166-167.

(33) الرواية: ص 64.

(34) الرواية: ص 66-67.

(35) الرواية: ص 43.

(36) الرواية: ص 48

(37) الرواية: ص 44.

(38) الرواية: ص 48.

(39) الرواية: ص49.

(40) الرواية: ص 49.

(41) الرواية: ص 49.

(42) الرواية: ص 55.

(43) الرواية: ص56.

(44) الرواية: ص38.

(45) الأزرعي، سليمان:الرواية الجديدة في الاردن، عمان، المؤسسة العربية للدراسات،1997، ص48.

(46) لحميداني، حميد: حوار الفضاء في رواية الضوء الهارب، علامات المغربية...

(47) الرواية: ص 4.

(48) الرواية: ص 168.

(49) الفيصل، سمير: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية في سوريا، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1986.ـ وينظر له: ملامح في الرواية السورية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1979.

وينظر: فورم، أريك: اللغة المنسية دراسة لمفهوم الأحلام والحكايات والأساطير، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1991م.

(50) الرواية: ص 37-38.

(51) الرواية: ص 48.

(52) الرواية: ص 7.

(53) لرواية: ص 22-23 (وتجوع يا سمك) هي مقولة الإعلامي المصري أحمد سعيد أثناء حرب حزيران. 1967/م

(55) بيلسي، كاترين: م.س، ص 113.

(56) الرواية: ص 24.

(57) الرواية: ص 152

(58) الرواية:ص 125

(59 + 60) ينظر كاترين بيلسي: ص105, 108

(61) الرواية: ص 124-125.

(62) الرواية: ص134ـ135.

(63) المراشدة، عبد الرحيم: الفضاء الروائي، الرواية في الأردن نموذجاً، عمان، منشورات وزارة الثقافة، 2002م، ص 113.

(64) الرواية: ص 35.

(65) ياغي، عبد الرحمن: مع روايات من الأردن، في النقد التطبيقي، عمان، دار أزمنة، 2000م، ص 62.

- وينظر: غرمومو، وكاجان: وظيفة الفن الاجتماعية، دار ابن خلدون، بيروت، 1975م.

(66) الرواية: ص 73.

(67) الرواية: ص 180.

(68) الرواية: ص 64.

(69) ينظر بيلسي، كاترين: م.س.، ص 277، ص 108.

(70) لوكاتش، جورج: الرواية التاريخية، ترجمة، صالح جواد كاظم، وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1978م، ص46.

- وينظر: ريتا عوض: أدبنا الحديث بين الرؤيا والتعبير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979م. وينظر محمد كامل الخطيب : الرواية والواقع، بيروت،دار الحداثة للطباعة والنشر، ط1، 1981.

(71) لحميداني، حميد: النقد الأدبي والأيديولوجي، ص 62.(نقلاً عنه)

- وينظر: نبيل سليمان، وبوعلي ياسين: الأيديولوجيا والأدب في سوريا، 1967-1973م، دار ابن خلدون للطباعة والنشر، ط1، 1974م.

(72) قاسم ، سيزا : م،س ، ص 83 (نقلاً عنها).ـ وينظر محمد برادة: " تشكل وتشخيص الواقع والتاريخ في الريح الشتوية" آفاق، اتحاد كتاب المغرب، السلسلة الجديدة، عدد 4، ديسمبر، 1979.

(73) بيلسي ،كاترين: م.س ، ص83 .

قائمة المصادر والمراجع

المصدر:

العرود، أحمد: رواية خلاصات النزف، إربد، المركز القومي للنشر، 2010.

المراجع:

1. أرسطو: فن الشعر، ترجمة وتحقيق: عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار الثقافة، ط2, 1973.
2. ابن منظور، جمال الدين بن مكرم: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط4، 2005.
3. الازرعي، سليمان: الرواية الجديدة في الأردن، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1997.
4. البستاني، سليم: إلياذة هيمروس، بيروت دار احياء التراث.
5. برادة، محمد:دراسات في القصة العربية، وقائع ندوة مكناس، بيروت، مؤسسة الابحاث العربية، 1985 .
6. بطاينة، جودي: شخصية الآخر في الرواية الأردنية، عمان ، الوراق للنشر، 2004.
7. بيلسي، كاترين: الممارسة النقدية، ترجمة فؤاد عبد المطلب, سوريا،حمص،دار التوحيدي، 2008. ـــ وينظر تودوروف، تزفيتان، وميخائيل باختين: المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1996.
8. جارودي، روجيه: حفار القبور، الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ترجمة عزة صبحي، دار الشروق، ط3, 200.
9. حرب، علي: النص والحقيقة، ج3، الممنوع والمتمنع، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1995.
10. الخوري، لطفي: معجم الأساطير، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،ط1، ج2، حرف(س)، 1990.
11. الخطيب، محمد كامل: الرواية والواقع، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط1، 1981.
12. راغب، نبيل: موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان والشركة المصرية العالمية للنشر، 2003.
13. ريدكر، هورست: الانعكاس والفعل، ديالكتيك الواقعية في الإبداع الفني، ترجمة فؤاد مرعي، دمشق، دار الجماهير،1997.
14. سعيد، خالدة: حركية الإبداع والتجلي، دراسات في الدب العربي الحديث، بيروت، دار العودة، ط2، 1982.
15. سليمان،نبيل: الرواية العربية رسوم وقراءات، مركز الحضارة العربية، ط1، 1998.
16. الشمعة، خلدون: النقد والحرية،دمشق، اتحاد الكتاب، 1977.
17. عوض، ريتا: أدبنا الحديث بين الرؤيا والتعبير،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1979.
18. غرفوف، وكاجان: وظيفة الفن الاجتماعية، بيروت،دار ابن خلدون،1975.
19. الفيصل،سمير روحي: ملامح في الرواية السورية ،دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب،1979.ـ وينظرله: الاتجاه الواقعي في الرواية العربية في سوريا،دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1986.
20. فورم، إريك: اللغة المنسية لمفهوم الأحلام والحكايات والأساطير، ترجمة محمد منقذ الهاشمي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب،1991.
21. قاسم ،سيزا:بناء الرواية،مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984،
22. كيلي، دونالد، ر: بدء الأيديولوجية في الغرب،دراسة في الوعي والاجتماع،فرنسا في عهد الاصلاح الديني، ترجمة: جعفر داود،مراجعة: واثق عباس الداييني، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1990.
23. لحميداني،حميد: النقد الروائي والايدولوجيا، الدار البيضاء،المركز الثقافي العربي، 1990. - الرواية المغربية ،ورؤية الواقع الاجتماعي،دراسة بنيوية تكوينية، الدارالبيضاء، دار الثقافة، ط1، 1985.
24. 2لوكاتش، جورج: الرواية التاريخية، ترجمة صالح جواد كاظم، بغداد،وزارة الإعلام العراقية، 1978 .

25. المراشـدة، عبـد الرحيم: الفضـاء الروائي،الروايـة في الأردن نموذجاً، عمان، منشورات وزارة الثقافة،2002.

26. وليامـز، ريمونـد: الكلـمات المفاتيح،معجـم ثقـافي ومجتمعي،ترجمة نعيم عثمان، تقديم طلال أسـد، مراجعة: محمد بريري، إشراف: جابر عصفور، الكويت، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2005.

27. ياسـين، بوعلي: الايدولوجيا والأدب في سـوريا 1967ـ1973، بيروت،دار ابن خلدون للطباعة والنشر، ط1، 1974.

28. ياغـي، عبـد الرحمن: مـع روايـات مـن الأردن، في النقد التطبيقي،عمان، دار أزمنة،2000م.

الدوريات:

1. أبو عـلي، عبد الرحمن:" الأدب والرواية الجديدة عند رولان بارت"، تقديم وترجمة مجلة نزوى العمانية، عدد 11، 1997.

2. برادة،محمد: " تشكيل وتشـخيص الواقع والتاريخ في الريح الشـتوية"، آفاق، اتحـاد كتاب المغرب، السلسـة الجديدة، العدد4، ديسمبر، 1979.

3. لحميـداني، حميـد: ـ" حـوار الفضـاء في روايـة الضـوء الهـارب" ، علامـات المغربيـة، العـدد8، 1997 .
ـ "تشـكل وتشـخيص الواقع والتاريخ في الريح الشـتوية"، آفاق،اتحـاد كتـاب المغرب، السلسـلة الجديـدة، العدد4، ديسمبر، 1979.

4. غولدمان، لوسـيان: " علم اجتماع الأدب ،نظامه ومشـاكله المنهجيـة "،ترجمة: مصطفى المسـناوي، الثقافـة الجديدة، العددان 10ـ11، السنة الثالثة، 1978.

القطاع النفطي بين واقع الإرتباط و حتمية الزوال في الإقتصاد الجزائري

د. زغيب شهرزاد ا. حليمي حكيمة

ملخصأمام صعوبة إنتقال الإقتصاد العالمي بعيدا عن تبعية النفط، و بالنظر لمتطلبات المسـايرة و المواجهة أمام زخم التطورات الحاصلة في الإقتصـاد العالمـي و متغيراته، برز البترول بأهميته المتزايدة على مسرح الطاقة الدوليـة و كمورد كفيل بمجابهة التطورات، ليمتلك خصوصيات كثيرة بدء من طبيعته مرورا بتركبته و تواجده و إنتهاء بسوق تداوله.

كما يمثل النفط العربي المحّرك الأسـاسي لهذه السـوق، ومن ثم تمثل عوائده نبض مداخيل الكثير من الدول العربية حتى أصبحت تسـمى بالإقتصاديـات الريعيـة و تحوّلـت من فرضية إقتصاد القوة بإمتلاكها للنفـط إلى إقتصاد الفقاعة نتيجة إنحياز العوائد من مسـارها الحقيقي للتوظيف و البقاء مع إشكالية المصدر الواحد للمداخيل.

و لقد تشاركت الجزائر مع تلك الإقتصاديات في هذه السّمة، و أصبحت هناك علاقة إرتباط تشابكية بين الإقتصاد الوطني و قطاع المحروقات حتى أصبح تحديد و ضعيته إستقرارا أو إختلالا يتوقف على حركة أسعار البترول و عوائده ما جعله عرضة للصدمات الخارجية، مما أصبح لزاما علينا معرفة درجة إرتباط الإقتصاد بعوائد هذا المورد.

The Oil sector between a state of cohesion and the necessity of dissolution in the Algerian economy

Abstract

Faced with the difficulty of transition of the world economy away from its dependence on oil, and with regard to the requirements of change, oil is by its growing importance in the international arena a source capable of facing these changes.

For Arab countries oil is not only a key driver in the international market, but also the main source of their income.

Following the excesses linked with the misuse of oil revenues, the potential of a powerful economy is transformed into a "bubble economy" type.

Algeria as an Arab country has not escaped this situation which has led to a tangled relationship between the national economy and the hydrocarbons sector. The time has now come to know the extent to which the economy is so related to this resource.

مقدمة:

عرفت العقـود الأخيرة من القـرن الماضي تغـيرات جذرية ألقت بضلالهـا عـلى التطورات الحاصلـة في الإقتصاد العالمـي، خاصة فيما يتعلـق بإفرازات العولمـة والثورة التكنولوجية مـن جهة، والتحولات السياسـية من جهة أخـرى (كالأزمـات الدولية والحـروب). ولقد كان لهـذه العوامل دورا هاما في تزايد الإهتـمام والبحث عن الموارد الإقتصادية والطبيعية الكفيلة بالسيطرة والسيادة والمواجهة أمام زحم هذه التطورات.

ويعتـبر النفط مـن أهم هذه المـوارد خاصـة في الوقت الحاضر بعـد أن أزاح الفحم عن المركز الأول الـذي ظلّ يحتله لفترات طويلة قبـل الحرب العالمية الثانية، فتزايـدت أهميته بتزايد الطلب عليه في ظل فشـل محاولات الإنتقال بالإقتصاد العالمي من إقتصاد بترولي إلى إقتصاد جديد يعتمد في نشـاطاته على الطاقة النووية أو الشمسية أو العودة للفحم... الخ، بسبب محدودية مصادر الطاقة البديلة، وإرتفاع تكلفتها مقارنة بالبترول.

كـما تزايدت أهميتـه أيضا إنطلاقا مـن حتمية مسـايرة التطور التكنولوجـي وفي جميع المجالات المرتبطة أصلا بالإمكانيات الطاقوية والبترولية تحديدا من جهة وفي طبيعة السـلعة النفطية التي أكسبت سوق تداولها مميزات خاصة من جهة أخرى.

وبغـضّ النظر عن إختلاف الإقتصاديين حول طبيعة هذه السـوق إن كانـت إقتصادية بحتـة أم أنها ذات طبيعـة إزدواجية إقتصادية وسياسـية، فإنّه يمكن القـول أن التطور التاريخي لهذه السـوق كان له آثارا عميقـة على تطور قطاع المحروقات للكثير من الدول وخاصة العربية منها.

وإذا كانـت سـنة 1948 التـي تحولت فيهـا الولايـات المتحدة الأمريكية من أكبر المنتجين إلى أكبر المستوردين قد مثلت نقطة تحول الأنظار والبحث عن مواقع البترول "الذهب الأسود" ومن ثم الإهتمام بالمنطقة العربية، فإنّ الإنتصار العربي سـنة 1973 قد غيّر من معادلة سـوق النفط العالمي منتقلا من سـوق المشترين إلى سـوق البائعين، حيث تمثّل الدول العربية أهم هذه الأطراف البائعة و المنتجة.

و بذلك إرتبطت إقتصادياتها بالعائد النفطي حتى أصبحت تعرف "بالإقتصاديـات الريعيـة" وأصبح النفط بذلك المحرك الأسـاسي لهذه الإقتصاديات.

وبرزت الجزائـر في الجانب الآخر من الدول العربية النفطية التي إختلفـت مع الـدول الخليجية في كميـات الإنتاج والإمـداد العالمي للطاقـة، لكنها تشـابهت معهـا وإتفقت في بنـاء إقتصاديات نفطية تعتمـد على مورد ناضب من خلال عوائده في تنفيذ خططها التنموية والنهـوض بقطاعاتها.فتوقفـت وضعية الإقتصـاد الوطني على حركة التقلبات السـعرية للنفط المرتبطة أصلا بالعوامل الخارجية ما يجعله عرضة لصدمات مختلفة.

إشكالية البحث:

بالنظر لحالة اللّإستقرار السياسي والإقتصادي والأمني التي عايشها العالم في السنوات الأخيرة، وألقت بضلالها على سوق النفط العالمي بدء من الأزمات النفطيـة والدولية (وخاصة أزمة 1986) وحروب الخليج وأحداث 11 سـبتمبر، وحرب العراق...الخ ووصولا حتى إلى التغيرات المناخية (أعاصير 2005) التي إهتز سـعر النفط بسببها، كان لا بد من تسـليط الضوء حول هـذه التقلبات التي غـيرت إقتصاديات بأكملها نتيجة ظروف خارجية، خاصة إذا تعلق الأمر بالدول النفطية كالجزائر التـي تعتمد على هذا المورد كمصدر وحيد لمداخيلها الخارجية، و من هنا إنبثقت إشكالية البحث من خلال التساؤل التالي:

ما هي الآثار والإنعكاسـات الفعلية للنفط بأسعاره وعوائده على الإقتصاد الجزائري ؟

فرضية البحث:

للإجابة على الإشكالية إستندنا إلى الفرضيتين التاليتين:

- تلعـب العوائـد النفطيـة دورا بـارزا في تحقيق تنمية مسـتديمة لإقتصاديات الدول النفطية إذا ما إستغلت إستغلالا جيدا.
- تسـاهم حركة أسـعار النفط في تحديد وضعيـة الإقتصاد الجزائري ومؤشراته إستقرارا أو إختلالا.

أهداف البحث:

يتحـدد هدف البحث في معرفـة الأثر الحقيقي لتقلبات أسـعار النفط على الإقتصـاد الوطني من خلال اسـتخدام "E.Views" الذي يظهـر مجموعـة من المعادلات السـلوكية، يمثل سـعر النفط PP في كل معادلة متغير مسـتقل بينما يختلف المتغير التابع حسـب المؤشر المدروس، ومن أجل ذلك تمت الدراسـة على عينة من المؤشرات، يبرز كل مؤشر في 30 مشاهدة خلال الفترة الزمنية (1975-2004).

منهجية البحث:

ومـن أجل التحقق من هـذه الفرضيات، تم الإعتماد على مناهج علمية، بدءا من المنهج الوصفي التحليلي الذي يتعدى وصف الظاهرة إلى تحليلها الكمّي، وقد إستوجبت الدراسة التطبيقية إستنباط النتائج وتحليلها بعد إسـتقراء مسـار البيانات الإحصائيـة، و من أجل ذلك قسمت الدراسة إلى جزئين :

الجـزء الأول: خـاص بالمرجعيـة التاريخية لقطـاع المحروقات في الجزائر

الجزء الثاني: إنعكاسات النفط على الإقتصاد الجزائري

الجزء الأول:المرجعية التاريخية لقطاع المحروقات

لعب قطـاع المحروقات في الجزائر دورا رئيسـيا في تمويل التنمية الإقتصاديـة بفضل الموارد الهامة التي يحويها حيث يسـاهم بنسـب مرتفعة في الناتج المحلي الإجمالي وصلت إلى 40% و أكثر من 60% في الميزانية العامة للدولة عن طريق الجباية البترولية(1).

و سنحاول إيضاح أهم خصوصيات قطاع المحروقات في الجزائر من خلال تسـليط الضوء على المراحل التي مـر بها القطاع وفقا للمراحل الإنتقالية التي شهدها الإقتصاد الجزائري.

أولا:البترول قبل الإستقلال (2)

يمكن إبراز النشـاط البترولي في الجزائر قبل الإسـتقلال من خلال النقاط الآتية:

*لقد كانت أولى محاولات البحث و التنقيب عن البترول عام 1913 في الإقليم الغربي من منطقة غليزان من طرف الشركات الفرنسية التي ظلت تتبع أطماعها الاسـتغلالية، و تابعت بذلك أبحاثها أثناء الحرب العالميـة الأولى بكل من قسـنطينة و العلمة و عين فكرون و سـيدي عيش و لم تسفر هذه المحاولات عن أي اكتشاف.

في سنة 1946 إكتشـفت شركة بترول "الصور" الفرنسية أول حقل بـترولي في "قطرنى" ثم حقل "برقة" بالقرب من عين صالح عام 1952، و منـذ تلك الفترة أدركت فرنسـا و الشركات الأجنبية(3) أنه لابد من اسـتغلال الثروات البترولية للجزائر، و سـعت للحصول على امتيازات للبحـث و التنقيب. و بالفعل نجحت هذه الشركات في سلسـلة من الإكتشافات بدأت بحقل "إيجلس "عام 1954 و "حاسي مسعود" سنة 1956 المكتشف من طرف شركة البترول الفرنسية -الجزائر- و الشركة الأهلية للتنقيب عن بترول الجزائر و إستغلاله -ريبال- و نظرا لأهمية الحقل صرحت فرنسـا أنه لو أمكن نقل هذا البترول إلى ساحل البحر لتم الإستغناء عن بترول الشرق الأوسط.

و من الحقول أيضا عجيلة، تقنتورين و وزارزتين التي إكتشفتها شركـة البحـث عـن بـترول الصحـراء وإسـتغلاله، و يصنف بترول جميع هذه الحقول من النوع الجيد الذي تنخفض نسبة الكبريت فيه.

صاغـت فرنسـا أهدافها الإسـتعمارية و الإسـتغلالية للثروات الوطنية في شـكل مواد صدرت بإسـم قانون البـترول الجزائري رقم: 1111/58 في 1958/11/22 و شمل مايلي:

- وضـع نظام للإمتيـازات، مع وضع حـد أدنى للإنتاج يتوافق مع تحقيق أكبر قدر من سلب الثروات البترولية؛

- حسـاب الضريبة و الأرباح على أساس الأسعار الفعلية و هي ما تصح به الشركات وتقل بحوالي 20% عن الأسعار المعلنة؛

- تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية في الاستثمارات البترولية؛

- خصـم 27,5% من إنتـاج البترول تحت بنـد" "صندوق تجديد المخزون" دون أن يدخل في حساب الضرائب أو الأرباح.

ثانيا:قطاع المحروقات خلال فترة 1962-1999

تميزت هذه الفترة بإبرام عدة إتفاقيات و إصدار قوانين لترقية هذا القطاع و كانت أهمها:

1- اتفاقيات إيفان 1962: و لعل أهم المسائل البترولية التي تضمنتها إتفاقية ايفيان هي:

- إبقاء النصوص المتعلقة بقانون البترول الصحراوي؛

- إستثمار الثروات البترولية في إطار مشترك من خلال الهيئة الفنية لاستغلال ثروات باطن الأرض؛

- إعتـماد على الفرنك الفرنسي في عملية تسـديد قيمة المنتوجات البترولية؛

- إشراف هيئـة تحكيـم دولية عـلى عملية الفصـل في المنازعات البترولية(4).

إلاّ أن هـذه الإتفاقيـة لم تحمل الجديد معها، ذلك أن السـيطرة الوطنيـة على الـثروات لم تتحقـق و أهم ما حدث بعـد الإتفاقية و تحديدا في 31 ديسمبر 1963 هو إنشاء الشركة الوطنية للبترول "سونا طراك"(5).

2 - إتفاق جويليـة 1965: لقد مثلت هذه الإتفاقية تعاون جزائري فرنسي و شملت على:

- رفع نسبة الضريبة من 50% إلى 53% و صلت خلال سنتي 1968 و 1969 إلى حوالي 54% و 55% على الترتيب؛

- التزام فرنسـا بالمساهمة في التطوير الصناعي بالجزائر مع زيادة إستثمارات الشركات في عمليات التنقيب والبحث؛

- إلغاء نسـب الاسـتهلاك و وضع نظام جديـد يتوافق مع ما هو معمول به في الدول المنتجة؛

- رفع حصة الجزائر إلى النصف في شركة(S.N.RIBAL) الفرنسية، مـع تعيين رئيس للشركـة من الجزائر، إضافـة إلى التنازل عن الحصة الخاصة بالشركة في معمل تكرير البترول بالجزائر بنسبة 10%؛

* لا يظهر E.Views سوى المعادلة و معامل التحديد ،وسيتم إستنتاج معامل الإرتباط بإعتبار أن $R=\sqrt{R^2}$ ،ويعني الإرتباط مدى تماشي قيم متغير مع قيم متغير آخر في الإتجاه الطردي أو العكسي و وجود سببية بين المتغيرين

$-1 < R < 1$

- سيطرة الجزائر على الغاز الطبيعي و تكون بذلك ملكية تامة لها؛

- إستحداث نظام المشاركة التعاونية الجزائرية الفرنسية.

و قد ساهمت هذه الإتفاقية في تزايد دور شركة سوناطراك، حيث كان أول تنظيم للشركة على أساس المسؤوليات التي يتحملها الطرف الجزائري في إطار إتفاقية 1965(6).

و ما تجدر الإشارة إليه أنه مع إفتقار شركة سوناطراك لوسائل الحفر و التنقيب تم تكليف شركات أجنبية بذلك، و هو ما تسبب في تأسيس مجموعة من الشركات المختلطة، كانت أولها شركة "ألفور" تمتلك فيها شركة سوناطراك 51% بينما بقيت 49% لشركة الجنوب الشرقي للتنقيب الأمريكية "sedco" و بنفس النسبة إمتلكت سوناطراك جزء من شركات أخرى تأسست على أساس الشراكة منها:ألجيو،ألسترا،ألريف،ألكور...الخ.

3 -ثورة التأميم: لقد مرت عملية التأميم في الجزائر بعدة مراحل أهمها(7):

أ) مرحلة أولى تضمنت مايلي:

- من خلال شبكة البيع التابعة لشركة بريتش بتروليوم، فرضت رقابة على شركتين أمريكتين للتوزيع و التكرير في سنة 1967؛

- إبرام اتفاقية جيتي في19أكتوبر 1967، تولت من خلالها شركة سونا طراك دور المتعهد الرئيسي للأعمال و ملكية الدولة للغاز الطبيعي؛

- إصدار مجموعة من قرارات التأميم للشركات الأجنبية (8) سنة 1970 و هو ما أدى إلى الرفع من حصة سوناطراك؛

-أعلنت الجزائر عن زيادة سعر البرميل من البترول إلى دولارين و 95 سنت بتاريخ 21--07 . 1970

ب) مرحلة ثانية(9):

بعد كل تلك الإتفاقيات و المفاوضات التي خاضتها الجزائر رفقة الطرف الفرنسي، لم يبق لهذه الدولة التي تبحث عن تأكيد الإستقلال السياسي بالإقتصادي إلاّ قرارا واحدا و هو قرار التأميم.و تم ذلك من خلال خطاب الرئيس الراحل هواري بومدين الذي أصدر عدة قرارات نفذت إبتداءا من يوم الأربعاء 1971/02/24 و كانت أهمها:

* ترفع المشاركة الجزائرية في كل الشركات النفطية الفرنسية إلى 51% من أجل التحكم الفعلي فيها؛

* تؤمم حقول الغاز الطبيعي و يؤمم النقل البري أي كل الأنابيب البترولية.

و كانت أهمّ النتائج التي ترتبت عن قرار التأميم و أثرت على هيكل قطاع المحروقات هي(10):

التخلص من التبعية الإقتصادية للجزائر، و المتعلقة أساسا بالثروات الوطنية؛

- إنهاء عقود الإمتياز التي إكتسبت صفة الإحتكارية في مراحل النقل و التسويق و الإنتاج النفطي؛
- تخلي الشركة الفرنسية للبترول عن مصالح النقل في شركات "ترايسا ،سويغ و سوترا"، و بيع مصنع لتسييل الغاز الطبيعي؛
- رفع نسبة مشاركة و سيطرة سوناطراك إلى 51% في عقود البحث و التنقيب؛
- تحول الدفع من الفرنك الفرنسي إلى الدينار الجزائري؛
- فتح المجال أمام اليد العاملة الوطنية إطارات أو غيرها.

و من ثم إرتبطت التنمية الإقتصادية في الجزائر بالقطاع النفطي و مداخيله منذ السبعينات، فتكثف إنتاج المحروقات، و أقيمت لذلك إستثمارات ضخمة. فإذا كان المخطط الثلاثي 1967-1969 قد وجه ما يقارب 2,3 مليار $ للإنتاج البترولي بنسبة وصلت إلى 45% من المبالغ المخططة للاستثمار الوطني، فإن المخطط الرباعي 1970-1973 قد رفع من الحصة المخصصة للقطاع إلى 9 مليار $ بنسبة فاقت 49% من إجمالي الإستثمارات (11). و لقد ساهمت هذه الإستثمارات في زيادة الإنتاج الجزائري من المحروقات من جهة، و كذا في تنوعه من جهة أخرى كما يبينه الجدول الآتي:

جدول رقم (1)

الإنتاج الجزائري للمحروقات

الوحدة: ألف طن

السنوات	غاز طبيعي	غاز البترول	منتوجات	بترول خام
1962	300	-	-	22.800
1969	2600	100	2.200	50.000
1974	5500	380	5.000	52000
1979	20.000	1000	600	63000
1984	30.000	3500	21.000	52.000

المصدر: احمد هني: "المديونية" موقم للنشر، الجزائر 1992، ص 76.

و الملفت للإنتباه أن فترة السبعينات قد توفرت فيها الموارد المالية من العوائـد البترولية بصـورة مرتفعة، نتيجة لإرتفاع أسـعار النفط بسـبب الظروف السـائدة آنذاك و المتعلقة أساسا بالصدمة البترولية "الإنتصار العربي في حرب أكتوبر 1973.

فتضاعف بذلك دور قطاع المحروقات و خاصة شركة سوناطراك التي زادت نسبة سيطرتها من 56% نهاية 1971 إلى 82% عام 1980، وإرتفع حجم منتوجاتها البترولية إلى 98.5% عام 1981، خاصة بعد أن أحكمت سيطرتها على جميع مراحل الإنتاج البترولي بـ 100% على أهم الحقول الجزائرية و هو حقل حاسي مسعود (12).

ثالثا: قطاع المحروقات و الإصلاحات الجديدة 2000-2005 (13)

عـرف قطاع المحروقات خلال فـترة 2000-2005 نتائج قيمة نظرا للإصلاحات الهامة التي قامت بها الدولة في تعديل و إستحداث قوانين و مؤسسـات مكنتهـا من إسـترجاع صلاحيتها بصفتهـا مالكة للثروة الطبيعية و محرّك للإستثمارات.

1 - إصلاحات مؤسساتية و تطوير مصادر و هياكل القطاع

أ) الإصلاح المؤسساتي:

لقد برزت هذه الإصلاحات في شـكل قوانين شملت معظم مصادر الطاقة (14)، و أهمها التي تم المصادقة عليها و سـاهمت في ترقيتها أي:

* قانـون رقـم 99-09 المـؤرخ في 28 جويليـة 1999 المتعلـق بالتحكـم في الطاقـة، و قـد شـمل القانـون مجموعة من التدابير و الإجراءات المتخذة سـعيا لترشـيد الطاقة وتطوير الطاقات المتجددة(15) و كذا في التقليل من آثار النظام الطاقوي على البيئة.

* قانون رقم 05-07 خـاص بقطاع المحروقات مؤرخ في 28 أفريل 2005 و أهم ما جاء في القانون هو رفع الإحتكار في استغلال منشآت نقل المحروقات و كذا فتح المجال للإستثمار مع السماح للمتعاملين بإستغلال شـبكة النقل بالأنابيب إضافة إلى الإهتمام أكثر بالبيئة، و سيسـمح القانون أيضا بتوسـيع المنافسـة و عدم التمييز بين المتعاملين العموميين عند منح الرخص..الخ.

و أما المادة 9 من القانون فقد خصتها لتسعير البترول الخام، حيث يحسب سعر البترول الخام داخل المصفاة كل سنة على أساس متوسط سعر البترول الخام للصادرات للعشر سنوات الأخيرة (16).

ب- تطوير مصادر المحروقات:

حاولـت الحكومة خلال هذه الفترة تطوير مصـادر الطاقة وهذا عن طريق:

* تطوير جهود البحث: ساعد إصدار نظام المناقصات المفتوحة من خلال نشرة المناقصات الأسـبوعية لقطاع الطاقة و المناجم سنة 2001 في تقليص مدة المفاوضات، و هو ما ساهم في زيادة و مضاعفة العقود المبرمـة. ففي الفترة الممتدة بـين 2000-2005 أبرم في إطار البحث و الإستكشـاف أكثر مـن 40 عقد مع الشركاء الأجانب من خلال سـت مناقصات دولية، حفر أيضا 240 بئر و سجل 51 إكتشافا للمحروقات، 43% منها كان من طرف شركة سونا طراك.

*زيـادة الإحتياطيات المؤكدة و تحسـين إنتاجيـة المكامن: تقدر إحتياطيات المحروقات المؤكدة التي تم إثباتها إلى غاية 01-01-2005 بـ 11,35 مليـار برميل من البترول الخـام و 4550 مليار مكعب من الغـاز الطبيعي.و تعتبر الإحتياطيات النفطية منخفضة مقارنة بالدول العربية النفطية، و لهذا تسـعى شركة سوناطراك إلى رفعها من خلال مجموعة من المشاريع، خاصة تلك المتعلقة بتحسين إنتاجية المكامن.

ج- تطوير الهياكل القاعدية:

ونقصد بها التكرير، تمييع الغاز الطبيعي، و النقل.

* التكرير:تعتمـد صناعـة التكريـر في الجزائر عـلى أربع مصاف أساسـية هي سكيكدة، أرزيو الجزائر العاصمة و حاسي مسعود، ذات طاقـة تكريرية إجماليـة تقدر ب 22 مليون طن في السـنة، تباشر و تـشرف شركة "نفتك" فرع 100% بشركة سـونا طراك على نشـاطات التكرير.

و تماشيا مع متطلبات السوق الدولية و المعايير الأوربية الجديدة، قامت الشركة بإعـداد برنامج لتأهيل و تحديـث وحداتها التكريرية للفترة 2005-2008 بمبلغ يصل إلى 1,2 مليار $ و أهم هذه المشاريع:

- مـشروع هليوم سـكيكدة بدء من جـوان 2005 لإنتاج 600 مليون قدم مكعب / سـنة من الهيليوم و 50.000 طن / السنة من الأزوت.
- مـشروع مصفاة أدرار لتكريـر 600.000 طن/ السـنة من البترول، انطلقت الأشغال في مارس2004 بتكلفة إستثمارية و صلت إلى167 مليون دولار، 50,1 مليون مقدمة من سوناطراك و 116,9 مليون$ تمولها شركة CNPC الصينية.

* تمييـع الغاز الطبيعـي و غاز البترول : تملك شركة سـونا طراك طاقة تحويل و تمييع الغاز الطبيعي مقدرة بـ 24 مليون طن من الغاز السـائل، و أهم المشاريع الجديدة مصنع تيهرت بطاقة إنتاج 36000 برميـل / يوم من الغاز السـائل. و أما فيما يتعلـق بغاز البترول الذي يقدر إنتاجه الحالي بـ 9,2 مليون طن يوجه للتصدير،فتسـعى الجزائر لرفعه في سنة 2010 إلى 14 مليون طن.

*النقـل: و نقصد بـه الموانئ البترولية المتمثلـة في ميناء أرزيو و بجاية و سـكيكدة، و سعيا لتطويرها تم إنشاء شركة تسيير و إستغلال الموانئ البترولية من شركة سونا طراك و شركة تسير الموانئ سنة 2004.

2 - إستهلاك الطاقة و ترشيدها:

إنطلاقا من المخطط الوطني لإسـتهلاك الطاقة، تهتم شركة نفطال فرع 100% لسـوناطراك عـلى تلبية الإحتياجـات الوطنية من المواد البترولية، محاولة تأقلم أنشـطتها مع متطلبات السـاحة الإقتصادية من خلال توجيه الجهود الإسـتثمارية نحو تجديد و تحديث منشآت التخزين و التوزيع و إعادة تنظيم نشـاطاتها لمواجهة المنافسة خاصة بعد إنفتاح سـوق المواد البترولية للخواص و المنافسـة الأجنبية، و في إطار الشراكة قامت سونطراك بمفاوضات مع بعض الشركات الأجنبية الكبرى منها Exxon Mobil , BP, Shell.

3 - الإنضمام إلى منظمات دولية:

إن أهمية هذا القطاع بالنسـبة للإقتصـاد الوطني، تجعل ترقيته و تطويره تسـاهم بشـكل فعالة في رفع مكانة الإقتصاد الوطني على الصعيـد الدولي. فقد تمكنـت الجزائر من خلال البـترول و الغاز من الإنضـمام للكثير من المنظمات التي لها وزنها على المسـتوى الإقليمي أو العالمـي، و منها منظمة البلدان المصدرة للبترول"OPEC"، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، و تعتبر من أهم الأعضاء المؤسسـين لجمعية الدول الإفريقية المنتجـة للبترول"APPA" و هي مقر للجنة الإفريقية للطاقة "AFREC".

أما فيما يتعلق بالجانـب الأوربي، فقد تمت المصادقة على إتفاقية شراكة بين الجزائر و الإتحاد الأوربي من أجل التعاون في ميدان الطاقة و المناجـم، خاصة و أن شركة سـونا طراك عرفـت إتفاقيات تعاون و شراكة في هذا المجال، حيث يعمل في الجزائر أكثر من 50 شركة عالمية للنفط و الغـاز، فوصلت قيمة الإسـتثمارات الأجنبية المباشرة ما بين 2000-2005 حوالي 10 مليار$.

و بالنظر للأهمية البالغة التي تحضى بها الموارد المالية المتأتية من القطـاع، فقد وجهـت الإصلاحات أيضا لهذا الجانـب، و لعل أهم ما جسد منها هو صندوق ضبط الموارد، فماهي أهميته ؟

4 - صندوق ضبط الموارد:

أدى الإعتـماد المتزايد على الإيرادات النفطيـة الخاضعة لتقلبات أسـعار البترول إلى تعقيد السياسة المالية للدول المنتجة للنفط و منها الجزائـر، و لمعالجة هذه الإختلالات قامت الكثير من الدول المنتجة و المصدرة للبترول بإنشـاء صناديق تعددت مسمياتها لكنها إشتركت في أهدافها و قواعد عملها، سـمي هذا الصندوق في الجزائر بـ "صندوق ضبط الموارد" (17).

أ - ماهية الصندوق:

لقد جاء إنشـاء الصندوق في سـنة 2000 (18)، و هي فترة ميزها الإرتفاع الكبير لأسـعار البـترول، التي أثرت تأثـيرا إيجابيا بالزيادة في إيـرادات الميزانية العامة و التي تمثل إيـرادات الجباية البترولية فيها الجزء الأكبر.

و قد ساهم الإرتفاع الذي شهده السوق النفطي العالمي في أسعار أهـم المـوارد الطاقويـة و هو النفـط في الإنتقال مـن حالة عجز في الميزانية قدر سنتي 1998و1999 بـ 101,3 مليار دج و 11,2 مليار دج على التوالي إلى فائض سنة 2000 وصل إلى 400 مليار دج .

و بذلـك إتخذت الحكومة إجراءات و معايـير صارمة أثناء إعداد الميزانيـة العامة للدولة التي إعتمدت سـعر مرجعي متوقع لأسـعار المحروقات تحددت وفقه إيرادات الميزانية العامة، و حدد هذا السعر بـ 19 دولار للبرميل، و أمام فارق وصل إلى 9,5 $ للبرميل بين السـعر المرجعي و السـعر السوقي، عملت الحكومة الجزائرية على إمتصاص هذا الفائض من خلال إنشاء صندوق يتولى تلك المهام.

و إتمامـا لعمل الصندوق، تم تعديل بعض القواعد و الأسـس من خلال قانـون المالية لسـنة 2004 وفقا للمادة 66 مـن قانون23-22 المـؤرخ في 04 ذي القعـدة 1424 الموافق ل 28 ديسـمبر 2003 التي نصـت على أن تعدل المـادة 10 من القانون رقـم 2000 02- المؤرخ في 27 جـوان 2000 بحيث يضاف إلى باب الإيرادات تسـبيقات بنك الجزائر الموجهة لتسيير المديونية الخارجية (19).

ب -أهمية الصندوق:

يسـتمد صندوق ضبط الإيرادات أهميته إنطلاقا من تحـوله و في فتـرة وجيزة إلى أداة رئيسـية و فعالة للسياسـة المالية للحكومة، و يمكن إيضاح دوره و أهميته في النقاط الآتية:

- سـاهمت المـوارد المالية للصندوق في التقليـل من مديونية الدولة؛
- ضبـط فوائض البـترول و توجيهها في مسـار يخدم مصلحة الإقتصاد الوطني؛
- تغطية العجـز في الميزانية العامة و الإنتقال من حالة العجز إلى الفائض؛
- يمكـن أن يأخذ الصنـدوق أدوارا مزدوجة حسـب أهدافه، فإما أن يهتم بمعالجة المشـكلات المتعلقة بتقلب الإيرادات النفطيـة و سـوء تقديرهـا، و هنا يمثل "صنـدوق ضبط أو تثبيـت"، كما يمكن أن يسـتخدم في إدخار جزء من إيرادات النفط للأجيال المقبلة و هنا يسمى "صندوق إدخار".

يمكن القول أن صندوق ضبط الموارد الذي يمثل أداة مالية هامة للإقتصاد الجزائري تتزايد أهميته خاصة في السنوات الأخيرة التي إرتفعت فيها أسعار النفط بشكل كبير.

كما أن إنشاء الصندوق هو تأكيد واضح للعلاقة المترابطة و المتشابكة بين الإقتصاد الجزائري

و قطاع المحروقات الذي بدا تأثيره واضحا من خلال عوائده، و وصف الإقتصاد الوطني بأنه عرضه للصدمات الخارجية الناتجة عن تقلبات أسعار النفط في سوق البترول العالمي.

و لعل الحديث عن تعرض الإقتصاد الجزائري للصدمات سواء كانت سلبية أو إيجابية ناتج أساسا عن الأثر الذي يمكن أن تخلفه التقلبات السعرية للنفط على الكثير من المؤشرات الكلية، و هو ما يستوجب منا دراسة هذا الأثر من خلال الجزء الموالي.

الجزء الثاني: إنعكاسات أسعار النفط على الإقتصاد الجزائري

شهد الإقتصاد الوطني مراحل إنتقالية عديدة ساهم في إيجادها العديد من الظروف و العوامل الداخلية و الخارجية، كان البترول أهم هذه العوامل و المؤثرة على الجانب الإقتصادي والجانب النقدي و الجانب الإجتماعي و الذي يمكن من خلاله إستنباط أهم مفارقات النفط في الجزائر.

أولا:الجانب الإقتصادي

نحاول من خلال هذا الجانب التطرق إلى بعض المؤشرات كالناتج المحلي، الصادرات، الواردات، الميزان التجاري، المديونية و خدمتها،مع إظهار في كل مرة العلاقة بين كل مؤشر و سعر النفط في مختلف الفترات -السبعينات ،الثمانينات،التسعينات و بداية الألفية الثالثة- لتميز كل فترة بخصائص معينة.

1 - الناتج المحلي الإجمالي(PIB):

يشير الناتج المحلي إلى جميع السلع و الخدمات المنتجة محليا سواء كان المنتج جزائري أو أجنبي، فهو يتضمن الصادرات بإعتبارها منتوجات محلية ويستبعد الواردات بإعتبارها منتوجات خارج الوطن، وبذلك يمثل PIB مؤشر ذو أهمية كبيرة يمكن من خلاله قياس معدل نمو الإقتصاد الوطني ومعرفة الوضعية الحقيقية للإقتصاد.

وإنطلاقا من معطيات النفط والناتج المحلي الإجمالي في العمود (1) و(2) في الملحق (أ) ظهرت النتائج الآتية:

$$PIB = 0,70PP+32,18$$

$$R2= 0,145961$$

$$R=0,3820484$$

تشير النتائج إلى وجود علاقة طردية بين PP و PIB و هذا ما يبرزه منحنى الشكل البياني(1) من ملحق I، من خلال ميل المعادلة الموجب 0,70 ، و يصل معامل الإرتباط إلى 38,20%بين المتغيرين، كما يمكن القول من خلال معامل التحديد أن أكثر من 14,59%من التغير الإجمالي للناتج للفترة 1975-2004 يمكن تفسيرها من تقلبات أسعار النفط، خاصة و أن قطاع المحروقات يساهم بأكثر من 40% في الناتج المحلي الإجمالي (20).

*فترة السبعينات: شهد الناتج المحلي الإجمالي نموا مستمرا منذ منتصف السبعينات حيث إنتقل من 15,59 مليار دولار سنة 1975 إلى 30,28 مليار دولار عام 1979 بنسبة 113,47% خاصة بعد إرتفاع أسعار النفط نتيجة إنتصار أكتوبر 1973 من جهة و توجيه أكبر قدر ممكن من الإستثمارات نحو قطاع المحروقات بأكثر من 45% من الإستثمارات الوطنية من جهة أخرى.

*فترة الثمانينات: إستنادا لمعطيات الثمانينات من الملحق (أ) إتضح أن المعادلة بين المتغيرين كانت كما يلي:

$$PIB= -0,79PP+73,14$$

أوضحت سالبية الميل لوجود علاقة عكسية بين الأسعار و الناتج، أكدها معامل الإرتباط الذي بلغ 87,69%-و من ثم وصل معامل التحديد إلى 76,9%.

فحسب معطيات فترة الثمانينات، يتضح أن الناتج عرف إرتفاعا مستمرا رغم تقلبات أسعار النفط بين الإنخفاض و الإرتفاع، و حتى لما بلغ السعر أدنى مستوياته أثناء أزمة 1986 حيث وصل إلى 12.97 دولار للبرميل بإنخفاض نسبته إلى 52.28%، إلاّ أن الناتج قد إرتفع بأكثر من 5 مليار دولار،و هو ما يشير إلى أن قطاعات الصناعة و الزراعة قد إتخذت نسب مساهمة كبيرة في الناتج أثناء هذه الفترة حيث خصص المخطط الخماسي الأول أكثر من 78,43% و 36,06% من إجمالي الإستثمارات لكل من قطاعي الفلاحة و الصناعة على التوالي رغم تقليص هذه النسب خلال المخطط الخماسي الثاني (21).

***فترة التسعينات: لم تكن فترة التسعينات كالثمانينات، إذ أوضحت معطيات هذه الفترة من الملحق (أ) وجود علاقة طردية حسب المعادلة الآتية:**

$$PIB=0,23PP+44,05$$

في حين بلغ معامل الإرتباط أكثر من 17,28% وفقا لنتيجة معامل التحديد المقدرة بـ 2,99%. فقد شهد الناتج تقلبا بين الإنخفاض و الإرتفاع المرتبط بحركة أسعار النفط من جهة و الأوضاع الإقتصادية و برامج الإصلاح خلال التسعينات من جهة أخرى، خاصة فيما يتعلق بتشجيع الصادرات المعتمدة أساسا على الصادرات النفطية و تقليص

الـواردات وفقا لبرنامج التعديل الهيكلي، إضافـة للتحفيزات المقدمة من أجل إستقطاب أكبر قدر ممكن من الإستثمارات الأجنبية المباشرة، و هـو ما يؤدي إلى الرفع مـن الناتج المحلي الإجـمالي. كما أن حركة المتغيرين في الإتجاه نفسـه أوضحتها سنتي 1994و1998 التي شهدت إنخفاضا في الأسعار مما أثر على قيمة الناتج بالإنخفاض.

*فـترة (2000-2004): لقـد كان للإرتفـاع المسـتمر الذي عرفته أسعار النفط خلال هذه الفترة دورا هاما في تطور الناتج المحلي الإجـمالي وصل سـنة 2004 إلى أكثر من 76,59 مليـار دولار و هو ما يؤكـد عن بقاء الإرتباط بين المتغيرين، كما أن برامج الإصلاح و خاصة برنامج الإنعاش الإقتصادي و تنمية المؤسسـات الصغيرة و المتوسـطة و كـذا حركات الشراكة و الخصخصـة كان لها أيضا أثرا بالغا في زيادة الإنتاج المحلي، إضافة إلى نمو إجمالي الاستثمارات الأجنبية المباشرة.

فقد بلغ عدد المؤسسات و الأصول المتنازل عنها من شهر جوان 2003 إلى 2005 حوالي238 مؤسسة، في حين تحاول الجزائر التنويع في إستثمارها بهدف تنويع صادراتها و تحسين و تطوير قطاعاتها الزراعية و الصناعية و الخدمية و هو ما سمح للناتج المحلي الإجمالي بلوغ 101 مليار دولار حسـب الإحصائيات التـي قدمها رئيس الحكومة يوم 21 مارس 2006 (22).

2 - الميزان التجاري و عناصره

بإعتبـار أن رصيـد الميزان التجاري يظهر مـن خلال الفرق بين الصادرات و الواردات فسيتم تحليل الصادرات أولا والواردات ثانيا، و من ثم الميزان التجاري.

أ-الصادراتE:حسب معطيات العمود(1) و(3) من الملحق(أ) ظهرت النتائج كمايلي:

$$E=0,61PP- 0,580916$$

$$R2=0,453362$$

$$R=0,6733216$$

تشـير المعادلة إلى أن هناك علاقة طردية بين أسـعار النفط و الصـادرات(الميل موجب)، و هو ما يبينه معامل الإرتباط أيضا، حيث تفوق قيمته 0,5 بالتالي فالعلاقة طردية و قوية، و يمكن القول أن أكثر من 45,33% من التغير الإجمالي في الصادرات لفترة الدراسة يفسّر من قبل تغيرات أسعار النفط و هذا ما يوضحه منحنى الشكل البياني (2) من الملحق I.

و بإعتبـار أن المعامـل الثابت في المعادلة يحـدد قيمة الصادرات بغضّ النظر عن تغيرات أسـعار النفط، فبفرض=0 PP، فإن0,58-=E، أي أن وجود الصادرات مرتبط أساسا بأسعار النفط و حركتها.

*فترة السـبعينات: شـهدت الصادرات إرتفاعا بارزا بسـب إرتفاع أسعار النفط منذ تاريخ تأميم القطاع، حيث إنتقلت من 0,822 مليار دولار سنة 1971 إلى 4,601 مليار دولار سنة 1974 أي تضاعفت بـ 6 مرات خلال 4 سنوات (23) ،و يعود ذلك للأسباب الآتية:

- بسط سلطة الجزائر و شركتها الوطنية على ثرواتها بعد تأميم البترول في 24 فيفري 1971؛

-الإنتصار العربي في حرب أكتوبر 1973 و إرتفاع أسعار النفط إلى أعلى مستوياته؛

-توجيـه الجزء الأكبر من الإسـتثمارات مـن الخطط التنموية منـذ الإسـتقلال إلى قطـاع المحروقـات و خاصـة المخطـط الرباعـي 1970-1973 الـذي وجه أكثر مـن 9 مليار دولار للقطاع البترولي (24).

-كان للأحـداث الخارجية دورها في التأثير على أسـعار النفط بالارتفـاع منـذ نهايـة فـترة السـبعينات نتيجـة الثورة الإسلامية في إيران، أين انتقل سعر البترول الجزائري من 15,12 دولار للبرميل في 1978 إلى 24,80 دولار للبرميل سنة 1979 كما يظهر في الملحق (أ).

*فترة الثمانينات: توضح سـنوات الثمانينات الإرتباط الكبير بين تقلبات أسـعار النفـط و قيمة الصادرات، حيث توقفـت الزيادة أو الإنخفـاض في قيمة هذه الأخيرة بالظـروف الخارجية التي تتحكم في أسـعار البترول. فقد تضاعفت الصادرات من 8,198 مليار دولار سنة 1979 إلى أكثر من 15,623 مليار دولار سنة 1980 بسبب إندلاع حرب الخليج الأولى.

و سـاهم تقليل نسبة الإستثمارات الموجهة للقطاع في الخطط التنمويـة لعقد الثمانينات و خاصة المخطـط الخماسي الأول 1980-1984 من جهة و إنخفاض أسـعار النفط مـن جهة أخرى في الضغط على الصـادرات بالإنخفاض، حيث بلغت سـنة 1982حوالي 11,476 مليـار دولار، بالرغـم من الجهود الكبيرة لتنميـة الإنتاج غير النفطي بتوجيه إسـتثمارات حكومية كبيرة إلاّ أن المساهمة بقيت ضئيلة جدا في الصادرات الوطنية.

و قد تميزت الفترة بحدث مهم على الساحة الدولية كان له الأثر المباشر على صادرات الجزائرية، حيث إنخفضت أسـعار النفط بشكل مفاجئ نتيجة حرب الأسـعار التي شهدها سـوق النفط العالمي سنة 1986 ليبلغ سـعر البترول الجزائري حـوالي 12,97 دولار للبرميل(25) بعـد أن كان سـنة 1985 أكثر من 27 دولار للبرميـل. فإنهارت عوائد الصـادرات بأكثر مـن 42,13% و وصلت إلى 7,430مليار دولار سـنة 1986 و هـي أقل قيمة تشـهدها الصادرات أثنـاء عقد الثمانينات و بالمقابل سـعر النفط يمثل أقل سعر أثناء الفترة نفسها و هو ما يظهر جليـا من خلال النقطة الحدية الصغرى للمنحنى الشـكل البياني (2) من الملحق I.

و قد أكدت الأزمة عن الإرتباط الشـديد لتمويل الإقتصاد الوطني و خططه التنمويـة بإيرادات الصادرات من قطاع المحروقات، و ظهر ذلـك جليا مـن خلال قيمة معامـل الإرتباط لهذه الفـترة الذي فاق 93,89% مـا يؤكد على أن هناك علاقة ترابـط قوية و طردية، حيث إن أكـثر من 88,16% من التغيير الإجمالي في الصادرات يفسر من قبل تغيرات أسعار النفط.

*فترة التسعينات: إن ما يمكن ملاحظته من خلال المعطيات المتاحة لفترة التسـعينات هو التقلبات المسـتمرة التي شهدتها أسعار النفط سواء بالإرتفاع أو الإنخفاض، وهو ما كان له أثر مماثل بالنسبة للصـادرات في نفس حركة إتجاه و تغير سـعر البترول. فكانت البداية بإنتعاش الأسعار وصولها إلى ما فوق العشرين دولار بعد أن غابت عن هذا المستوى منذ أزمة 1986، فبلغت سنة 1991 حوالي 28,85 دولار للبرميـل، كانت الصادرات حينها قد وصلـت إلى 11,790 مليار دولار و كان ذلـك نتيجـة أزمة الخليج الثانية من جهـة و الإصلاحات التي بدأت فيها الجزائر منذ 1989، حيث تم تخفيض قيمة العملة من أجل جذب الإستثمارات الأجنبية المباشرة و خاصة في قطاع المحروقات.

إلاّ أن فـترة الإنتعاش لم تدم طويـلا إذ سرعان ما عادت الصادرات للإنخفاض حتى بلغت أقل مستوياتها أثناء فترة التسعينات سنة 1994 حـوالي8,591 مليار دولار، بسـبب إنخفاض السـعر إلى 16,31 دولار للبرميل و كذا الأوضاع الأمنية السـيئة و حالة للاستقرار السياسي التي عاشتها الجزائر خلال هذه الفترة و هذا ما يوضحه و هذا ما يوضحه منحنى الشكل البياني (2) من الملحق I.

و سـواء تعلق الأمر بأزمة 1986 أو إنخفاض الأسعار في 1994-1998 فقـد إتضـح أنه من بين أهـم العوامل التي ربطـت الإقتصاد الجزائـري بالظـروف الخارجية هو الإعتماد على إيـرادات الصادرات مـن المحروقات التي تفوق في كثير من الأحيـان 95% من الصادرات الإجمالية، و هو ما جعله عرضة للصدمات الخارجية (26).

و إذا كانـت سـنوات الثمانينات قد أوضحت الإرتباط الشـديد و القـوي بين الصادرات و أسـعار النفط حتى فـاق 93,89% فإن فترة التسـعينات كانـت مغايرة نوعا مـا من حيث درجـة الإرتباط، إذ لم يتعدى معامله 18,89% و لم تفسر أسعار النفط إلا حوالي 3,57% من تغيرات الصادرات بسـبب ظروف أخـرى داخلية منها و خارجية كان أهمها برنامج التعديل الهيكلي المطبق خلال هذه الفترة.

*فترة(2000-2004): شـهدت هذه الفترة إرتفاعا كبيرا في قيمة الصادرات حيث بلغت أكثر من 4,1783 مليار دولار سنة 2004، بسـبب الإرتفاع و التطور المستمر لأسعار النفط إذ إنتقلت من 24,8 دولار للبرميـل سـنة 2001 إلى 38,66 دولار للبرميل سـنة 2004 من جهة ،و أحداث11 سبتمبر من جهة أخرى.

تجـدر الإشـارة إلى أن المنحـى التصاعدي -الظاهر في الشـكل البياني (2) من الملحق I - الذي إتخذته صادرات الجزائر لا يرجع فقط لإرتفاع أسـعار النفط، بـل إلى برامج الإصـلاح و الإنعاش الإقتصادي و زيـادة الإسـتثمارات الأجنبية المباشرة في إطار برنامـج ميدا الأورو متوسـطي بقيمـة 6 مليـار أورو. و خـلال عـام 2004 كما أشـارت الإحصاءات الرسـمية فإن نسـبة نمو الصادرات غير النفطية و الغازية خلال نفس السنة قد بلغت 20% مقارنة بسنة 2003 (27).

ب -الـواردات: IM أوضحت المعطيات الواردة في العمود(1) و(4) من الملحق (أ) النتائج الآتية:

$$IM=0,25PP+4,4389$$

$$R2=0,406869$$

$$R=0,637862$$

هناك علاقة طردية و قوية بين أسعار النفط و الواردات يوضحه منحنى الشـكل البياني (3) من الملحـق II ،حيث بلغ معدل الإرتباط أكثر من 63,78% في حين أوضح معامل التحديد أن أكثر من 40,68% مـن التغيرالإجمالي في قيمـة الواردات تفسر من قبل تغيرات أسـعار النفط.

و يرجـع هـذا الإرتباط لكون الموارد المالية التي يتم من خلالها تغطية الواردات الوطنية ناتجة أساسـا عـن المداخيل المتحصل عليها من الصـادرات النفطية، حيث من بين أهـداف زيادة الصادرات هو توفير العملة الصعبة لتغطيـة الإحتياجات من الدول الخارجية، ومن ثم فإنه وفق علاقة إسـتلزامية إستنتاجية تتأثر قيمة الواردات بحركة الأسعار.

*فترة السـبعينات: أمام الإرتفاع المسـتمر لأسـعار النفط شهدت الواردات زيادة مستمرة بلغت سنة 1979 حوالي 8,511 مليار دولار،و تمثلت في السلع الغذائيـة و الإستهلاكية و التجهيزات المختلفة و المـواد الأولية و المنتجات نصف مصنعة التي بلغت أعلى مسـتوى لهـا في سـنة 1977 حيـث وصلت إلى 11,233 مليـار دينار جزائري (28).

و يعـود التضاعـف في الواردات إلى محاولـة الجزائر من خلال توجهها الإشتراكي أثناء تلك الفـترة إلى بناء إقتصادها عن طريق تدعيم قواعد التنمية باسـتيراد تجهيزات الإنتـاج، المواد الأوليـة و المنتجات نصـف مصنعة، و عملت السـلطات آنذاك عـلى تغطيتها من خلال عوائد صادراتها النفطية التي صادفت إرتفاع أسعار النفط بعد 1973.

*فترة الثمانينات: تميزت هذه الفتـرة بالإنخفاض المستمر في الواردات حتى وصلت أعلى قيمة سنة 1987، و بلغت 7,042 مليار دولار، و يرجع هذا الإنخفاض إلى محاولة السلطات العمومية المحافظة على توازن الميزان التجـاري بعد إنخفاض صادرات المحروقات بسبب

تدهور أسعار النفط و أزمة 1986،و ظهرت المعادلة السلوكية لهذا العقد كمايلي:

IM=0,13PP+6,2844

و قد بدا واضحا من خلال ميل المعادلة أن هناك علاقة طردية بين المتغيرين، وصل فيها معامل الإرتباط أكثر من 82,48%، بينما بلغ معامل التحديد 68,03% و هو ما يؤكد عن الدور الرئيسي

و الهام الذي تلعبه إيرادات و عوائد الصادرات النفطية في تغطية إحتياجات الواردات أمام غياب مصدر آخر للتمويل.

*فترة التسعينات: إختلفت طبيعة العلاقة بين الواردات و أسعار النفط، خلال فترة التسعينات كما توضحه المعادلة:

IM= -0,15PP+12,543

وبلغت قيم كل من معامل الإرتباط و التحديد حوالي 48,81%- و 23,82% على التوالي، فبينت سالبية معامل الإرتباط العلاقة العكسية بين المتغيرين،حيث أن الإرتفاع أو الإنخفاض الذي شهدته الواردات خلال عقد التسعينات لم يكن في نفس حركة إتجاه أسعار النفط في أغلب نقاط العشرية، فعلى سبيل المثال رغم إنخفاض الأسعار بأكثر من 10 دولار بين 1991 و 1992، و الإرتفاع ما بين 1995 و 1996 بـ 5 دولار إلاّ أن قيمة الواردات قد إرتفعت من 7,684 مليار دولار إلى 8,648 مليار دولار في الفترة الأولى و إنخفضت من 10,126 مليار دولار إلى 9,106 مليار دولار في الفترة الثانية، ويمكن تفسير حركة الواردات من خلال الأسباب التالية:

*قدرة الصادرات على تغطية القيمة الإجمالية للواردات، باستثناء سنة 1994؛

*زيادة كمية الصادرات من المحروقات للتخفيف من الأضرار التي يلحقها انخفاض أسعار النفط كما حدث سنة 1998؛

*النتائج التي أفرزتها الإصلاحات سواء تلك المتعلقة بما قبل 1994 و برنامج التعديل الهيكلي و خاصة تعديلات سعر الصرف نتيجة تحرير مدفوعات الإستيراد خلال سنة 1994 كما ترتب عن التعديلات إرتفاع تكاليف مستلزمات الإنتاج بالنسبة للمؤسسات المحلية، في حين ساهمت في خلق و ترقية محيط ملائم للإستثمار الأجنبي (29).

*الوضعية المالية السيئة التي شهدتها المؤسسات الوطنية و التي ترتب عنها رغم سياسات التطهير المالي و إعادة الهيكلة غلق و إفلاس الكثير من تلك المؤسسات و عدم قدرتها على تلبية الإحتياجات الوطنية، و من ثم توجه الدولة نحو الإستيراد.

و بالتالي فإن زيادة الواردات أو إنخفاضها قد إرتبطت أكثر بقدرة الصادرات على تغطيتها، و عدم تفسيرها من قبل حركة أسعار النفط يعود بالدرجة الأولى للتحسن الملحوظ لنصيب الصادرات خارج المحروقات التي إنتقلت من 3% من إجمالي الصادرات سنة 1990 إلى 6,3% ثم 11,8% عامي 1993 و1995 على التوالي، و من ثم إستطاعت مداخيل الصادرات تغطية الواردات رغم إرتفاعها في سنة 1995 (30).

*الفترة (2000-2004): رغم الزيادة في قيمة الواردات خلال هذه الفترة و بلوغها 19,907 مليار دولار سنة 2004 إلاّ أن إرتفاع أسعار النفط، و من ثم تطور قيمة الصادرات، ساهم في تغطية الإحتياجات المحلية من الواردات.

كما أن الإستثمارات الأجنبية المباشرة و التطور الملحوظ للمؤسسات الصغيرة و المتوسطة كان من بين أهم العوامل التي ساهمت في تقليص قيمة الواردات رغم إرتفاع أسعار النفط كما هو الحال سنة 2003 التي إنخفضت فيها الواردات بحوالي 4,27% في حين إرتفع السعر بـ 15,02%.

جـ- الميزان التجاري BC: أظهرت معطيات العمود(1) و(5) من الملحق(أ) ما يلي:

BC=0,35PP-5,0197

R2= 0,410638

R= 0,64081

توضح المعادلة السلوكية بين أسعار النفط كمتغير مستقل و الميزان التجاري كمتغير تابع إلى وجود علاقة طردية (الميل موجب) و هو ما يبيّن إرتباط قوي بين المتغيرين وصل إلى64,08% للفترة 1975-2004، في حين برز معامل التحديد أن أكثر من 41,06% من التغيرات الإجمالية في الميزان التجاري يمكن تفسيرها من خلال تقلبات أسعار النفط.

*فترة السبعينات: سجل الميزان التجاري عجزا مستمرا منذ 1970، حيث بلغ أدنى عجز سنة 1972 مقدر بـ 37 مليون دولار ثم إرتفع إلى 0,934 مليار دولار سنة 1974(31). و لم تشهد هذه الفترة سوى تحقيق فائض واحد سنة 1976 بالرغم من الإرتفاع المستمر لأسعار النفط منذ 1973

و الصدمة النفطية آنذاك، إلاّ أن ذلك لم يلغي العجز المستمر للميزان التجاري و هذا راجع إلى النمو السريع لقيمة الواردات لمواكبة متطلبات الإقتصاد و التنمية مقابل نمو بطئ نسبيا للصادرات نتيجة تولي الشركة الوطنية زمام الأمور لقطاع المحروقات و الإرتفاع التدريجي للأسعار من 12,75 دولار للبرميل ثم $13,05/برميل إلى $15,12/برميل للسنوات 1975، 1976و 1978 على التوالي.

*فـترة الثمانينات: شـهدت هذه الفـترة نقلة نوعية في رصيد الميـزان التجاري الذي إنتقل من حالة العجز في عقد السـبعينات إلى تسـجيل فوائض مالية معتبرة بدأت منذ 1980، نتيجة التحسن الكبير في قيمة الصادرات و أسعار النفط.

و يظهـر الرصيـد من خلال المنحنى للشـكل البياني(4) من الملحق II أن أقصى قيمة يأخذها رصيد الميزان التجاري في هذه الفترة كان في بدايتهـا حـين بلغ الرصيـد 5,064 مليـار دولار نتيجة إرتفاع الصـادرات بأكثر من 3 أضعاف قيمة زيادة الـواردات. في حين برزت أدنى قيمة في العجز المحقق سنة 1986 بسبب إنهيار أسعار النفط، ثم العودة إلى عجز آخر نهاية الفترة 1989 بسـب الأوضاع المالية السيئة التـي كانت تعيشـها الجزائـر و خاصة فيما يتعلق بتراكـم المديونية وحلول مواعيد الإسـتحقاق، إضافة إلى عدم قـدرة إجمالي الصادرات عـلى تغطية الواردات الكليـة. و بلغت درجة ارتباط الميزان التجاري بأسعار النفط في هذه الفترة أكثر من 74,93% و فاق معامل التحديد 56,15% .

*فترة التسعينات: لم يسجل خلال هذه الفترة إلا عجزا واحدا للميزان التجاري، كان سـنة 1994، نتيجة انخفاض أسـعار النفط من جهـة و ارتفاع الواردات مقارنة بالصادرات من جهة أخرى، إضافة إلى الأوضاع الإقتصادية السيئة التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك، و توضح المعادلة السلوكية لهذا العقد

$$Bc= 0,25PP - 2,71$$

إلى وجـود علاقـة طردية يصل معامـل إرتباطها إلى 55,74% في حين كان معامل التحديد الذي يبين نسـبة تفسـير تغيرات الميزان التجاري من تغيرات الأسعار حوالي 31,07%.

و يتضـح من خـلال منحنى للشـكل البياني (4) مـن الملحق II، أن أقـصى قيمة للميـزان بلغت 5,235 مليار دولار سـنة 1997 رغم إنخفـاض أسـعار النفـط إلى 19,49 دولار لبرميـل، و يرجع ذلك إلى إنخفاض الواردات و إرتفاع القيمـة الإجمالية للصادرات في المقابل و هي أهم العناصر الأساسـية لبرنامج التعديل الهيكلي الخاص بتحرير التجارة الخارجية و ميزان المدفوعات (32).

*الفـترة (2000-2004): رغـم الإختـلاف في درجة الإرتباط بين الميزان التجاري و أسـعار النفـط من فترة لأخرى، إلاّ أنه و عموما أكدت هذه السنوات أن تغطية العجز في رصيد الميزان يعتمد بالدرجة الأولى على قدرة الصادرات المرتبطة أصلا بأسعار البترول على مواجهة إحتياجات الإسـتيراد.فقد ساهم الإرتفاع في الأسعار في تحقيق فوائض مسـتمرة، وصل الفائض سـنة 2004 إلى 14,271 مليار دولار، و أيضا عرفت الكميـة المصدرة من البترول أيضا إرتفاعا وصلت سـنة 2005 إلى 1,8 مليون برميل يوميا مقابل 1,2 مليون برميل سنة 2000 (33).

-3 المديونية D و خدمتها SD:

تعتبر الديون الخارجية و خدمتها من أهم المشـاكل الرئيسـية التـي تعاني منها الدول و خاصة الـدول النامية، و تعتمد الجزائر على المداخيل المتأتية أساسـا من الإيرادات البترولية في تسـديد و تقليص المديونية و خدمتها،و حسـب إحصائيـات العمود(1) و(6) و(7) من الملحق (أ) ظهر مايلي:

D=-0,02PP+22,42	SD=0,01PP+4,64
R2=0,000299	R2=0,002546
R=-0,01729	R=0,05045

من خلال النتائج السابقة و منحنى للشكل البياني (5) من الملحق III ، يتضح أن هناك علاقة عكسـية بين الديون و أسعار النفط (ميل المعادلة السـالب)، و هو ما يعنـي أن حركة تغيير الديون بالزيادة أو النقصان ليسـت في نفس إتجاه تغيرات أسعار النفط، بمعامل إرتـباط ضعيف يقترب من

-1,72% ، و أما معامل التحديد فيشـير إلى أن 0,03% من التغيير الإجـمالي للديون يفسر من قبل تغيرات أسـعار النفط، في حين برزت علاقـة طردية بين أسـعار النفـط و خدمة المديونيـة بمعامل إرتباط ضعيف لم يتعدى 5,05% بينما كان معامل التحديد 0,25%.

*فترة السبعينات:لقد ساهمت الصدمة البترولية سنة 1973 في توفـير موارد مالية ضخمة للكثير من الدول النفطية العربية و منها الجزائر، فتراوحت قيمة المديـونية بـين 944 مليون دولار

و 3412 مليون دولار بين سـنتي 1970 و 1974 على التوالي (34). فإستغلت الدولة هذه الأموال في العمل على تنمية إستثمارات عمومية كبرى من خـلال مخططاتها التنمويـة أثناء الفترة، مما دفعها سـواء عند بداية المشـاريع أو خلال فترة التنفيـذ للجوء للإقتراض الخارجي، فإرتفعت قيمة المديونية بشكل كبير، حيث تضاعفت خلال 5 سنوات فقط بدء من سنة 1975 بأكثر من 3,5 مرات لتبلغ نهاية 1979 حوالي 17,051 مليار دولار رغم إرتفاع مقابل في أسعار النفط.

أمـا عن خدمة الدين، فقد إرتفعت قيمتها أيضا، رغم الزيادة في الأسـعار و من ثم الإيرادات التي تسـاهم في التقليل من الخدمة، و يرجع ذلك بسبب التزايد الذي عرفته الواردات مقابل الصادرات.

*فترة الثمانينات:كانت النتائج كما يلي:

D=-0,33PP+28,03	SD=-0,09PP+7,30

و تبين كلا المعادلتين أن هناك علاقة عكسـية بين أسعار النفط كمتغير مستقل و المديونية و خدمتها كمتغيرات تابعة.

- في ما يخص المديونية فقد بلغ معامل الإرتباط 72,66% مشيرا لعلاقة عكسية و إرتباط قوي حيث أن قيم المديونية الكبرى تقابل قيم أسعار النفط الصغرى، و العكس صحيح كما يتضح أيضا من خلال المنحنى للشكل البياني (5) من الملحق III.

فقد شهدت بداية الفترة إنخفاضا محسوسا في قيمة الدين الخارجي، منتقلا من 19,36 مليار دولار سنة 1980، إلى 15,097 مليار دولار سنة 1984، نتيجة بقاء أسعار النفط فوق مستوى 28 دولار للبرميل، إضافة إلى ما عمدت إليه السلطات العمومية من خلال مخططها الخماسي الأول 1980-1984، التقليص من حجم التبعية الخارجية و خاصة منها في الجانب المالي، إلاّ أن ما حدث سنة 1986، إعتبر نقطة تحول للإقتصاد الجزائري، تفجرت من خلالها أزمة المديونية التي عرفت منذ تلك السنة تزايدا مستمرا، فقد تسبب إنخفاض أسعار البترول في نقص بحوالي 50% من معدلات التبادل

و إيرادات الميزانية، فوصل العجز الكلي للموازنة لرقم قياسي، و أمام غياب سوق مالي، فإن العجز قد تم تمويله عن طريق القروض الأجنبية و الرفع من حجم المديونية(35) ، ليرتفع مؤشر المديونية الخارجية/ الناتج المحلي الإجمالي من 32% سنة 1986 إلى 47% سنة 1989 إستنادا إلى معطيات الملحقين (أ)و (ب). و بالتالي فقد أثر إنهيار النفط على الوضع المالي للجزائر، حيث تسبب في إنخفاض الصادرات، و بإعتبارها المصدر الوحيد للإيرادات عجزت هذه الأخيرة في تغطية الديون المتراكمة.

-أما عن خدمة الدين، فقد عرفت تزايد مستمرا منذ بداية الفترة حتى نهايتها، فإنتقلت من3,968 مليار دولار سنة 1980 إلى 6,853 مليار دولار سنة 1989، رغم أن أسعار النفط قد عرفت تقلبات مختلفة بين الإنخفاض والإرتفاع.وعموما برزت العلاقة حسب ميل المعادلة السلوكية، علاقة ارتباط عكسي بأكثر من 84,41% بينما يشير معامل التحديد إلى أن 71,25% من التغير الإجمالي في خدمة الدين يمكن تفسيره من قبل تغيرات أسعارا لنفط والتي أثرت بدرجة كبيرة على قيمة الصادرات المعتمدة على إيرادتها في تسديد أعباء الديون .

لكن الأمر زاد تعقيدا بالنسبة للجزائر عند إنخفاض الصادرات من جهة وإرتفاع خدمة الدين رغم العمل على تقليل الواردات التي تستقطب بدورها جزء كبير من إيرادات الصادرات في تغطيتها ، وهو ما يتضح جليا من خلال مؤشر خدمة الدين / الصادرات الذي إنتقل من 25% سنة 1980 إلى 77% سنة 1989.

* فترة التسعينات: بإعتماد على معطيات التسعينات تم الحصول على النتائج الآتية:

1,51 $= D$ -

$SD = 0,25PP +$ و $31,41+0,09PP$

- فيما يخص المديونية، تظهر المعادلة علاقة عكسية مع أسعار النفط التي تفسر حوالي 2,92% من التغيير الاجمالي في قيمة المديونية، في حين بلغ معامل الارتباط (17.09%-).

وقد سعت الجزائر منذ بداية التسعينات مستفيدة من التحسن الملحوظ في أسعار النفط بسبب حرب الخليج الثانية للتقليل من قيمة الدين الخارجي الذي إنخفض من 28,379 مليار دولار سنة 1990إلى 25,724 مليار دولار سنة 1992 إلاّ أن عودة الديون للإرتفاع مجددا بـ4 مليار دولار سنة 1993 ، وضع الجزائر في موقف العجز على أداء التزاماتها إتجاه الديون ،و ظهرت بذلك ضرورة إعادة الجدولة (36) من خلال الإتفاق مع كل من نادي باريس ونادي لندن وفقا لبرنامج التعديل الهيكلي الذي إستعدت الجزائر لتطبيقه بإشراف صندوق النقد الدولي إضافة إلى العمل على تخفيض العملة.

ورغم الجهود المبذولة إلاّ أن قيمة الدين الخارجي عرفت تزايد في بداية تطبيق البرنامج لتصل إلى أعلى نسبة لها سنة 1996 بحوالي 33,65 مليار دولار ، ثم إنخفضت إلى 28,315 مليار دولار سنة 1999 و هذا واضح في المنحنى للشكل البياني (5) من الملحق III، حيث أن إعادة الجدولة بين 1994 و1995 لم تسمح بالقضاء على الديون وإنما ساهمت في تخفيض جزء كبير من خدمة الدين .

-أما عن خدمة الدين، فيوضح معامل الإرتباط البالغ 46,11% أن هناك علاقة طردية مع أسعار النفط التي تفسر أكثر من 21,26% من التغيير الإجمالي لخدمة الدين ، حيث كان من بين أهم أسباب إنخفاض خدمة الدين الشروع في عملية إعادة الجدولة - سبق الإشارة إليها - كما أن هدف البرنامج المتمثل في التقليل في قيمة الواردات وتشجيع الصادرات كميا ونوعيا من جهة ، والتحسن في أسعار النفط من 1994 إلى 1996 من جهة أخرى ساهم في تغطية والتقليل من خدمة الديون التي إنخفضت إلى 4,46 مليار دولار سنة 1997 و هذا ما يبينه منحنى الشكل البياني (6) من الملحق III ، لكنها إرتفعت سنة 1998 إلى 5,28 مليار دولار بسبب تدهور أسعار النفط وإنخفاض قيمة الصادرات مقابل زيادة في الواردات.

* الفترة (2000-2004):

لقد كان الإرتفاع الكبير الذي عرفته أسعار النفط خلال هذه الفترة دورا بارزا في التقليص من حجم المديونية وخدمتها حيث إنخفض إجمالي الدين الخارجي إلى أقل من 21,82 مليار دولار سنة 2004، وإنتقل مؤشر الدين الخارجي / الصادرات وخدمة الدين / الصادرات من 97%و17% سنة 2000 إلى 64%و17% سنة 2004على التوالي. وقد وضعت الجزائر خطة طموحه بتكلفة 50 مليار دولار خاصة للأعوام الخمسة المقبلة منذ 2004 يتم تحويلها محليا بدلا من اللجوء إلى القروض الخارجية، خاصة بوجود توقعات بوصول إجمالي الإستثمارات إلى 100 مليار دولار بحلول عام 2009 (37).

ومع التزايد المستمر لأسعار النفط والمداخيل الجزائرية حيث تجاوزت عام 2005 أكثر من 41 مليار $ بزيادة قدرها 22% مقارنة بسنة 2004 (38)، إستمر تقليص حجم المديونية وخدمتها. فحسب التقرير الذي قدمه رئيس الحكومة يوم 2006/03/21 أشار إلى أن إجمالي الديون قد بلغ 15,5 دولار في فيفري 2006، بعد أن بلغت 16,4 مليار دولار في31 ديسمبر 2005، وأن الإيرادات والعوائد النفطية ساهمت في التسديد الديون ، حيث دفعت الجزائر حوالي 117,9مليار دولار من سنة 1985 إلى 2005 (84 مليار دولار لتسديد أصل الدين و34 مليار دولار كفوائد) (39).

ثانيا: الجانب النقدي

وفقا للمعطيات سنحاول تسليط الضوء حول أهم الآثار على الجانب النقذي ودرجة الإرتباط بين أسعار النفط وبعض المؤشرات النقدية كالتضخم وسعر الصرف.

1-التضخمIF:

إنطلاقا من المعطيات الواردة في العمود (9) و (10) من الملحق(ب) ظهرت النتائج الآتية:

IF=- 0,31PP+18,73

R2=0,065071

R=-0,25509

تبين هذه النتائج أن القيم الكبرى لمعدلات التضخم تقابلها القيم الصغرى لأسعار النفط والعكس صحيح، كما يتضح من خلال المنحنى للشكل البياني (7) من الملحق IV وخاصة خلال فترة

2000-2004، ويشير معامل التحديد إلى أن 6,51% من إجمالي التغير في التضخم يمكن تفسيره من قبل تغيرات أسعار النفط أما معامل الارتباط العكسي فيبلغ نحو 26%.

*فترة الثمانينات: حسب معطيات الفترة تم الحصول على المعادلة الآتية:

IF=0,05PP+7,73

أي أن هناك علاقة طردية بين المتغيرين بمعامل إرتباط يصل إلى 16,33% في حين لا يتجاوز معامل التحديد 2,67% فبعد أن وصل معدل التضخم نحو 17,2% سنة 1978، عرف هذا المعدل انخفاضا فيما بعد وصل سنة 1983 إلى 6%. فقد شهد هذا العقد معدلات منخفضة نسبيا بلغ متوسطها 9,05% حيث تميز الإقتصاد الجزائري ومنذ 1986 بسياسة إنكماشية لتقليل من السيولة النقدية خاصة في 1988 والحد من التضخم إضافة إلى سياسة تدعيم أسعار لكثير من السلع من طرف الدولة حيث فرق القانون89-12 المتعلق بالأسعار بين الأسعار الإدارية الخاضعة لإدارة الدولة والهادفة لتدعيم القدرة الشرائية للأفراد والنشاط الإنتاجي ويتم ضبطها عن طريق تحديد الأسعار القصوى والأسعار الهامشية، والأسعار الحرة(40) وفقا لنظام التصريح بالأسعار الذي يهدف لجعل أسعار السلع والخدمات تعتمد على نظام المنافسة .

*فترة التسعينات:تشير النتائج إلى وجود علاقة إرتباط طردي بمعامل قدره 30,09% و بلغ معامل التحديد 9,05% بينما برزت المعادلة التالية:

IF=0,79PP+3,01

فقد عرفت الفترة معدلات تضخم مرتفعة بلغ متوسطها خلال 1990-1993 حوالي 23,41% بعد أن شهدت أسعار النفط تحسّن في بداية الفترة . ويفسر المعدل إلى 29,87% سنة 1995 بعد عملية تحرير الأسعار التي أشرفت عليها السلطات من خلال برنامج التعديل الهيكلي .حيث صدر في جانفي 1995 الأمر 95-06 الذي يهدف لجعل أسعار السلع و الخدمات تعتمد على نظام المنافسة،كما تم إلغاء كل الدعم على المنتجات الغذائية و الطاقوية نهاية 1997 ما تسبب في إرتفاع الأسعار بمعدل 100% إضافة إلى قرارات تخفيض قيمة العملة التي بداءت منذ 1991 و أيضا في 1994 ، و من خلال سياسات نقدية صارمة و عمل مفتوح للسوق النقدي، إنخفضت معدلات التضخم إلى2,27% سنة 1999.

* فترة 2000-2004

لقد ساهم التحسن الكبير في أسعار النفط في التقليل من معدلات التضخم بشكل كبير من خلال إستخدام العوائد النفطية في تدعيم الجانب الحقيقي والإنتاجي من خلال الإستثمارات الأجنبية المباشرة وتشجيع عمليات الشراكة والخصخصة، وهو ما يسمح بالتوافق بين المعروض السلعي والمعروض النقدي المتزايد بدوره. فإنخفض المعدل إلى 0,91% سنة 2002، ثم عاد للإرتفاع فيما بعد إلى 3,70 سنة 2004، إلاّ أن السلطات نجحت في إرجاع هذا المعدل إلى 1,6% نهاية 2005 (41).

2 -أسعار الصرف TC:

إستنادا لمعطيات العمود (9) و (11) من ملحق (ب) تم الحصول على النتائج الآتية:

TC=0,60PP+14,70

R2=0,024564

R=0,156729

رغم وجود علاقة طردية بين المتغيرين إلاّ أن الواضح من خلال النتائج و منحنى للشكل البياني (8) من الملحق IV أنه ليس هناك إرتباط قوي بين حركة أسعار النفط وأسعار الصرف، إذ لا يتعدى

معامل الإرتباط 15,68% كما أن تغيرات أسعار النفط لا تفسر سوى 2,45% من إجمالي تغييرات أسعار الصرف، ويرجع ذلك أساسا إلى سياسة النقدية المتبعة في كل مرة .

* فترة السبعينات

لقد شهدت فترة السبعينات تقلب مستمر في قيمة العملة نتيجة الإنتعاش في أسعار النفط ومن ثم في إحتياطي الصرف الذي إرتفع ضمن 1,040 مليار دولار سنة 1975إلى 2,518 مليار دولار سنة 1979وهو ما يدعم قيمة العملة المحلية حيث إنتقلت من 1دولار =4,147 دينار سنة 1977 إلى 3,853 دينار سنة 1979.

*فترة الثمانينات:

من خلال المعطيات المتعلقة بالثمانينيات أظهرت المعادلة السلوكية مايلي:

TC= -0,07PP+6,90

وهي تشير إلى وجود علاقة عكسية بين PP و TCوبمعامل إرتباط قوي عكسي يبلغ 62,22% وهو ما يعني أن تغيرات أسعار الصرف ليست في إتجاه تغير أسعار النفط.

وأمام التدهور في أسعار النفط عرفت العملة المحلية أيضا تدهور في قيمتها خاصة وأن سعر الصرف كان يحدد إداريا أثناء فترة الثمانينات، حيث إرتفع سعر الصرف من 1دولار =4,31 دينار سنة 1981إلى 7,60 دينار 1989.

كما تميزت هذه الفترة بظهور سوق موازية للعملات الأجنبية، فاق سعر صرف الدينار بها نظيره في السوق الرسمية، إضافة إلى إنخفاض الإحتياطيات من الصرف الأجنبي بنسبة 66% ما بين 1985و 1989 وهو ما يزيد من الضغط على قيمة الدينار الجزائري.

*فترة التسعينات: ظهرت النتائج كما يلي :

TC=-2,30PP+83,70

أي أن هناك علاقة عكسية بين سعر الصرف وأسعار النفط ، تفسر هذه الأخيرة أكثر من 22,21% من التغير الإجمالي في سعر الصرف ،ويصل معامل الإرتباط إلى 47,13% .

وقد بدأت عمليات إصلاح سوق الصرف في مرحلتها التحضيرية الوقائية بإنشاء الميزانيات بالعملة الصعبة منذ 1990، ثم كانت مرحلة ثانية متعلقة بتخفيض القيمة الخارجية للدينار من خلال برنامج التثبيت عام 1991.

وفي بداية تطبيق برنامج التعديل تم تخفيض قيمة العملة بـ 50% منتقلا من 23,35 إلى حوالي 35,06 دينار كما حدث تخفيض ثاني في نهاية السنة 1994، فإنتقل بذلك نظام الصرف من نظام سعر الصرف الثابت إلى نظام التقويم الموجه ليصبح إبتداء من جانفي 1996 نظاما حقيقيا لسعر الصرف ما بين لبنوك (42) .

كما أدى إنخفاض أسعار البترول خلال 1998-1999 إلى ضعف ميزان المدفوعات وعجز في حساب رأس المال وبالتالي تطبيق مجال الإستدانة الخارجية، مما أدى إلى فقدان الإحتياطي الدولي وبالتالي زيادة الضغط على الدينار مما دفع بالسلطات إلى الإبقاء على سعر فائدة مرتفع مع عدم التدخل عند إنخفاض الدينار(43).

*فترة 2000-2004:

عرفت هذه الفترة تحسنا ملحوظا في قيمة العملة المحلية نتيجة الإرتفاع المستمر في أسعار النفط حيث إنتقل سعر صرف من 1 دولار مقابل لـ 79,683 دينار سنة 2002 إلى 72,060 دينار سنة 2004 خاصة بعد أن وصل الإحتياطي من الصرف الأجنبي إلى أكثر من 43.1 مليار دولار من السنة نفسها بسبب إنتعاش أسعار النفط.

ثالثا:الجانب الإجتماعي

لا يتوقف الدور الذي يلعبه النفط وعوائده على الجانب الإقتصادي والنقدي فحسب، بل يتعدى ذلك ليؤثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الجانب الإجتماعي و بشكل خاص البطالة.

1 -البطالة CH:

إنطلاقا من المعطيات الواردة في العمود (9) و (12) من الملحق (ب) تم إستخلاص النتائج الآتية:

CH=-0,13PP+25,13

R2=0,060878

R= 0,2467346

حسب ميل المعادلة السالب، فإن هناك علاقة عكسية بين أسعار النفط ومعدلات البطالة، بإعتبار أن كل تحسن في الأسعار يعني زيادة في العوائد والإيرادات والتي يمكن من خلالها تنفيذ الخطط التنموية المعتمدة بدورها على تشجيع الإستثمارات ومن تم تقليص البطالة في المجتمع الجزائري.

فقد كان للتحسن الملحوظ في أسعار النفط منذ 1973 دورا هاما في تمويل الإستثمارات الضخمة التي شرعت فيها الجزائر في مخططاتها لتلك الفترة، خاصة وأن قطاع المحروقات قد حضي بالنسبة الأكبر من إجمالي الإستثمارات ، فتقلص معدلات من 22% سنة 1977 إلى 19% سنة 1979.

ويشير معامل التحديد إلى أن حوالي 6,09% من التغير الإجمالي الذي يطرأ على معدلات البطالة يمكن تفسيره من خلال تغيرات أسعار النفط ، في حين يظهر معامل الإرتباط العكسي البالغ 24,67% أن حركة تغير المعدلات من البطالة ليست في نفس إتجاه تغيرات أسعار النفط ، وهو ما يظهر جليا من خلال إرتفاع المعدلات بعد أزمة 1986

إلى 21% وبالمقابل إنخفاضها سنة 1989 بعد تحسن أسعار النفط و هذا واضح في منحنى للشكل البياني (9) من الملحق IV.

*فترة التسعينات:

لم تختلف فترة التسعينات عن السنوات السابقة من حيث طبيعة العلاقة العكسية بين المتغيرين كما توضحه المعادلة السلوكية لهذه الفترة:

$$CH=-0,42PP+33,617$$

وأما عن درجة الإرتباط فهي قوية، إذ بلغ معامل الإرتباط حوالي 55,13% وصل معامل التحديد إلى 30,39% ولعل أهم ما ميز هذه الفترة التأثير السلبي الذي خلفه برنامج التعديل الهيكلي على الجانب الإجتماعي وتحديدا البطالة في المجتمع ، إذ بلغ متوسط البطالة للفترة (1994-1998) 27,2% حيث يرجع هذا الإرتفاع للأسباب الآتية:

* إنخفاض أسعار النفط مما يعني عدم القدرة على تمويل الكثير من المشاريع؛

* تسريح العمال الناجم عن عمليات الخصخصة، وتطهير المؤسسات، فقد أشارت تقديرات صندوق النقد الدولي إلى أن حوالي 76مؤسسة و64 وحدة إنتاج مستها إجراءات الغلق والتصفية، وهو ما تسبب في تسريح 400.000 مليون عامل نحو البطالة(44)؛

*النمو الديمغرافي ، حيث إزداد عدد السكان خلال عشر سنوات سبقت البرنامج بنسبة 31,05% ؛

* حالة اللاستقرار السياسي الذي عاشته الجزائر في تلك العشرية، وما ترتب عنها من تعطيل للكثير من النشاطات الإقتصادية، ونفور الإستثمارات الأجنبية المباشرة من الإقتصاد الجزائري.

*فترة 2000-2004

شهدت هذه السنوات تحسن ملحوظ في معدلات البطالة التي إنخفضت من 29,2% سنة 1999 إلى 23,7% ثم إلى 17,7%سنتي 2003 و2004 على التوالي : في حين بلغت نهاية سنة 2005 حوالي 15,3% (45)، ويرجع ذلك أساسا إلى إرتفاع أسعار النفط الذي أتاح للجزائر فرص كبيرة لتمويل إستثماراتها المحلية من جهة أو إستقطاب إستثمارات أجنبية خاصة لهذا القطاع من جهة أخرى.

وحسب تقرير رئيس الحكومة الذي سبقت الإشارة إليه مقيما وضعية الجزائر 2005 فإن إجمالي الإستثمار بلغ 1200 مليار دينار في حين وصلت عملية التشغيل إلى 684.000 منصب (46). وما

يمكن الإشارة إليه، أنه أمام النمو الديمغرافي المتزايد وسلسلة الخصخصة والشراكة المتواصلة تبقى معدلات البطالة مهددة بالإرتفاع، خاصة وأن الفوائض البترولية لم يحسن إستغلالها في إحداث تنمية مستديمة و لهذا نحاول الإجابة على التساؤل الذي أفرزته الدراسة و هو:ما الذي فعله النفط بالجزائر ؟

رابعا:مفارقات النفط في الجزائر:

إن الدور الذي يلعبه البترول في الجزائر لا يمكن تجاهله بالنظر لما ساهمت فيه العوائد النفطية في إخراج الجزائر في كل مرة من أزماتها، إلاّ أن الحديث عما فعله النفط بالإقتصاد الجزائري يحاول أن يظهر المفارقات المتعلقة بهذا المورد الذي أفادت عوائده في الكثير من الأحيان الدول التي لا تملكه على حساب الدول النفطية.

فقد تسبب الإعتماد المفرط على البترول في تكوين إقتصاد وطني أحادي الجانب والمورد،مماجعله عرضة للصدمات الخارجية ، وهو ما حدث سنة 1986 حين إنخفضت أسعار النفط إلى أدنى مستوياتها فخلفت بذلك إختلالات هيكلية بارزة وعجز موازين لدولة الخارجية منها الداخلية ، فأصبح الإقتصاد الجزائري يتصف بالإقتصاد البترولي، الشئ الذي تسبب في عدم تنمية الجانب الأخر وهو الأهم للدولة والمتمثل في القطاعات الإنتاجية . فإنحصرت التمويلات والإستثمارات الأجنبية والمحلية في قطاع المحروقات رغم مشكلة النضوب التي يدركها العام والخاص، وأهملت تطوير مؤسساتها لتفعيل دورها في إحداث تنمية مستديمة بأبعادها الإقتصادية والإجتماعية بالنظر لمسألة ديمومة النشاط الإنتاجي وتنوعه، و نلتمس ذلك من خلال تقرير البنك العالمي حول آخر التطورات والآفاق المستقبلية الإقتصادية:

* أثار التقرير نقطة هامة وحساسة وهي كون الرخاء المالي الذي تعرفه الجزائر خلال السنوات الأخيرة والناتج عن إرتفاع أسعار النفط قد أخر وعطل الإصلاحات فيها ولا سيما منها الإصلاحات الهيكلية.

*لايتم توجيه إلاّ نسبة قليلة من الأصول المالية والفوائض المتراكمة إلى الإستثمارات المنتجة، ويرجع ذلك إلى صعوبات التمويل التي تواجهها الشركات والمؤسسات المنتجة في الجزائر.

وقد تسبب اللاعقلانية في توزيع الموارد بين القطاعات ومؤسسات الإقتصاد في حدوث إنفصال ظاهر بين القطاع المالي والقطاعات الإنتاجية، بإعتبار أن هناك مفارقة كبرى بين وفورات مالية هائلة بيّنتها المؤشرات الإقتصادية الكلية وصعوبات تمويلية ضخمة أثبتها واقع المؤسسات الوطنية المنتجة.

الإستنتاجات

بإعتمادنا على نظام "E.views" إتضحت لنا النتائج التالية:

1 - أن هناك علاقة تشابكية بين الإقتصاد الوطني وقطاع المحروقات، جسّدتها معاملات الإرتباط المرتفعة بين الكثير من المؤشرات وأسعار النفط حتى فاق 90 % بالنسبة للصادرات المعتمدة أصلا على الصادرات النفطية.

2 - أن التقلبـات السـعرية للنفط من أهم المحددات الرئيسـية لوضعية الإقتصاد الوطني إختلالا أو توازنا وهو ما أكدته أزمة 1986 التي نقلت العديد من المؤشرات من حالة الفائض أو التوازن إلى حالة العجز، الميزان التجاري (1.79- مليار دولار)، كما سـاهمت في إرتفاع المديونية ومعدل التضخم ومعدلات البطالة، وفي تدهور الصادرات... الخ، وهو الأمر ذاته بالنسبة لأزمة 1998.

-3 أن الإقتصاد الوطني يبقـى عرضة للصدمات الخارجية، ما دام معتمـدا على النفط كمصدر وحيد للمداخيـل، وإذا كانت الصدمات السـلبية قـد أخلّت من موازينه حينهـا، فإنّ الإيجابيـة منها (كأزمة 1973، حرب الخليج الأولى (1980-1988) وثورة الأسـعار بالإرتفاع في السـنوات الأخيرة قد أكدت أن إسـتقرار وتوازن الإقتصاد لا يمكن أن يتعدّ مداه القصير، لأن إسـتغلال وإستخدام الفائض المالي يبقى بعيدا عن التنمية المستديمة.

4 - رغـم الإرتباط الشـديد الـذي أوضحته الدراسـة خاصة بين المؤشرات الإقتصادية وأسعار النفط إلاّ أنّ الجانب الإجتماعي لم يظهر تحسّنا بالنظر لإنتعاش أسعار النفط، بل بقيت معدلات البطالة بعيدة كل البعد عن حجم الفوائض المالية المعتبرة التي يدرها القطاع، وبقي المجتمع الجزائري بعيدا عن وسائل الرفاهية.

إن إبراز هذه الحقائق لا يعني أن البترول قد فشل تماما في تطوير الإقتصـاد الجزائري، بل أن مسـاهمته تبقى كبـيرة وخاصة ما حدث في السـنوات الأخيرة من إصلاحات والتخلص من المديونية الخارجية، إلاّ أن واقـع الجزائر حاليا يفـرض ضرورة إسـتخدام الفوائض المالية للنفط في تحسـين الجانب المالي " الأسواق المالية والنقدية " والعيني " المؤسسات والإستثمارات الإنتاجية " معا.

ملحق -1-

الشكل البياني -1-

تطور أسعار النفط و الناتج المحلي الإجمالي من 1975-2004

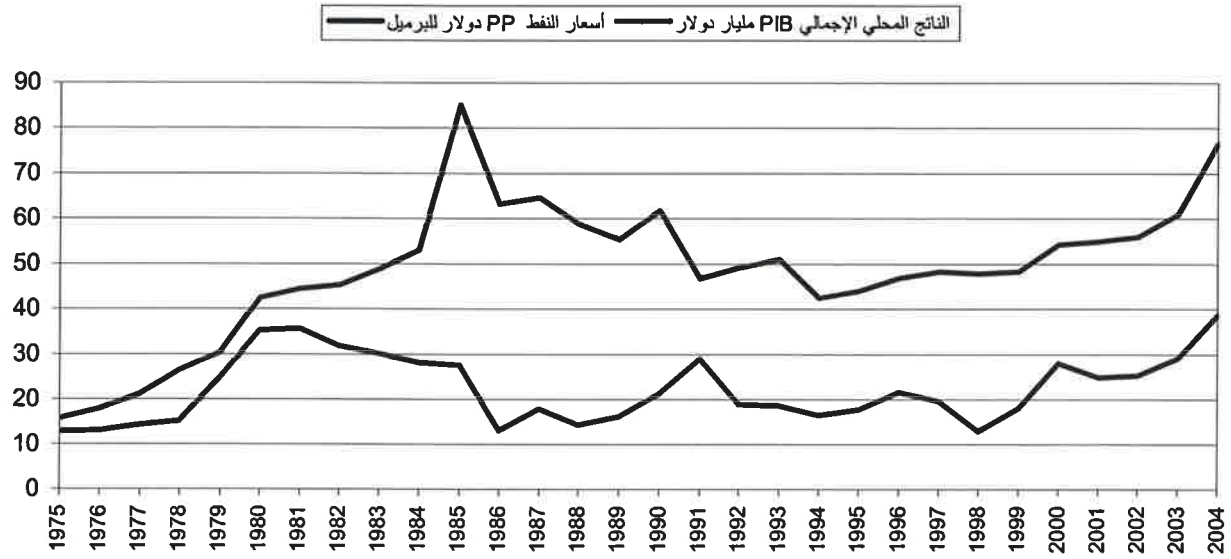

المصدر:من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 1 و2 من الملحق أ

الشكل البياني -2-

تطور اسعار النفط و الصادرات من 1975- 2004

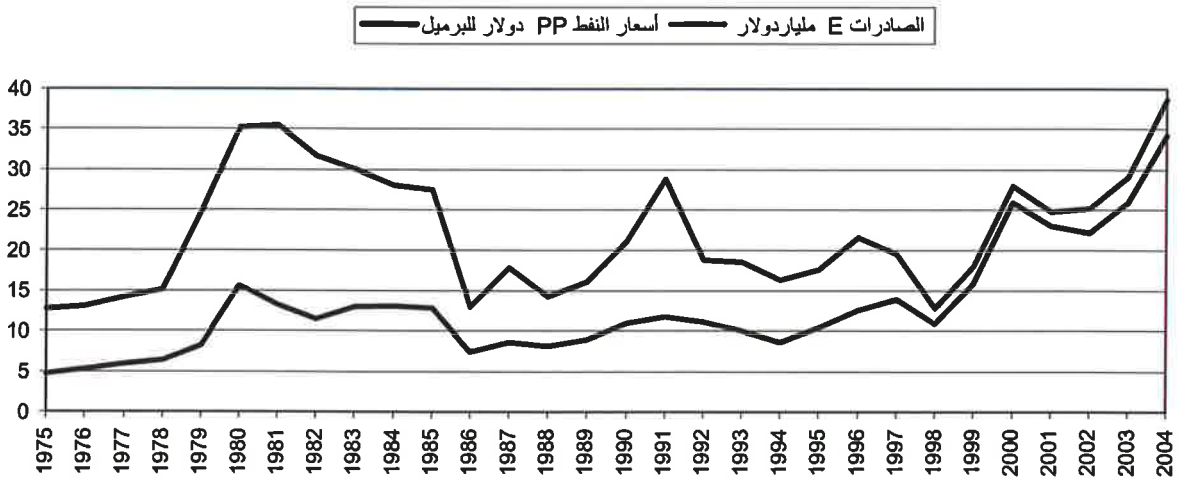

المصدر: من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 1 و3 من الملحق أ

ملحق II

الشكل البياني -3-

تطور أسعار النفط و الواردات من 1975-2004

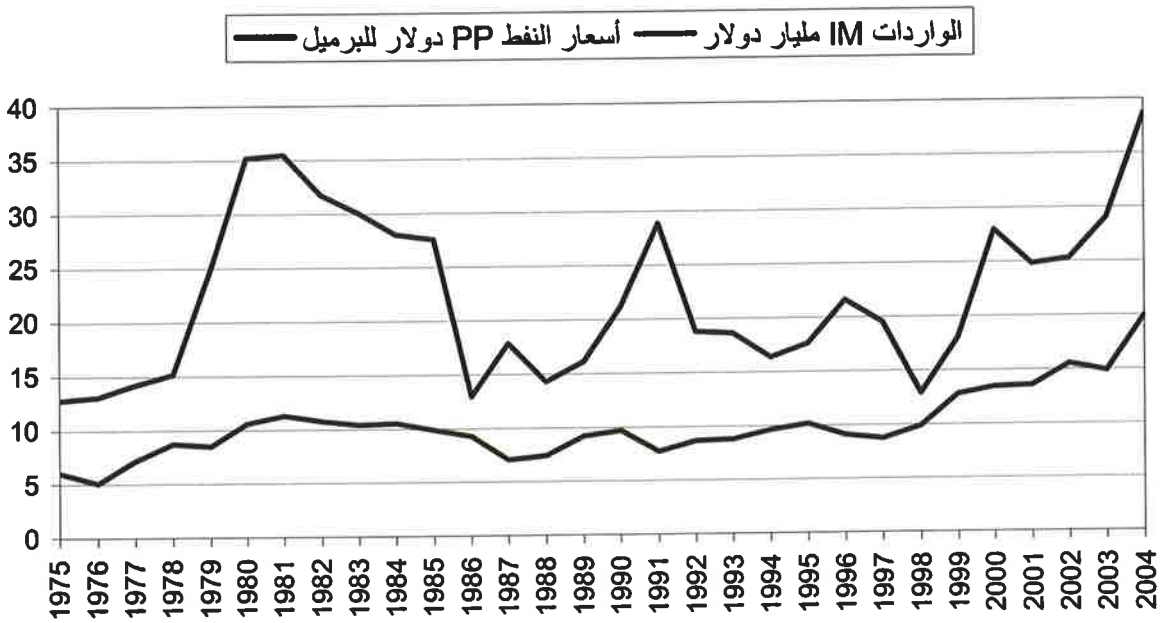

المصدر: من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 1 و4 من الملحق أ

الشكل البياني -4-

تطور اسعار النفط و الميزان التجاري من 1975-2004

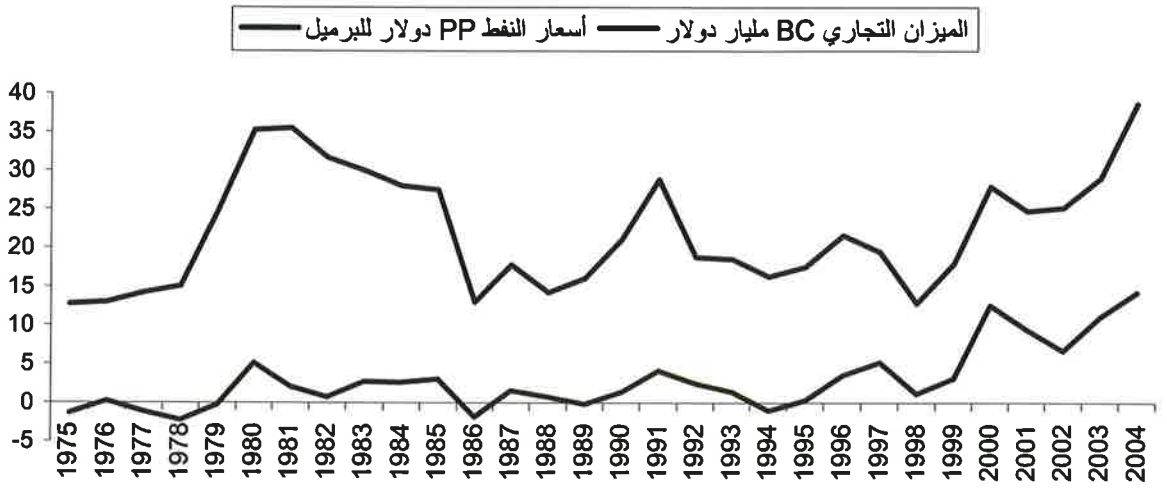

المصدر:من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 1 و5 من الملحق أ

ملحق III

الشكل البياني -5-

تطور أسعار النفط و المديونية من 1975-2004

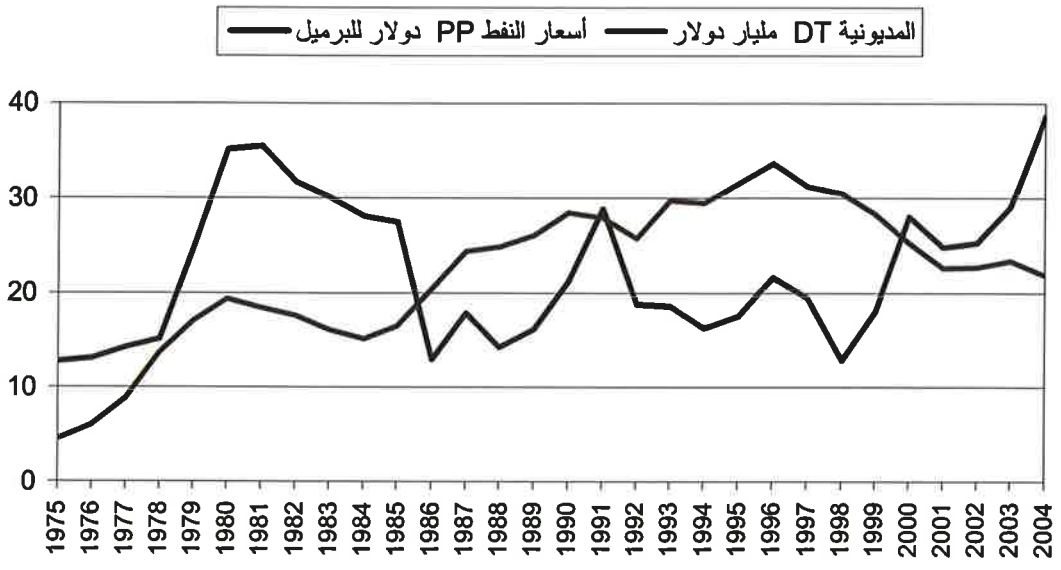

المصدر:من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 1 و 6 من الملحق أ

الشكل البياني -6-

تطور أسعار النفط و خدمة المديونية من 1975-2004

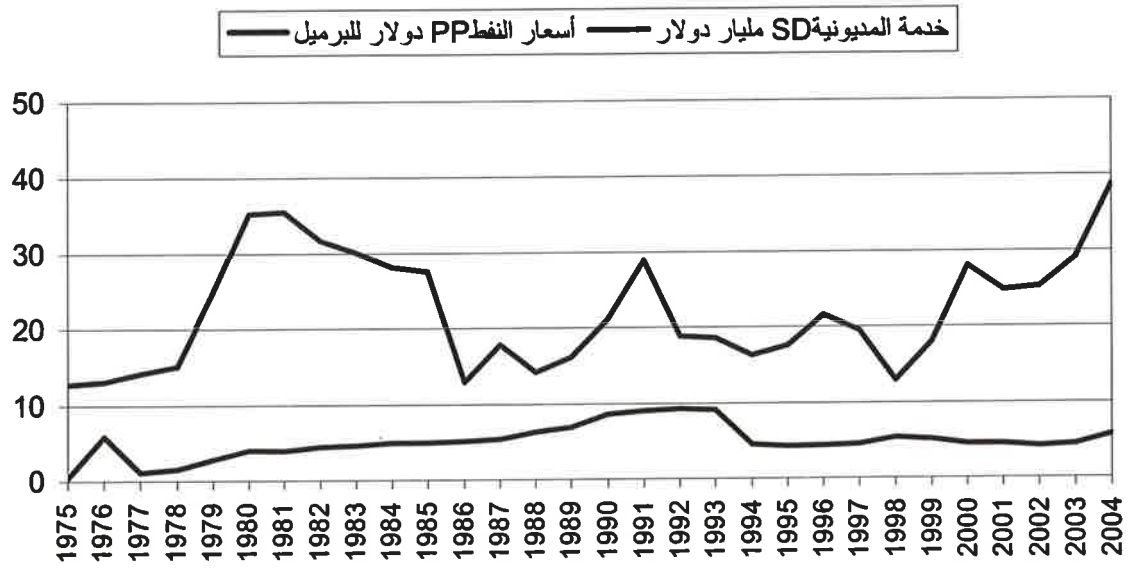

المصدر: من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 1 و7 من الملحق أ

ملحق IV

الشكل البياني -7-

تطور اسعار النفط و التضخم من 1977-2004

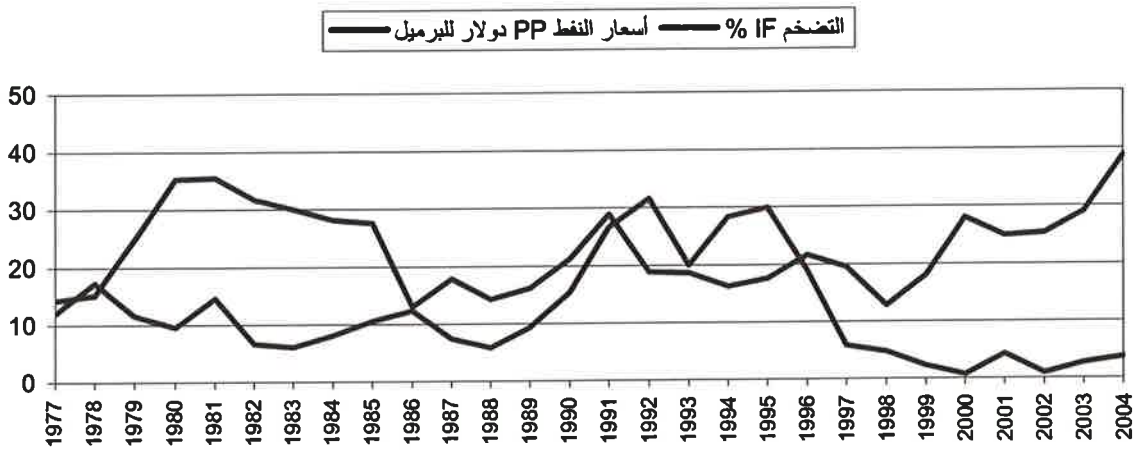

المصدر:من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 9 و10 من الملحق ب

الشكل البياني -8-

تطور أسعار النفط و سعر الصرف من 1975-2004

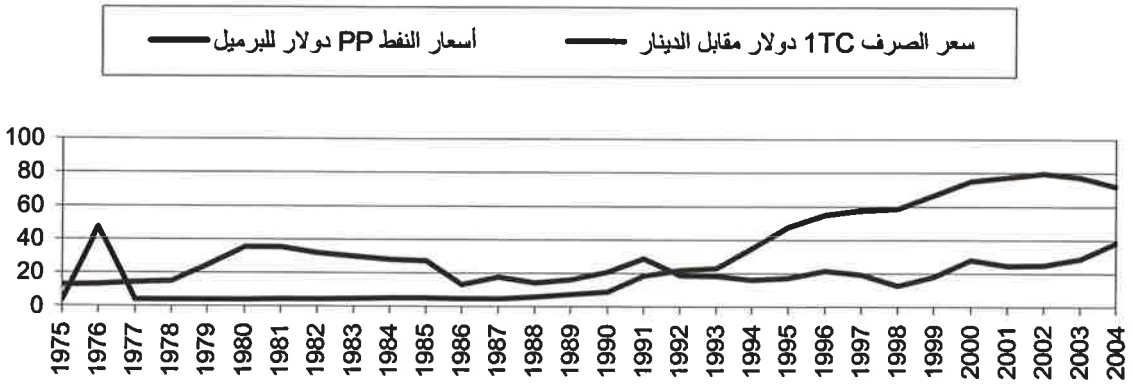

المصدر:من إعداد الباحثين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 9 و11 من الملحق ب

الشكل البياني -9-

تطور أسعار النفط و البطالة من 1977-2004

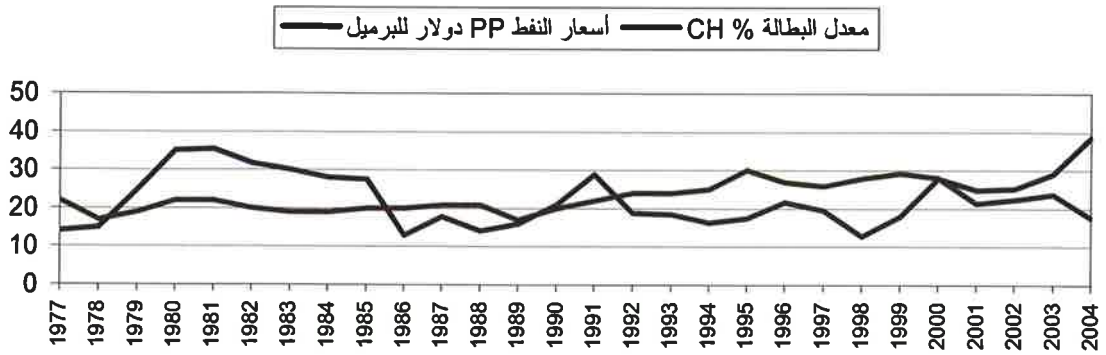

المصدر:من إعداد الباحثتين بإعتمادنا على إحصائيات العمود 9 و12 من الملحق ب

الملحق (أ)

المؤشرات الإقتصادية	أسعار النفط PP	الناتج المحلي الإجمالي PIB	الصادرات E	الواردات IM	الميزان التجاري BC	المديونية DT	خدمة المديونية SD
الوحدة	دولار للبرميل	مليار دولار	مليار دولار	مليار دولار	مليار دولار	مليار دولار	مليار دولار
الترقيم	1	2	3	4	5	6	7
1975	12,75	15,59	4,701	6,015	-1,314	4,593	0,457
1976	13,05	17,79	5,332	5,082	0,25	6,085	5,853
1977	14,20	21,04	5,928	7,125	-1,197	8,902	1,028
1978	15,12	26,43	6,347	8,682	-2,334	13,687	1,489
1979	24,80	30,28	8,198	8,511	-0,313	17,051	2,792
1980	35,21	42,35	15,623	10,559	5,064	19,36	3,968
1981	35,50	44,37	13,296	11,269	2,027	18,379	3,903
1982	31,71	45,20	11,476	10,738	0,738	17,604	4,381
1983	30,05	48,82	13,029	10,395	2,643	16,047	4,591
1984	28,06	52,95	13,078	10,482	2,596	15,097	4,984
1985	27,52	85,00	12,841	9,844	2,997	16,483	4,870
1986	12,97	63,07	7,430	9,228	-1,798	20,436	5,117
1987	17,83	64,64	8,606	7,042	1,564	24,386	5,381
1988	14,24	58,79	8,155	7,400	0,755	24,856	6,269
1989	16,10	55,47	8,949	9,188	-0,239	26,063	6,853
1990	21,15	61,84	11,018	9,680	1,338	28,379	8,562
1991	28,85	46,69	11,790	7,684	4,106	27,875	9,008
1992	18,80	49,14	11,137	8,648	2,489	25,724	9,278
1993	18,60	50,95	10,098	8,761	1,337	29,724	9,050
1994	16,31	42,43	8,591	9,570	-0,979	29,486	4,520
1995	17,60	44,08	10,422	10,126	0,296	31,573	4,244
1996	21,60	46,94	12,599	9,106	3,493	33,651	4,281
1997	19,49	48,20	13,923	8,688	5,235	31,222	4,465
1998	12,85	47,84	10,956	9,834	1,122	30,473	5,280
1999	18,03	48,26	15,824	12,735	3,089	28,315	5,116
2000	28,00	54,20	25,940	13,397	12,543	25,261	4,500
2001	24,80	54,90	23,041	13,565	9,476	22,571	4,464
2002	25,24	55,91	22,185	15,475	6,710	22,642	4,150
2003	29,03	60,85	25,952	14,814	11,138	23,353	4,358
2004	38,66	76,599	34,178	19,907	14,271	21,821	5,658

الملحق (ب)

المؤشرات الإقتصادية	أسعار النفط PP	التضخم IF	سعر الصرف TC	معدل البطالة CH
الوحدة	دولار للبرميل	%	دولار مقابل الدينار1	%
الترقيم	9	10	11	12
1975	12,75	-	3,9490	-
1976	13,05	-	47,1640	-
1977	14,20	12,00	4,1470	22
1978	15,12	17,20	3,9659	17
1979	24,80	11,50	3,8531	19
1980	35,21	9,60	3,8375	22
1981	35,50	14,60	4,3158	22
1982	31,71	6,70	4,5921	20
1983	30,05	6,00	4,7885	19
1984	28,06	8,10	4,9835	19
1985	27,52	10,50	5,0279	20
1986	12,97	12,40	4,7023	20
1987	17,83	7,40	4,8375	21
1988	14,24	5,90	5,9144	21
1989	16,10	9,30	7,6084	17
1990	21,15	15,38	8,9648	20
1991	28,85	26,65	18,4670	22
1992	18,80	31,57	21,8720	24
1993	18,60	20,02	23,3500	24
1994	16,31	28,33	35,0550	25
1995	17,60	29,87	47,6490	30
1996	21,60	19,00	54,7470	27
1997	19,49	5,89	57,6760	26
1998	12,85	4,76	58,7350	28
1999	18,03	2,27	66,5720	29,2
2000	28,00	0,75	75,2570	28.1
2001	24,80	4,30	77,2600	21.4
2002	25,24	0,91	79,6830	22.4
2003	29,03	2,71	77,3947	23,7
2004	38,66	3,70	72,0603	17,7

المصدر: من إ عداد حيث إستنتجت إحصائيات الملحقين ا و ب من:

1- الديوان الوطني الإحصاء على الموقع: www.ons.dz

2- collection statistiques n=111, ONS,2002

3- الموقع: www.sesrticc.org

4- الموقع: energy information administration: www eia doc. gov

5- **Ahmed Benbitour**:" l'Algérie au troisième millénaire" édition Marimoor, Algérie 1989, p75

6- **مايكل هولد**: أثر الإصلاحات الإقتصادية على الجزائر "مجلة العلوم الإقتصادية و علوم التسيير العدد01 جا معة سطيف 2002، ص 29،30

بناء معايير محلية لاختبار الشخصية للأطفال لمنطقة جنوب الباطنة في سلطنة عمان

د. كاظم العادلي
كلية التربية الجامعة المستنصرية - العراق

ملخص البحث هدف البحث الى بناء معايير محلية لاختبار الشخصية للاطفال لمنطقة جنوب الباطنة في سلطنة عمان ولتحقيق ذلك تم قياس بعض الخصائص القياسية للأختبار كصدق اللاختبار الذي تم التحقق منه بطريقة الصدق الظاهري (Face validity) وطريقة الصدق البنائي (Structures' validity) وثبات الاختبار الذي تم التحقق من توافره من خلال معامل الاستقرار باستخدام طريقة الاختبار واعادة الاختبار (Test- Retest) حيث ظهر ام معامل الاستقرار يبلغ للجزء الاول (0,81) وللجزء الثاني (0,83) وللاختبار ككل (0,85) ومعامل الاتساق الداخلي بطريقة التجزئة النصفية من خلال قياس العلاقة بين درجات الفقرات الفردية والزوجية باستخدام معامل ارتباط بيرسون (Pearson correlation coefficient) وبعد تصحيح معامل الارتباط باستخدام معادلة سبيرمان - براون ((Spearman – Brawn التصحيحية وبعد تطبيق الاختبار على عينة عشوائية من تلاميذ الصفين الخامس والسادس من مدارس التعليم الاساس لمنطقة الباطنة جنوب بلغ حجمها (696) تلميذا وتلميذة منهم (325) تلميذا و (371) تلميذة وبما يعادل (0,23) من حجم مجتمع البحث. تم التحقق من معنوية الاوساط الحسابية باستخدام اختبار (ت) لعينة واحدة (T. test for one sample) وبعد التحقق من غياب الفروق المعنوية بين متوسط درجات عينة الذكور ومتوسط درجات عينة الاناث اتم حساب معايير الدرجة التائية T. score ومعيار الرتب المئينية (Percentile Ranks). وعلى وفق ذلك اوصى البحث :

باستخدام الاختبار الحالي في قياس التوافق الداخلي والخارجي لدى تلاميذ الصفين الخامس والسادس لمنطقة الباطنة جنوب في سلطنة عمان .

عقد مشاغل تدريبية للمعلمين وللأخصائيين الاجتماعيين لتدريبهم على تطبيق الاختبار الحالي و تفسير الدرجات الخام التي يحصلون عليها .

Constructing a local norms to the children personality test to The South Batinah Region in Oman

Abstract

The research aimed to build local norms to the personality test for children at the South Batinah in the Sultanate of Oman, to achieve this some of the standard characteristics of the test had measured such us test validity which had been verified in a (Face validity) and the (Structures' validity) methods and reliability of the test using (Test-Retest) method where the Reliability coefficient of the first part (0.81) and the second part (0.83) and test a whole (0.85) and coefficient of internal consistency through the split – half method ,using (Pearson correlation coefficient) and after correcting the correlation coefficient using the equation Spearman - Brown corrective and after the application of the test on a random sample of students in fifth and sixth grades of the foundation schools for the South Batinah region reached size (696) male and female students, (325) of theme males and (371) female, the equivalent of (0.23) the size of the research community. The significant of averages had calculated using the (T. test for one sample), and after ascertaining the absence of moral differences between average levels of male and female samples average completes the Norm of T. score and the Norm of (Percentile Ranks.

According to that the Research recommend the following

1. Using the current test to measure the internal and external adaptation of the fifth and sixth levels' students of South Batinah region in Oman.

2. Organize a training workshops for teachers and social workers to be trained to apply the current test and to interpretation the results.

مدخل

على الرغم مما وصلت اليه محاولات قياس الشخصية من تطور إلا انها تعد متأخرة قياسا بالاختبارات النفسية الأخرى كاختبارات الذكاء والاستعدادات أو التحصيل الدراسي, ويعود سبب ذلك إلى عدد من العوامل لعل أبرزها إن الشخصية الإنسانية مازالت من الموضوعات المعقدة التي يختلف العلماء بشأن تعريفها ومكوناتها ونظرياتها , فضلا عن تعدد جوانبها وارتباط كل جانب منها بعدد من السلوكيات الخاصة وصعوبة السيطرة على هذه السلوكيات وقياسها وقد انعكس ذلك على الأدوات المستخدمة في قياسها وعلى تفسيراتهم للنتائج التي يحصلون عليها ومن هنا ترى (Annastasi) ان اختبارات ومقاييس الشخصية تمثل آخر ما وصل إليه القياس النفسي من تطور خلال النصف الثاني من القرن العشرين (Annastasi 1998 p.12).

ويبدو أن قياس الشخصية وتقويمها لم يتقدما علميا إلا بعد أن بدأ علماء القياس بالنظر إلى الشخصية باعتبارها نمطا من الاستجابات لمنبهات خارجية ومجموعة من السمات التي يمكن تحليلها وقياسها رغم وحدتها وتكاملها إذ يفترض علماء القياس أن هناك علاقة بين فقرات المقياس مع نمط داخلي للشخصية غير معروف هو السمة الحقيقية(جابر 1976 ص177-178) ويؤكد فيرنون "Vernon " في هذا الخصوص إن تركيب الشخصية له درجة من العمومية والاستقرار مما يؤدي إلى الانسياق في السلوك تجاه المواقف المتشابهة (Vernon 1953 p-5) كما يرى كرونباخ (Cronbach)إن لشخصية الفرد درجة عالية من الثبات في استجاباتها لعدد كبير من المواقف المتشابهة رغم وجود اختلافات بين الأفراد في درجة السلوك أو كميته في هذه المواقف (Cronbach-1970. p 500) الأمر الذي استوجب أن يكون ما يبدو للشخص نفسه أساس قياس الشخصية لا كما يبدو للآخرين (فائق 1972 ص 415) .وينهج المهتمون بقياس الشخصية اتجاهين أساسيين :

الأول : يركز البحث عن الأمور العامة المشتركة لدى جميع الأفراد ويهتم بالوصول إلى القوانين العامة التي تحكم نمو الشخصية ويطلق عليه الاتجاه أو المنحنى الناموسي (Nomothetical).

أما الاتجاه الثاني : فيؤكد على المميزات أو الخصائص الفردية للشخصية ويطلق عليه المنحنى الفردي (Idiographic) أو الشخصي (Lipsative) (لازاروس 1980 ص 40 – 47) ,وظهر أخيرا اتجاه ثالث يهدف إلى التوفيق بين هذين الاتجاهين يؤكد على دراسة الخصائص المشتركة من خلال الشخصية المتفردة وابرز مؤيدي هذا الاتجاه العالم البورت(Allport. 1961 p.20).

إن موضوع الشخصية وتعقيدها دفع علماء التقويم والقياس إلى ابتكار وسائل وأدوات عدة لقياس الشخصية كالملاحظة (observation) والمقابلة (Interview) ودراسة الحالة Case study والاختبارات والمقاييس Tests & scales بأنواعها المختلفة , الاسقاطية Projective والأدائية Performance واختبارات ومقاييس التقرير الذاتي – Self Report .

وتعد مقاييس التقرير الذاتي التي تعبر عن الفرد وعن مشاعره وانفعالاته واتجاهاته بالكتابة غالبا وشفويا أحيانا من أكثر مقاييس الشخصية شيوعا واستخداما (رغم أنها تواجه ببعض الانتقادات لاعتمادها السلوك اللفظي في القياس) كونها تمتاز بمزايا عديدة منها أن إجراءات جمع البيانات فيها واضحة ومفهومة وان استجابات الأفراد عنها تتسم بالموضوعية ولا تتدخل فيها ذاتية الباحث فضلا عن إن المستجيب مقيد بالاختيار من بدائل متعددة مما يسهل إعادتها وتطبيقها على عينات واسعة من اجل تقنينها (العاني. ص 147) وهي تستند إلى أساس نظري يرى أن السلوك اللفظي للفرد ليس عشوائيا أو مرتبطا بالموقف الذي يحدث فيه فحسب وإنما هو مرتبط بخصائص الفرد الداخلية أو الذاتية الدائمة أو ذات المدى البعيد(جابر 1976 ص 386) ويوجد حاليا نوعان من اختبارات ومقاييس التقرير الذاتي هما .

1. الاختبارات والمقاييس أحادية البعد (Un dimensional) التي تهتم بدراسة خصيصة أو سمة واحدة
2. الاختبارات والمقاييس المتعددة الأبعاد(Multidimensional)التي تهتم بدراسة أكثر من سمة أو خصيصة (داود و العبيدي 1990 ص 345) .

ويمثل اختبار الشخصية للأطفال (موضوع بحثنا الحالي) واحدا من الاختبارات المتعددة الأبعاد إذ يسعى إلى الكشف عن عدة نواحي من شخصيات الأطفال يمكن أن يطلق عليها التكيف العام والتي تصنف ضمن جانبين رئيسيين هما :(التوافق الشخصي) و(التوافق الاجتماعي) .

إذ يشتمل التوافق الشخصي على عدة جوانب وهي :ـ اعتماد الطفل على نفسه – شعوره بقيمته الذاتية – شعوره بحريته – شعوره بالانتماء إلى الآخرين – مدى تحرره من الانطواء أو الميل إلى الانفراد و الانعزال – خلوه من الأعراض العصابة . وعليه فإن هذا القسم من الاختبار يوضح مدى شعور الطفل بذاتيته وبرضاه عن نفسه .

أما التوافق الاجتماعي فيتضمن عدة نواحي تعبر عن علاقات الطفل الاجتماعية مثل : اعتراف الطفل بالمستويات الاجتماعية واكتسابه لها وتحرره من الميول المضادة للمجتمع وعلاقاته المدرسية وعلاقاته مع بيئته المحلية, وهذا القسم من الاختبار يحدد إلى أي مدى يقوم الطفل بوظيفته كعضو في المجتمع الذي يعيش فيه ومدى توافقه مع المعايير أو المستويات السلوكية الاجتماعية .

مشكلة البحث وأهميته

نطلق مشـكلة البحث من صعوبات تطبيق الاختبارات في الأماكن غير التي أعدت فيهـا وخصوصا الاختبارات اللفظية ما لم يتم التحقق مـن صلاحيتها من حيث صدقها في قياس ما وضعت من اجل قياسـه وثبات نتائجها وقدرة فقراتها عـلى التمييز بين الأفراد الذين يمتلكون مسـتويات متباينـة في الخصيصة المقاسـة ,واعداد معايير تفسـيرية للدرجـات التي يحصل عليها الافـراد إذ أن الاعتماد على الاختبارات والمقاييس الجاهزة أو المعدة في بيئات وثقافات أخرى أمر تحفه بعض الأخطار وخصوصا في عملية التشخيص إذ أن أداء الأفراد مرتبط بنمط الثقافـة السـائدة (Kelly, 1955 , p.90) ولما كان اختبار الشـخصية للأطفـال قد اعـد في بيئة غير البيئة العراقية إذ تـم بنائه في الولايات المتحـدة الأمريكية من قبل لويس ثـورب (Louis-Thorpe) و ويلز كلارك Willis Clark وارنسـت تيجر Ernest-W. Tiger فقد ظهرت النسـخة الأولى منه عام 1939 وأعيد نـشره بعد ذلك عدة مرات مع إجراء تعديلات وجد مـن الضروري إدخالها . وتم تعريب الاختبار في القاهرة من قبل الدكتور عطية محمود هنا مستخدما اللهجة المصرية في صياغـة فقراتـه كما قام الباحث بحسـاب صدق وثبـات الاختبار وقدرة فقراته التميزية على البيئة البيئة العراقية (العادلي 1998).

ونظرا لحاجة البيئة العمانية للاختبارات والمقاييس النفسية بصورة عامة والاختبارات الخاصة بشـخصية الأطفال على وجه التحديد. فقد برزت فكـرة تهيئة الاختبار للتطبيق على البيئـة العمانية الأمر الذي يتطلـب التحقق من بعض خصائصه السـيكومترية . المتمثلة بصدقه وثباته وقدرة فقراته التمييزية وبناء معايير تفسـيرية لمنطقة الباطنة جنوب في سلطنة عمان .

ويعـد مفهـوم معايـير الاختبـارات Test norms مـن المفاهيم الاساسـية المتعلقة بتفسـير درجات الاختبـارات مرجعية الجماعة او المعيار Norm Referenced tests , فالدرجة التي يحصل عليها الفرد في اختبار ما والتي تسمى الدرجة الخام Raw score لا يكون لها معنى ويصعب تفسـيرها ما لم يتم اسـنادها الى نظام مرجعي Reference system يسـمح باسـتخلاص معلومـات مفيدة مـن الدرجات التي يحصل عليها الافراد عن اجاباتهم لفقرات ذلك الاختبار .

والمعايـير عبارة مجموعـة من الدرجات مشـتقة بطرق احصائية معينة من الدرجات الخام المسـتمدة من تطبيـق الاختبار على عينة عشوائية ممثلة للمجتمع المستهدف .

ويـرد في ادبيات القيـاس والتقويم التربـوي و النفسي مصطلحين كثيري التداول وهما المعايير المحلية Local norms والمعايير الوطنية National norms , ويـراد بالمعايير المحلية تلك المعايير التي تعتمد جماعة محلية . اما المعايير الوطنية فهي تلك المعايير التي يتم حسابها بالاعتـماد على جماعيـة مرجعية اكثر اتسـاعا تمثل مجتمعا واسـعا يشـمل شريحة مـن الافراد على امتـداد بلد باكملـه . وتعد المعايير المحليـة أكثر فائدة مـن المعايير الوطنية اذ نادرا مـا نجد تطابق بين خصائص الجماعة المرجعية التي تستخدم عند حساب المعايير الوطنية وخصائـص الجماعة التي يطبق عليها الاختبـار فيما بعد وذلك لتغير خصائص الافراد بمرور الزمن . (علام ,2000, 234)

ومن هنا فان نتائج البحث سـتكون مهمة لاعتبارات عدة أهمها الآتي :

1 - حاجة الأوساط التربوية) معلمين , مديرين , مشرفين تربويين) إلى وسـائل علمية لقياس خصائص شخصيات التلاميذ والتحقق من توافقهم السليم .

2 - حاجـة الباحثـين التربويين والنفسـانيين إلى أدوات تعينهم في عمليـة القياس التي تتطلبها أبحاثهـم , وخاصة الأبحاث ذات العلاقة بالخصائص الشـخصية عامة وخصائص التوافـق النفسي والاجتماعي بصورة خاصة .

3 - حاجـة المكتبة العلمية إلى دراسـات ذات منحى قياسي تعين الباحثين على انتهاج الأسلوب ذاته في التحقق من الخصائص القياسية للاختبارات والمقاييس وبناء المعايير التفسيرية مثل الدرجات المعيارية و التائية والرتب المئينية .

أهداف البحث

يهـدف البحث الحالي إلى بناء معايير محلية لاختبار الشـخصية للأطفال لمنطقة جنوب الباطنة ولتنفيذ ذلك يسـعى البحث التحقق من الآتي :

1. صـدق فقـرات الاختبـار(Items validity) وقدرتهـا على التمييـز(Discrimination) بـين الأفراد الذيـن يمتلكون مستوى عال من الخصائص التي المقاسة .
2. صدق الاختبار (Test validity) .
3. ثبات الاختبار (Test reliability) .
4. اعداد المعايير التفسيرية الآتية :

أ . معيار الدرجة التائية T score
ب. معيار الرتبة المئينية Percentile Ranks

حدود البحث

يتحدد البحث بتلاميذ الصفين الخامس والسادس الاساسي من غير الراسـبين في منطقة الباطنة جنوب من الجنسـين (الذكور والإناث) خلال العام الاكاديمي 2009/2008م .

اولا : الصدق الظاهري للفقرات Face validity of items

للتحقق من صدق الفقرات وصلاحيتها في قياس ما وضعت من اجل قياسه وهو(التوافق العام) ومدى ملائمتها للبيئة العمانية , فقد قام الباحث بعرض فقرات الاختبار على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال التربية وعلم النفس والصحة النفسية والمعلمين والمعلمات بلغ عددهم (10) محكمين , واعتمد الباحث موافقة (9) محكمين محكا لقبول أو رفض الفقرة الاختبارية , إذ تبلغ قيمة () في هذه الحالة (6.4) وهي أعلى من القيمة الحرجة بدرجة حرية (1) عند مستوى دلالة (0.05) . (عودة والخليلي 1988. ص530) وأظهرت النتائج أن فقرات الاختبار جميعا صالحة وتحضى بموافقة الخبراء المحكمين .

ثانياً : تحليل الفقرات إحصائيا للتحقق من صدقها وقدرتها التمييزية

يميل الباحثون إلى التحليل الإحصائي للدرجات التي يحصل عليها الأفراد عن إجاباتهم عن فقرات الاختبار زيادة في الاطمئنان على دقة الفقرات في قياس الخصيصة التي وضعت من أجل قياسها (Ebel 1972.p410) . إذ قد لا يكشف التحليل الظاهري للفقرات عن صدقها ودقة تمييزها بين الأفراد الذين يمتازون بمستوى عال من الخصيصة المقاسة والآخرين الذين يمتلكون مستوى واطئ منها . لذا ارتأى الباحث أن يعتمد التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار للتحقق من تجانسها من خلال حساب معاملات ارتباطها بالدرجة الكلية التي يحصل الأفراد عن الاختبار ككل , ويعد هذا الإجراء مؤشراً من مؤشرات صدق الفقرات , إذ يشير الارتباط الدال بين درجة الفقرة ودرجة الاختبار الكلية إلى قدرة الفقرة على قياس ما يقيسه الاختبار ككل ((Annastasi 1988.p211 فضلا عن أن ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية للاختبار يعد مؤشراً من مؤشرات القدرة التمييزية للفقرة. (عبد الرحمن 1967.ص-184 185(Annastasi 1988.p156) (ولتحقيق ما تقدم فقد تم تطبيق الاختبار على عينة من تلاميذ الصفين الخامس والسادس الاساس بلغ تعدادها (120) تلميذا وتلميذة اختيروا بالأسلوب العشوائي.

وبعد تطبيق الاختبار تم تحليل البيانات إحصائيا باستخدام معامل الارتباط الثنائي المتسلسل الحقيقي (Point Bi serial correlation) (علام 1980. ص489) , لقياس العلاقة بين درجة الفقرة والدرجة الكلية , وأظهرت النتائج إن قيمة معاملات الارتباط جميعا دالة إحصائيا , الأمر الذي يدل على أن فقرات الاختبار جميعا صادقة ومميزة . والجدول (1) يوضح قيم معاملات الارتباط

جدول (1) قيم معاملات الارتباط الثنائي المتسلسل الحقيقي

القسم	الفقرة	معامل الارتباط	القسم	الفقرة	معامل الارتباط	القسم	الفقرة	معامل الارتباط
القسم الأول أ	1	0.30	القسم الأول ب	1	0.30	القسم الأول ج	1	0.19
	2	0.40		2	0.45		2	0.25
	3	0.28		3	0.30		3	0.30
	4	0.45		4	0.30		4	0.32
	5	0.40		5	0.40		5	0.20
	6	0.38		6	0.35		6	0.25
	7	0.48		7	0.30		7	0.35
	8	0.27		8	0.35		8	0.28
القسم الأول د	1	0.40	القسم الأول هـ	1	0.35	القسم الأول و	1	0.50
	2	0.40		2	0.28		2	0.46
	3	0.38		3	0.20		3	0.37
	4	0.42		4	0.39		4	0.28
	5	0.28		5	0.40		5	0.25
	6	0.40		6	0.45		6	0.35
	7	0.30		7	0.38		7	0.30
	8	0.38		8	0.25		8	0.28
القسم الثاني أ	1	0.27	القسم الثاني ب	1	0.18	القسم الثاني ج	1	0.18
	2	0.42		2	0.23		2	0.20
	3	0.38		3	0.36		3	0.25
	4	0.49		4	0.27		4	0.20
	5	0.39		5	0.14		5	0.19
	6	0.40		6	0.24		6	0.22
	7	0.35		7	0.15		7	0.18
	8	0.30		8	0.40		8	0.21
القسم الثاني د	1	0.45	القسم الثاني هـ	1	0.40	القسم الثاني و	1	0.40
	2	0.30		2	0.38		2	0.42
	3	0.28		3	0.45		3	0.30
	4	0.38		4	0.38		4	0.50
	5	0.40		5	0.40		5	0.48
	6	0.35		6	0.25		6	0.25
	7	0.30		7	0.30		7	0.18
	8	0.35		8	0.28		8	0.32

ثالثاً صدق الاختبار:

إن تحليل الفقـرات إحصائيا يعد مؤشرا من مؤشرات صدق البناء (Structures' validity) ذلك أن مفهوم الصدق هنا يقترب من مفهوم التجانـس Homogeneity بين فقرات المقيـاس في قياس الخصيصة . (Annastasi 1988.p156) فضلا عن أن موافقة الخبراء المحكمين على صلاحية الفقرات يعد مؤشرا على الصدق الظاهري(Face validity) وهو ايضا معبر عن الصدق البنائي .

رابعاً ثبات الاختبار

للتحقق من ثبـات الاختبار لجأ الباحث إلى قياس مدى اسـتقرار الدرجـات التي يحصل عليهـا التلاميذ بعد فاصل زمني , باسـتخدام أسـلوب إعـادة تطبيق الاختبـار (Test- Retest) , وشـملت عينة إعادة تطبيق الاختبار(5) تلميذ وتلميذة . وباستخدام معامل ارتباط بيرسـون (Pearson correlation coefficient) وقد أظهرت النتائج أن قيم معامل الثبات كما يلي وهي قيم عالية ويمكن الوثوق بها .

1. معامل ثبات القسم الأول (0.81)
2. معامل ثبات القسم الثاني (0.83)
3. معامل ثبات الاختبار ككل (0.85)

وزيادة في الاطمئنان لجأ الباحث إلى قياس الثبات بأسلوب التجزئة النصفية لكل جزء على حدة وللاختبار ككل باسـتخدام معامل ارتباط بيرسـون(Pearson correlation coefficient) لمجمـوع درجـات الفقرات الفردية ومجموع درجات الفقرات الزوجية وصحيح النتيجة باسـتخدام معادلـة سـبيرمان _ بـراون) (Spearman – Brawn) وأظهرت النتائج القيم الموضحة بالجدول الآتي :

جدول (2) قيم معامل الثبات

القسم	قيمة معامل الثبات قبل التصحيح	قيمة معامل الثبات بعد التصحيح
القسم الأول	0.78	0.876
القسم الثاني	0.79	0.882
الاختبار ككل	0.82	0.901

وتعد هذه القيم مؤشراً جيداً عن ثبات الاختبار .

خامساً التطبيق النهائي واعداد المعايير

تعد عملية اشـتقاق المعايير الخطوة الأخيرة والمهمة في عملية بناء واعداد الاختبارات النفسـية , لان من خلالها يمكن استخدام المقياس مع مجموعات وعينات أخرى في المجتمع , غير تلك التي أُعد المقياس عليها .(عبد الرحمن 1983. 268)

إذ تسـتخدم المعايير في مقارنة الدرجة التي يحصل عليها المجيب وتحديد مركزها نسبة الى المجتمع (Lemke &Wiersma.1976.54) فالدرجـة الخام على المقياس ليس لها معنـى ودلالة بحد ذاتها , مالم يتم تحديد مركز الفرد بالنسـبة الى مجتمع التقنين وبناء المعايير , وبما أن عمليـة اشـتقاق المعايير تكون من خلال عينـات ممثلة للمجتمع الـذي يعد له المقياس , لذلك ينبغي أن تشـتق معايير المقياس الحالي من خلال عينة ممثلة لأطفال منطقة جنوب الباطنة .

مجتمع البحث

حيـث أن الاجابة عـن فقرات المقياس تتطلب قـدرة على قراءة الفقـرات وفهم مضمونها واختيار البديل المناسـب للمجيب لذا فقد وجد الباحث أن تلاميذ السـنتين الخامسـة والسادسـة مـن التعليم الأساس قادرين على الاسـتجابة للمقياس وتتراوح اعمارهم بين (11- 12) سـنة وهم يمثلون مجتمع بناء معايير اختبار الشخصية للأطفال لمنطقة جنوب الباطنة في سـلطنة عمان , والذي يبلغ حجمه (2986) تلميذ وتلميذه بواقع (1434) تلميذ و(1552) تلميذة موزعين على (39) مدرسة. وكما هو موضح في الجدول(3)

جدول 3 يوضح تفاصيل مجتمع بناء المعايير *

عدد المدارس حسب الجنس		الخامس	السادس	المجموع
ذكـــور	22	663	771	1434
إنـــاث	17	684	868	1552
المجموع	39	1347	1639	2986

يلاحظ من الجدول ان عدد التلاميذ في الصفين الخامس والسادس في منطقة الباطنة جنوب يبلغ (2986) منهم (1434) ذكور وبنسبة تعادل (0,48) و(1552) إناث ونسبتهن (0,52) كما يلاحظ ان مجموع الثلاميذ في الصف الخامس من الذكور والاناث (1347) وبما يعادل (0,45) في حين يبلغ عدد تلاميذ الصف السادس من الجنسين (1639) وبما يعادل حوالي (0,55)

*البيانات مستمدة من الكتاب السنوي للاحصائات التعليمية للعام 2009/2008 م لوزارة التربية والتعليم / سلطنة عمان

عينة التقنين

للحصول على عينة ممثلة لمجتمع البحث حاول الباحث تحديد نسبة تعتمد للأختيار على وفق متغيرات الجنس والصف الدراسي

وقد حاول الباحث تحديد نسبة(0,25) للأختيار الا انه وبعد عملية التطبيق واستبعاد استمارات الاختبار غير الصالحة بلغت الاعداد النهائية لعينة حساب المعايير كماهو موضح في الجدول(4) حيث بلغ المجموع الكلي للعين (696) تلميذ وتلميذة وهو ما يعادل (0,23) منهم (325) تلميذا موزعين بواقع (150) تلميذ من الصفوف الخامسة و(175) من الصفوف السادسة و (371) تلميذة موزعات بواقع(165) تلميذة من الصفوف الخامسة و (206) تلميذة من الصفوف السادسة وبنسب تراوحت بين (22,7%) الى (23,9%) وهي نسب جيدة ويمكن الاعتماد عليها (وقد تم التطبيق من قبل طلبة وطالبات السنة الرابعة في كلية العلوم التطبيقية بالرستاق اثناء زياراتهم للمدارس بهدف التربية العملية بعد تدريبهن على كيفية تطبيق الاختبار بموجب تعليمات التطبيق الموحدة .

جدول (4) عينة بناء المعايير

عدد المدارس حسب الجنس		الخامس	السادس	المجموع	%
ذكور	6	150	175	325	22,7
إناث	6	165	206	371	23,9
المجموع	12	315	381	696	23,3

تصحيح الاختبار وحساب المعايير

بعد الانتهاء من تطبيق الاختبار على عينة اعداد المعايير قام الباحث بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لعينتي الذكور والاناث وللعينة ككل وتم التحقق من معنوية المتوسطات الحسابية باستخدام اختبار (ت) لعينة واحدة (T. test for one sample) واظهرت النتائج مايلي :

1. تحليل نتائج عينة الذكور

تراوحت درجات عينة الذكور بين (39) درجة كحد ادنى و (96) كحد اعلى وبلغ متوسط درجاتهم (63,35) بانحراف معياري مقداره (8,529) ولدى اختبار معنوية المتوسط الحسابي باستخدام اختبار (ت) لعينة واحدة (T. test for one sample) ظهر ان قيمة (ت) المحسوبة ذات دلالة معنوية عند مستوى دلالة 0,01 مما يدل على معنوية الفرق بين المتوسط المحسوب والمتوسط النظري للأختبار . والشكل 1 يوضح توزيع الدرجات لدى عينة الذكور

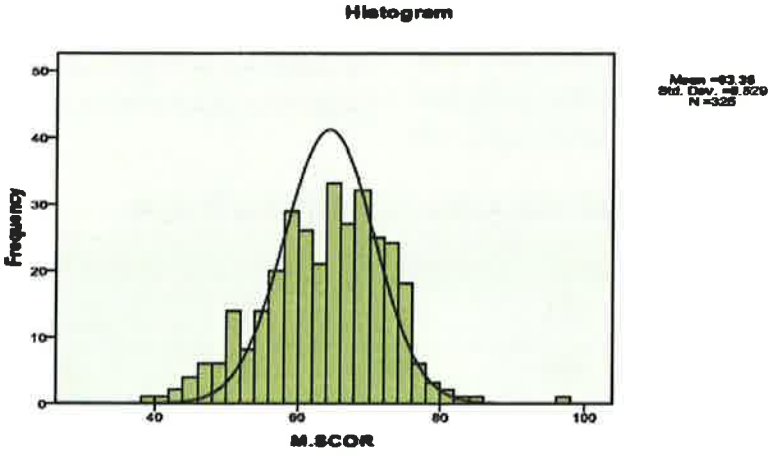

2. تحليل نتائج عينة الاناث

تراوحت درجات عينة الاناث بين (39) درجة كحد ادنى و (85) كحد اعلى وبلغ متوسط درجاتهن (62,77) بانحراف معياري مقداره (8,621) ولدى اختبار معنوية المتوسط الحسابي باستخدام اختبار (ت) لعينة واحدة (T. test for one sample) ظهر ان قيمة (ت) المحسوبة ذات دلالة معنوية عند مستوى دلالة 0,01 مما يدل على معنوية الفرق بين المتوسط المحسوب والمتوسط النظري للأختبار

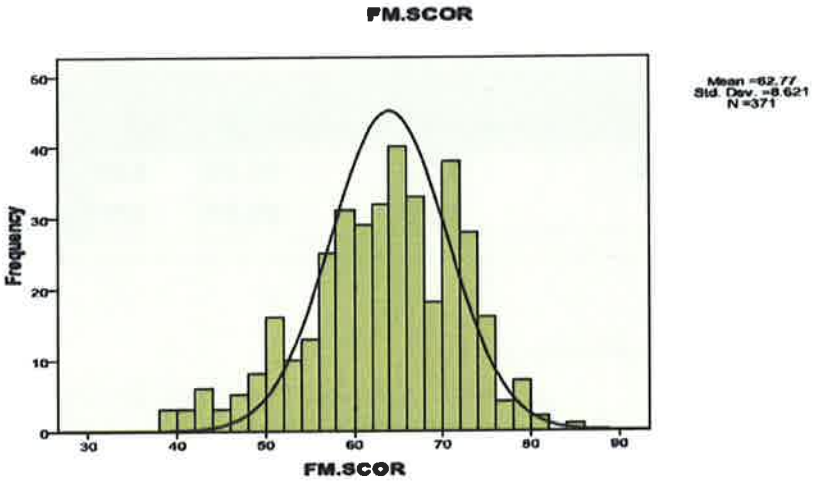

3. تحليل نتائج العينة ككل

تراوحت درجات العينة ككل بين (39) كحد ادنى و (96) كحد اعلى بمتوسط حسابي قدره (63,04) بانحراف معياري مقداره (8,577) ولدى اختبار معنوية الوسط الحسابي باستخدام اختبار (ت) لعينة واحدة (T. test for one sample) ظهر ان قيمة (ت) المحسوبة ذات دلالة معنوية عند مستوى دلالة 0,01 وكما هو موضح في الجدول 5

جدول 5 اختبار معنوية الاوساط الحسابية باستخدام اختبار (ت) لعينة واحدة

T. test for one sample

العينة	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة t المحسوبة	مستوى الدلالة
الذكور	325	63,35	8,529	133.91	0,01
الاناث	371	62,77	8,621	140,33	0,01
العينة ككل	696	63,04	8,577	193,91	0,01

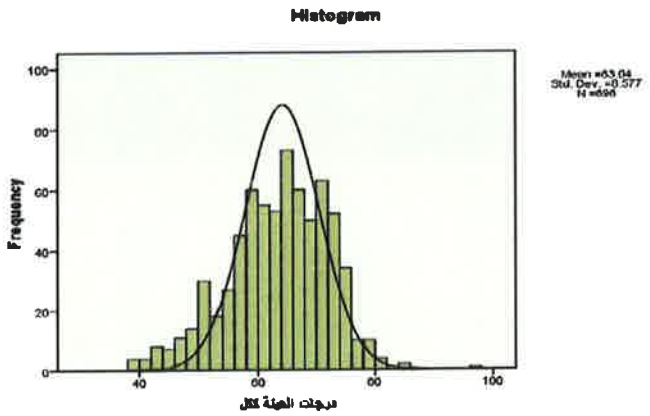

4. معنوية الفروق بين درجات الذكور والاناث

للتحقق من معنوية الفرق بين قيم المتوسطات الحسابية لدرجات الذكور والاناث عن اختبار الشخصية للأطفال تم اللجوء الى اختبار (ت) لعينتين مستقلتين (Independent Samples T. test for two) واظهرت النتائج ان قيمة (ت) المحسوبة (0,903) وهي قيمة تقل عن عن القيمة الجدولية عند مستوى دلالة 0.05 بدرجة حرية ∞ والبالغة 1,96 باختبار ذو ذيلين مما يدل على ان الفروق غير معنوية بين درجات الذكور والاناث . والجدول (6) يوضح ذلك

جدول (6) قيم اختبار (ت) لمعنوية الفروق بين الذكور والاناث

العينة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة t	مستوى الدلالة
الذكور	325	63,35	8,53	0,903	غير دالة
الاناث	371	62.77	8,62		

مؤشرات أحصائية

1. ان معنوية الاوساط الحسابية توضح ان هذه العينات لها استقلالية وتتميز عن القيم النظرية للأختبار مما يستوجب بناء معايير خاصة لتفسير النتائج .
2. ان توزيع الدرجات يقترب من التوزيع الطبيعي سواء اكان ذلك عند العينة ككل او لدى عينة الذكور او الاناث
3. ان غياب الفرق بين الذكور والاناث يوضح أنهما ينتميان الى مجتمع واحد ويمكن ان يعتمد على جدول واحد للمعايير .

اختيار نوع المعايير

لقد وجد الباحث من خلال اطلاعه على بعض المقاييس السابقة وأدبيات القياس النفسي أن هناك أنواعا من المعايير التي تستخدم في تفسير درجات الافراد وان اكثر تلك المعايير استخداما في مقاييس الشخصية هي :

1. المعايير التائية T. score لسولة استخدامها واعتمادها على التوزيع الطبيعي وامكانية التعبير فيها بوحدات متساوية . (ثورندايك وهيجن 1989: 136)

2. معايير الرتبة المئينية Percentile Ranks لتميزها بالقدرة على ترتيب درجة الفرد نسبة الى مجموعته ومرونتها بالتطبيق وسهولة حسابها ووضوح مدلولها وصلاحية استخدامها مع اي نوع من المقاييس النفسية (احمد 1981: -313 315)

لذا فقد قام الباحث بحساب معايير الرتب المئينية ومعادلة الدرجات المعيارية المعدلة (التائية) وكما هم موضح في الجدولين 7 و 8

جدول 7 معيار الدرجة التائية لأختبار الشخصية للأطفال لتلاميذ الصفين الخامس والسادس الاساسي

الدرجة الخام	الدرجة المعيارية	الدرجة التائية	الدرجة الخام	الدرجة المعيارية	الدرجة التائية

49	-0.118	62	22	-2.809	39-
50	-0.0005	63	23	-2.692	40
51	0.117	64	24	-2.575	41
52	0.234	65	25	-2.458	42
54	0.351	66	27	-2.341	43
55	0.468	67	28	-2.224	44
56	0.585	68	29	-2.107	45
57	0.702	69	30	-1.991	46
58	0.819	70	31	-1.873	47
59	0.936	71	32	-1.756	48
61	1.053	72	34	-1.639	49
62	1.170	73	35	-1.522	50
63	1.287	74	36	-1.405	51
64	1.404	75	37	-1.288	52
65	1.521	76	38	-1.171	53
66	1.638	77	39	-1.054	54
68	1.755	78	41	-0.937	55
69	1.872	79	42	-0.82	56
71	2.106	81	43	-0.703	57
73	2.327	83	44	-0.586	58
76	2.574	85	45	-0.469	59
89	3.861	- 96	46	-0.352	60
			47	-0.335	61

جدول 8 معيار الرتبة المئينية لأختبار الشخصية للأطفال لتلاميذ الصفين الخامس والسادس الاساسي

الرتبة المئينية	النسب المتجمعة	التكرار المتجمع	الدرجة الخام	الرتبة المئينية	النسب المتجمعة	التكرار المتجمع	الدرجة الخام
44	44.0	306	62	1	.6	4	39--
48	48.3	336	63	1	.7	5	40

54	53.7	374	64	1	1.1	8	41
59	58.8	409	65	1	1.4	10	42
64	63.5	442	66	2	2.3	16	43
67	67.4	469	67	3	2.9	20	44
72	71.7	499	68	3	3.3	23	45
75	74.6	519	69	4	4.2	29	46
78	78.2	544	70	5	4.9	34	47
84	83.6	582	71	6	5.9	41	48
87	87.2	607	72	7	6.9	48	49
91	91.1	634	73	9	9.3	65	50
94	94.0	654	74	11	11.2	78	51
96	96.0	668	75	12	12.2	85	52
97	96.8	674	76	14	13.8	96	53
97	97.4	678	77	15	15.2	106	54
98	98.4	685	78	18	17.7	123	55
99	98.9	688	79	21	20.7	144	56
99	99.4	692	81	24	24.1	168	57
99	99.6	693	83	28	28.2	196	58
99	99.9	695	85	33	32.8	228	59
99	100.0	696	- 96	37	37.2	259	60
				41	40.7	283	61

التوصيات

استنادا لما تقدم يوصي الباحث بالأتي :

3. استخدام الاختبار الحالي في قياس التوافق الداخلي والخارجي لدى تلاميذ الصفين الخامس والسادس لمنطقة الباطنة جنوب في سلطنة عمان .
4. عقد مشـاغل تدريبيـة للمعلمين وللأخصائيـين الاجتماعيين على تطبيـق الاختبار الحالي و تفسـير الدرجات الخـام التي يحصلون عليها .

المقترحات

واستكمالا للفائدة يقترح الباحث الآتي :

1. تقنـين الاختبار الحـالي على عينة ممثلة لتلاميـذ الصفين الخامس والسادس على مستوى السلطنة .
2. تقنين الاختبار على مراحل عمرية اخرى ادنى من السن الحالية
3. العمل على تقنين اختبارات اخـرى كاختبارات الذكاءات المتعددة واختبارات الاستعدادات على عينات من البيئة العمانية

المصادر

1. احمد , محمد عبد السلام ,1981, القياس النفسي و التربوي . القاهرة , مكتبة النهضة المصرية .
2. ثورندايك , روبرت .وهيجن , اليزابث, 1989. القياس والتقويم في علم النفس والتربية . ترجمة عبد الله زيد الكيلاني وعبد الرحمن عدس . عمان , مركز الكتاب الاردني
3. جابر , جابر عبد الحميد 1976 , مدخل لدراسة السلوك الإنساني, ط2 , القاهرة دار النهضة .
4. _____ 1983 , التقويم التربوي والقياس النفسي , القاهرة دار النهضة .
5. داود, عزيز حنا والعبيدي, ناظم هاشم ذياب 1990, علم نفس الشخصية , بغداد مطابع التعليم العالي
6. العاني , نزار محمد سعيد , الاختبارات والمقاييس , محاضرات لطالبات الصف الرابع كلية التربية للبنات , ب . ت .
7. العادلي , كاظم كريدي خلف 1998 : قياس بعض الخصائص السيكومترية لاختبار الشخصية للأطفال , بحث غير منشور .
8. عبد الرحمن, سعد 1967, أسس القياس النفسي والاجتماعي , القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة .
9. _____ 1983, القياس النفسي , الكويت . مكتبة الفلاح
10. علام , صلاح الدين محمود 1985 , تحليل البيانات في البحوث النفسية والتربوية , القاهرة , دار الفكر العربي .
11. _____ , 2000, القياس والتقويم التربوي والنفسي (اساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة) , ط1, دار الفكر العربي , القاهرة
12. عودة , احمد سليمان والخليلي , يوسف 1988 , الإحصاء للباحث في التربية والعلوم الإنسانية , دار الفكر , عمان .
13. فائق , احمد وعبد القادر محمود 1972, مدخل إلى علم النفس العام ,القاهرة , مكتبة الأنكلو المصرية .
14. لازاروس , ريتشارد 1980 , الشخصية , ترجمة سيد محمد غنيم , بيروت , دار الشروق .
15. وزارة التربية والتعليم / سلطنة عمان 2009, الكتاب السنوي للاحصاءات التعليمية, الاصدار التاسع والثلاثون .
16. Allport, G.W 1961 ; Pattern and Growth in Personality , New York , Holt , Rinehart and Winston .
17. Annastasi , A 1988 ; Psychological testing ,6th , ed , New York , Macmillan .
18. 18. Cronbach, L, J 1970 ; Essentials of psychological testing , New York, Harper and Publishers .
19. 19. Ebel, R,L 1972 ; Essentials of Educational Measurement , New Jersey , Englewood Cliff , Prentice Hall .
20. Kelly , G.A , 1955 ; The psychology of personal Constructs , New York , W. W .Norton & Co .Inc .
21. Lemk . E . and Wiersma .W. 1970: Principles of Psychology Measurement , Chicago.
22. Vernon . F . E 1973 ; Personality and predication principles , personality assessment , California , Addison , Weely .

ملحق (1)

اختبار الشخصية للأطفال

كراسة الإجابة

الاسم : السن :

المدرسة : الصف والشعبة :

النتائج

القسم الأول التوافق الشخصي							المجموع	القسم الثاني التوافق الاجتماعي							المجموع	المجموع الكلي
أ	ب	ج	د	هـ	و			أ	ب	ج	د	هـ	و			

القسم الأول (أ)

1. هل تستطيع اللعب لوحدك إذا لم تجد أحدا تلعب معه ؟	نعم	لا
2. هل تشعر برغبة في البكاء لأقل سبب ؟	نعم	لا
3. هل تستطيع التكلم أمام زملائك في الصف ؟	نعم	لا
4. هل تتألم إذا وبخك أحد على شيء عملته ؟	نعم	لا
5. هل تحتاج إلى مساعدة من أحد لتأكل ؟	نعم	لا
6. هل ساعدك أحد في لبس ملابسك ؟	نعم	لا
7. هل تهمك الحاجات البسيطة كثيراً؟	نعم	لا
8. عندما تلعب هل تستمر في اللعب حتى نهايته؟	نعم	لا

القسم الأول (ب)

1. هل تعمل أشياء تفرح الأطفال زملائك ؟	نعم	لا
2. هل يضايقك الأطفال زملائك ؟	نعم	لا
3. هل عدد أصحابك أقل من عدد أصحاب غيرك ؟	نعم	لا
4. هل معظم الأطفال أشطر منك ؟	نعم	لا
5. هل يقول عنك اهلك أنك شاطر ؟	نعم	لا
6. هل تقدر أن تعمل الأشياء التي يعملها غيرك من الأطفال ؟	نعم	لا
7. هل يقول الناس أن غيرك أحسن منك ؟	نعم	لا
8. يحبك معظم أصحابك ؟	نعم	لا

القسم الأول (ج)

1. هل يتركك أهلك تشتري بعض الحاجات لوحدك ؟	نعم	لا
2. هل تقضي في اللعب وقتا قصيرا ؟	نعم	لا
3. هل تزور أماكن جديدة كثيرا؟	نعم	لا
4. هل يمنعك أهلك من اللعب مع الأطفال الآخرين ؟	نعم	لا
5. هل يسمح لك أهلك بأن تلعب الألعاب التي تحبها ؟	نعم	لا
6. هل تعاقب على أشياء كثيرة تفعلها ؟	نعم	لا
7. هل تقوم بأكثر الأعمال التي تحبها لوحدك ؟	نعم	لا

8. هل يجبرك أهلك على البقاء في المنزل كثيراً؟	نعم	لا

القسم الأول (د)

1. هل ترغب أن يكون لك أصدقاء كثيراً ؟	نعم	لا
2. هل تشعر بأن الناس لا يحبونك ؟	نعم	لا
3. هل تحب الذهاب للمدرسة ؟	نعم	لا
4. هل يحبك التلاميذ بالمدرسة ؟	نعم	لا
5. هل تشعر أنك وحيد ولو كنت مع الناس ؟	نعم	لا
6. هل أنت كبير وقوي مثل معظم زملائك ؟	نعم	لا
7. هل أهلك أحسن من أهل زملائك الآخرين ؟	نعم	لا
8. هل التلاميذ الآخرون مرتاحون في بيوتهم أكثر منك ؟	نعم	لا

القسم الأول (هـ)

1. هل يوجد أناس سيئين لدرجة أنك تكرههم ؟	نعم	لا
2. هل تخاف كثيرا ؟	نعم	لا
3. هل يضايقك أكثر أصحابك ؟	نعم	لا
4. هل تتألم عندما يكون الناس سيئين ؟	نعم	لا
5. هل يقول كثير من أصحابك أشياء تضايقك ؟	نعم	لا
6. هل يحاول أصحابك أن يغشوك عادة ؟	نعم	لا
7. هل تشعر عادة بالمضايقة لدرجة أنك لا تعرف ما تعمله ؟	نعم	لا
8. هل تفضل أن تتفرج على غيرك بدل من أن تلعب أنت ؟	نعم	لا

القسم الأول (و)

1. هل تقضم أضافرك عادة ؟	نعم	لا
2. هل من الصعب عليك أن تذهب إلى السرير بمفردك لتنام بالليل ؟	نعم	لا
3. هل تبكي كثيراً ؟	نعم	لا
4. هل تصاب بالبرد بسهولة ؟	نعم	لا
5. هل تشعر بالتعب عادة حتى عندما تقوم من النوم ؟	نعم	لا
6. هل أنت مريض أكثر الأوقات ؟	نعم	لا
7. هل توجعك عيناك عادة ؟	نعم	لا
8. هل تستيقظ من النوم بسبب الأحلام المزعجة ؟	نعم	لا

القسم الثاني(أ)

1. هل تطع أهلك ولو كانوا على خطأ ؟	نعم	لا
2. هل يصح أن يختلف الصغار مع الكبار الذين لا يعاملونهم معاملة حسنة ؟	نعم	لا
3. هل تغش إذا ضمنت أن أحد لن يراك ؟	نعم	لا
4. هل تطيع أهلك حتى لو نصحك أصحابك بأن لا تهتم بهم ؟	نعم	لا
5. هل تحتفظ لنفسك الأشياء التي تجدها ؟	نعم	لا
6. هل من الضروري أن يكون الأطفال سيئين مع من لا يحبونهم من الناس ؟	نعم	لا
7. هل تشعر بأن من الضروري أن تشكر كل من يساعدك ؟	نعم	لا
8. هل من الصواب أنك تبكي إذا لم تستطع أن تعمل ما تريده ؟	نعم	لا

القسم الثاني (ب)

1. هل تتكلم مع التلاميذ المستجدين في المدرسة ؟	نعم	لا
2. هل من الصعب عليك أن تتكلم مع الناس الغرباء ؟	نعم	لا
3. هل ترتاح من التلاميذ الذين يقوموا بأعمال أحسن مما تقوم به ؟	نعم	لا
4. هل يغضبك أن منعك الناس من القيام بما تريد ؟	نعم	لا
5. هل تضرب الأطفال في أثناء اللعب في بعض الأحيان ؟	نعم	لا
6. هل تلعب مع الأطفال الآخرين حتى لو كنت لا ترغب ؟	نعم	لا
7. هل تساعد التلاميذ الآخرين في المدرسة ؟	نعم	لا
8. هل من الصعب عليك أن تكون عادل في لعبك ؟	نعم	لا

القسم الثاني (ج)

1. هل الناس سيئين معك لدرجة انك لابد أن تبقى سيئا معهم ؟	نعم	لا
2. هل تضايق الناس حتى يعاملوك معاملة حسنة ؟	نعم	لا
3. هل توجد أشياء سيئة في المدرسة لدرجة أنك تحاول أن تبتعد عنها ؟	نعم	لا
4. هل يضايقك أحد في البيت حتى أنك تغضب عادة ؟	نعم	لا
5. هل أن بعض الناس ظالمين لدرجة أنك تحاول أن تغشهم ؟	نعم	لا
6. هل يتشاجر الصغار معك كثيرا ؟	نعم	لا
7. هل تحاول أن تدفع التلاميذ الآخرين أو تخوفهم ؟	نعم	لا
8. هل تقول للأطفال الآخرين أنك لن تفعل ما يطلبونه منك ؟	نعم	لا

القسم الثاني (د)

1. هل أهلك على حق عندما يجبروك على أن تطيع أوامرهم ؟	نعم	لا
2. هل تحب أن تعيش مع عائلة أخرى غير عائلتك ؟	نعم	لا
3. هل يعتقد أهلك أنك طيب مثلهم ؟	نعم	لا
4. هل أهلك جيدين معك دائما ؟	نعم	لا
5. هل يوجد في اهلك احد لا يحبك ؟	نعم	لا
6. هل تضن أن اهلك يعتقدون أنك لطيف معهم ؟	نعم	لا
7. هل تشعر بأن اهلك لا يحبونك ؟	نعم	لا
8. هل تضن أن اهلك يعتقدون انك غير شاطر ؟	نعم	لا

القسم الثاني (هـ)

1. هل تساعد التلاميذ الآخرين في المدرسة ؟	نعم	لا
2. هل من الصعب أن تحب الأطفال الذين في المدرسة معك ؟	نعم	لا
3. هل بعض المعلمين لا يحبون التلاميذ في المدرسة ؟	نعم	لا
4. هل يقول التلاميذ أنك جيد معهم ؟	نعم	لا
5. هل تفضل عدم الذهاب إلى المدرسة ؟	نعم	لا
6. هل يوجد عدد من السيئين في المدرسة ؟	نعم	لا
7. هل يطلب منك التلاميذ في المدرسة أن تلعب معهم ؟	نعم	لا
8. هل يقول الأطفال الآخرين إن لعبك معهم غير جيد ؟	نعم	لا

القسم الثاني (و)

1. هل توجد أمكنة جيدة بالقرب من منزلك تلعب فيها ؟	نعم	لا
2. هل يحبك جيرانك ؟	نعم	لا
3. هل جيرانك أناس غير طيبين ؟	نعم	لا
4. هل ترتاح عند قضاء بعض الوقت مع الجيران ؟	نعم	لا
5. هل يوجد جيران سيئين ؟	نعم	لا
6. هل يدعوك اصدقاؤك لتلعب معهم في بيوتهم ؟	نعم	لا
7. هل يوجد أطفال سيئين بين أطفال جيرانك ؟	نعم	لا

8. هل تبتعد عن بيوت الجيران عندما يطلبوا منك أن تبتعد ؟	نعم	لا

في الأصول التاريخية للفلسفة العربية

د.إسماعيل نوري الربيعي

الجامعة الأهلية - البحرين

بدايات الاتصال العربي بالفلسفة كانت من خلال مدرسة الإسكندرية، حيث اتصال مكة بالمدن الكبرى من خلال التجارة. وعلى الرغم من أهمية العلوم الفلسفية، إلا أن نظرة الشك حولها، جاءت بسبب تزامن وقت ترجمتها مع ترجمة كتب السحر المتعلقة بتحويل المعادن الرخيصة إلى ثمينة . وتحريم الدين الإسلامي للسحر وبقت الفلسفة تمثل اهتماما شخصيا وليس تيارا عاما ، حتى قيام الدولة العباسية وظهور حركة الترجمة.

Abstract

The beginning of Arab contact with philosophy was through the school of Alexandria. Mecca connected with the major cities through trade .In spite of the importance of philosophical sciences, but the doubt was going around the philosophy, that came because of time synchronization with the translation of translated books of magic of turning cheap metals to precious, and the prohibition of the Islamic religion of magic. and remained a personal interest in philosophy, not a general trend , until the establishment of the Abbasid state ,and the emergence of the translation movement.

الفكر هو انعكاس تمثيلي للواقع، أنه المرآة العاكسة للظروف المحيطة والعلاقات السائدة. وهكذا كان الفكر في حقبة ما قبل الإسلام، أو ما يطلق عليه العصر الجاهلي، بسيطاً مباشراً يعالج الأساسيات التي تواجه الفرد والمجموع. فالحياة البدوية ونمط العيش فيها كان يفصح عن البساطة المرتبطة بالأفق الذي تشكله الكثبان الرملية، فيما كانت العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية غاية في البساطة قوامها الكفاف، والبحث عن الأساسيات التي تسد الرمق وتضمن كفالة الحياة واستمرارها وديمومتها. وعلى هذا سادت الشفاهية وتوطدت في ظل العلاقات التي لا تحتاج إلى تدوين أو كتابة والاعتماد كان منصباً على تثبيت حقوق الأفراد في ظل الجماعة والتي تكفلها رابطة الدم والعصبية القبلية. وإذا ما كان حال البوادي تسوده القبلية، كانت الحواضر العربية الكبرى لم تختلف في شي عن تلك الحال، فالبساطة والمباشرة كانتا هما السمة الملازمة لجميع الفعاليات، فالمعرفة بالكتابة كانت محدودة إلى حد بعيد(1)، أما الآثار التي خلفتها المدنيات العربية في اليمن وبلاد الشام، فقد كانت خالية من التعقيد والتكلف قوامها الوضوح والاكتفاء الذاتي.

إن وصفاً كهذا لا يبيح لنا الأخذ بالفكرة القائلة بأن العرب كانوا يعيشون عزلة مطلقة، أو أنهم كانوا منكفئين على أنفسهم، بل كان للعرب اتصالات مع الحواضر المجاورة لهم، لكنه كان اتصالاً محدوداً، أرتبط بالنشاط التجاري، لا سيما في مرحلة ما يمكن أن نطلق عليه "مرحلة الأيلاف المكي" حيث أجتهد القرشيون في توطيد أواصر علاقات تجارية مع بلاد فارس والحبشة والشام واليمن، وبحكم هذا النشاط، فإن التأثر كان لابد أن تظهر بعض علائمة في السياق الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، بل وحتى في بعض الملامح السياسية التي استنبطوها من الحضارات المجاورة. وإذا ما كان الدين يحمل بين ثناياه طبيعة التفكير العميق بالحق وفلسفة الحياة(2)، فان عبادة الأوثان بقيت مهيمنة ولها السيادة لدى عرب الجاهلية على الرغم من اعتناق بعض قبائل الشمال للديانة المسيحية، وانتشار اليهودية في بعض مناطق اليمن. والواقع أن الديانة الوثنية التي درج عليها عرب الجاهلية كانت في الأصل تستند في بعض مقوماتها على ديانة الحنفية، التي وضع أسسها النبي إبراهيم"ع"، لكن مبادئ هذه الديانة طمست بتقادم الزمان، ولم يبق من إتباعها إلا بضعة أنفار، كانوا ينادون بوحدانية الله وهم؛ ورقة بن نوفل الأسدي وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي وعثمان بن الحويرث الأسدي وعبيد الله بن جحش الأسدي. لقد كانت القبائل العربية تعظم البيت وتحج إليه سنوياً في مواسم معلومة، وهو أمر لم ينقطع حتى ظهور الإسلام، لكن جملة من الوقائع والأحداث ساهمت في تشويه الوعي الديني، إذ درجت بعض القبائل على حمل بعض حجارة البيت الحرام حيث مرابعها البعيدة تبركاً وتقديساً، لتنتشر ظاهرة عبادة الحجر، فيما جلب عمرو بن لحي الخزاعي سادن الكعبة صنماً في بلاد الشام ووضعه في الكعبة تبركاً وتعظيماً. وعلى الرغم من كل هذه الأحداث إلا أن أصل العبادة كان يتركز في التقرب إلى الله "وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى".

لم يعرف العرب في تاريخهم الجاهلي نمط التفكير الفلسفي، إنما استند خطابهم العقلي على ما احتوته أشعارهم وخطبهم وأمثالهم وقصصهم على الحكمة والتمثل. إذ كانت العلاقات السائدة تقوم على المباشرة والبساطة، لذا فأن نمط التفكير كان ينطوي على الطابع الوصفي البعيد إلى حد ما عن التأمل الذي تقوم عليه الفلسفة كنسق فكري. وهذا القول لا يعني ان العرب لم يفكروا بالوجود وأصل الحياة وغايتها وسرها، بل انشغلوا بها كثيراً، لكن تناولهم لهذه الظواهر كان يستند على أهمية المفاهيم في دعم حركة الواقع وديمومة الاتصال الاجتماعي ولكن بشكل محدود لا يتجاوز بعض الاهتمامات الفردية، حيث كان يشار إليهم "حكماء العرب" الذين انتشروا في بقاع الجزيرة العربية عند قبائلها وحواضرها. والواقع أن تواضع الفكر الفلسفي عند العرب قبل الإسلام كان انعكاساً لواقع العزلة والإبقاء على التراتبيات القديمة، بالإضافة إلى أن الفكر الفلسفي ما هو إلا نتاج حي وواقعي لنمط الحياة الحضارية السائدة،(3) وعملية نهائية للمحتوي الموضوعي لمظاهر الحضارة الأخرى من آداب وفنون وعلوم. إذ من غير الممكن أن تتم ملاحظة فكر فلسفي، من دون ازدهار حضاري شامل وعام للقطاعات الرئيسة، فهي الوعاء الذي يستوعب الأنشطة الفكرية ويحفزها ويجعل منها تسير إلى أمام. بل أنها تمثل المعيار الذي تبلغه الحضارة، لما تعالجه من قضايا عقلية وإشكاليات فكرية، لا يمكن أن تدور في الأذهان، ما لم ترتبط بمستوى معين من الحضارة.

كان للإسلام الدور البارز في تغيير الحياة العربية، على اعتبار النظام الحياتي والفكري والعقائدي الشامل الذي دعا إليه النبي محمد صلي الله عليه وسلم، حيث تم وضع الأسس والمعايير التي يقوم عليها المجتمع الأيماني، إنطلاقاً من وحدانية الله والأيمان برسالة الأنبياء جميعاً والتأكيد على أن غاية الحياة الدنيا تصب في خلاصتها عند الدار الآخرة حيث الثواب والعقاب، من خلال بعث بني البشر يوم القيامة. وتقوم مصدرية الإسلام المعرفية على القرآن الكريم الذي أحتوى بالإضافة إلى قداسته وإعجازه اللغوي على الكثير والواسع من المعطيات الفكرية والتفسيرية لمعنى الوجود والروح والخلق والعالم والوحدانية، وحمل الفرد ضمن الإطار الإسلامي (4) مسؤوليات كثيرة ومتنوعة كان الأبرز فيها، أهمية دور الفرد في تحقيق العدالة وانه المسؤول الأول عن أفعاله. فيما تعرض القرآن الكريم للكثير من المواضيع وحقق فيها وقدم لها التفسيرات الجديدة، التي تحترم فيها عقل الإنسان وتؤكد أهميته.

قدم القرآن الكريم مادة غزيرة وغنية أمام مفكري الإسلام، وجعل قضية العقل من أهم الظواهر والقضايا التي شغلت المجتمع الإسلامي، فكانت موضوعات مثل التجسيم والذات العلية، والقضاء والقدر، والجبر والاختيار مداراً للحوار والنقاش المستمر بين علماء المسلمين ومفكريه(5)، لتكون الأداة والمادة التي نهل منها مفكرو وفلاسفة الإسلام غنية و واسعة، وهذا ما يوضحه الخطاب القرآني في الكثير من آياته البينات، حيث نشأت علوم القرآن والتي مثلت نقطة

الشروع في ظهور العلوم الإسلامية، وبالتالي بروز الفرق الإسلامية التي اختلفت في التفسير والتأويل لمجمل الأوضاع والظواهر المعرفية.

بالإضافة إلى القرآن الكريم، مثلت السنة النبوية مصدراً معرفياً، احتل مكانة رفيعة في الحياة الفكرية الإسلامية. على اعتبار أنها كانت تمثل مصدر التشريع الثاني في الأهمية بعد القرآن، وتتجلى هذه الأهمية في تفسير العديد من الظواهر التي تعرض لها القرآن، وغدت بمثابة الواصف والشارح للمفاهيم القرآنية وعلى هذا فإن التفكير الإسلامي صاحبه الشيء الكثير من الطمأنينة خلال العقود الأولى من عمر الإسلام، انطلاقاً من وجود المصدر الأساس المتمثل في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم. فيما كان لوجود الصحابة أثره الفاعل في الإبقاء على الحالة الأولى، من حيث الإبقاء على سلامة المفاهيم والمضامين التي قدمها الإسلام، وهكذا بقيت الأوضاع خلال سنوات العهد الراشدي والشطر الأهم من عهد الدولة الأموية.

للاتصال دوره الفاعل والأكيد في رفد الحضارات الإنسانية. والواقع أن الدولة الأموية 41-132هـ وبحكم واقع الجوار مع الدولة البيزنطية، كانت قد اكتسبت العديد من الملامح الحضارية، لا سيما في مجال تقاليد الحكم وبعض مظاهر الحياة العامة، ولم تكن الحال هذه وليدة قيام الدولة الأموية، بل أن معاوية أقتبس الكثير من مظاهر الحياة البيزنطية خلال ولايته على إمارة الشام إبان عهد الخليفة عمر بن الخطاب. ولا بد من التنبه هنا إلى أن الفعاليات التجارية التي كان يقوم بها سادات قريش مع الأمصار المجاورة، كان له بعض الأثر في حفز الوعي الفلسفي، لاسيما الاتصالات التجارية في مصر حيث مدينة الإسكندرية التي كانت تمثل أحد المراكز العلمية والفلسفية في تلك الحقبة، بالإضافة إلى الحبشة، أو الاتصالات بالأديرة والرهبان حيث موقعهم على طرق التجارة لكن الإشارة الأهم في كل ذلك، والأكثر بروزاً تتضح في تكليف خالد بن يزيد بن معاوية"6" ت 85هـ "لإصطفن" القديم وهو أحد علماء الإسكندرية، لترجمة كتب أرسطو في المنطق من اللغة الإغريقية إلى العربية "7" ولم يقف الأمر عند ترجمة موضوعات الفلسفة، بل أن عناية خالد بن يزيد اشتملت علوم الكيمياء وموضوعات السحر السرية، والتي كان لعلماء الدين المسلمين موقف رافض لها بشكل مطلق. ونتيجة لارتباط ترجمة الفلسفة خلال نفس المرحلة التي تمت فيها ترجمة موضوعات السحر وبعض العقائد المعارضة للدين الإسلامي، دمغت الفلسفة بالشك والريبة والحذر الشديد إزاءها(8).

ومهما كانت الإشارة إلى هذه البواكير التي دشنت عرى العلاقة بالفلسفة اليونانية، والتأكيد على أهمية بداية الاتصال، فإن الأمر لم يكن ليخرج عن طبيعة البدايات التي رافقت هذا العمل. حيث بقيت مستندة في قوامها على أهمية الاهتمامات الفردية، وسيادة الطابع الخاص فيها. ويمكن الإشارة هنا إلى أن الخشية من الأفكار الدخيلة كان الطابع السائد الذي وسم الفكر الإسلامي، لا سيما في مجال الخشية والخوف على العقيدة الإسلامية، التي أريد لها أن تكون صافية من الشوائب التي يمكن أن تفرزها ثقافات أخرى. هذا بالإضافة إلى أن المرحلة التي كان يمر بها الإسلام قد اعتمدت على الفتوحات والجهاد ونشر الإسلام في العالم.

من جانب آخر كان لحركة الفتوح والاتصال بالأقوام الأخرى، داعياً ومبرراً لبحث العرب المسلمين عن طريقة أو أسلوب التعامل والتفاعل مع هذه الأقوام التي تحمل سمات خاصة من الوعي والإدراك. فيما كان للأحداث التي ألمت بالدولة العربية الإسلامية ومنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أثره البالغ في توجه الفكر العربي للبحث في أصول الفتن والصراعات التي باتت تترى وتظهر على مستوى الواقع الموضوعي بدءاً بحادثة السقيفة أو ظهور الفتنة الكبرى واغتيال الخليفة عثمان بن عفان، أو الصراع الدموي بين المسلمين أنفسهم في موقعة الجمل وصفين، "9" وصولاً إلى ظهور الخوارج واغتيال الأمام علي بن أبي طالب، وبلوغ السلطة إلى الأمويين الذين نقلوا السلطة من الشورى إلى الملك الوراثي.

هذه الانقسامات كان لها الأثر البالغ في حفز العقل العربي للتفكير بشكل جدي، في مسألة الحق والشرعية، وأي الأطراف كان على حق والسراط المستقيم، ومن هي الفرقة الناجية، وهل الإنسان مسير أم مخير؟ وكيف يمكن أن يظهر الاختلاف والصراع بين كبار الصحابة الذين بُشرّ عشرة منهم بالجنة؟

برز الصراع الفكري على أشده، لاسيما في مجال العقيدة وسلامتها، ودخول العناصر غير العربية، التي فات عليها أن تستوعب الكثير من الأفكار والمفاهيم. وعليه برز علم الكلام الذي أخذ على عاتقه الكشف عن معالم العقيدة الإسلامية، وأيضاً المسائل التي علقت على الموالي، ووجدوا فيها الكثير من الصعوبة والتعقيد. وعلى هذا برزت الاتجاهات الفكرية التي استندت إلى تيارين تمثلا في؛ النقل والعقل. فالتيار الأول كان يقوم على التفسير بالمأثور والمقولات التي نادى بها علماء الدين والفقهاء. في حين أن أصحاب التيار الثاني قالوا بأهمية الرأي والاجتهاد بلوغاً إلى الفهم الأفضل للكثير من القضايا التي تمس الفكر، على اعتبار أنها ممارسة عقلية. وفي ظل هذا المناخ الفكري ظهرت العديد من الفرق التي غدت تقدم طروحاتها في مجال الدين والدنيا، وراحت تتبارى فيما بينها لتفسير الظواهر. فكانت فرق مثل المعتزلة والمرجئة والقدرية والخوارج وأهل السنة والشيعة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل ظهرت فرق جديدة انبثقت عن الفرق الأصلية، لتتباين الاتجاهات والتفسيرات، وتتناقض الميول(10) والأهواء.

ازدهرت الحياة بمجمل قطاعاتها في ظل الدولة العباسية، وتطور ارتفاع الفعاليات الاقتصادية والسياسية، أما على الصعيد الاجتماعي فان المرحلة شهدت بروز فعاليات ناشطة ومؤثرة من قبل الموالي الذين أصبحوا عناصر فاعلة في مركز الدولة العباسية. وعلى هذا برزت فاعلية التأثر والتأثير على الصعيد العقلي، وشهدت الدولة

مناخـاً فكرياً فاعلاً على صعيد مواجهـة الفكر المنقول عن الحضارات الأخرى التي دخلت في حظيرة الإسـلام، وغدت تقدم معارفها وعلومها إثباتـاً للذات وتوكيداً للحضور في ظل الحضارة الإسـلامية. فتسـللت الثقافات والفلسـفات الفارسية والهندية والصينية عن طريق الاتصال المبـاشر الذي نتج عن طريق الفتوحـات التي بلغت تلك البقاع، فيما كان المناخ ملائماً لاسـتيعاب وتقبل ترجمة الفلسفة اليونانية بالإضافة إلى فلسـفات الأمم الشرقيـة الأخرى. وهكذا بدأت عناية العباسـيين بترجمـة الآثـار العلميـة البـارزة عن اللغـات الأخـرى، حيث وجه أبوجعفر المنصورت158هـ عنايته لترجمة كتب الفلسفة عن الفارسية واليونانية، على يد الطبيب جورجس بن جبرائيل وأهتم هارون الرشيد ت 194هـ بترجمة كتب اليونان التي غُنمت في مدن عمورية وأنقرة، وكان للبرامكـة المسـاهمة البارزة في هذا المجـال حيث قدموا الدعم المادي السـخي للمترجمـين. أما المأمون ت 218هـ فإن عصره يكنّى بعصر العلم الذهبي، حيث تم إنشـاء دار الحكمة التي فتحت أبوابها مشرعة للعلماء والكتاب والنسـاخ والمترجمين بسخاء ورحابة. وتعود هـذه العنايـة إلى الصفات الشـخصية التي تمتع بهـا المأمون، حيث نال قسـطاً وافراً من العلم إبان سـنّي إقامته في مـرو، واهتم بعلوم الدين واللغة العربية والفلسـفة. وكان إعجابه منصّباً على الفيلسوف أرسـطو طاليس(11)، ولم يأل جهداً في تحصيل الكتب النادرة والمهمة في هذا المجال، حتى أنه أرسـل العديد مـن الكتاب والعلماء إلى بلاد الروم، في سـبيل اسـتجلاب الكتب، كان من بينهـم الحجاج بن مطر ويحيـى بن البطريق ويوحنا بن ماسـويه. في ظل هـذا الجو العلمي المتدفـق لم يقتصر أمر العناية بالعلم على الخلفـاء، بل اجتهد بعض الأثريـاء للعناية بهذا الجانـب، كان منهم بني المنجم الذين أرسـلوا حنين بن إسـحاق إلى بلاد الروم لجلب الكتب، بالإضافة إلى حبيش بن الحسـن وثابت بن قرة وغيرهم من المترجمين، فيما اعتمد بنو موسى على حنين بن إسـحاق في جمـع نفائس الكتب السريانيـة واليونانية والفارسـية. وكانت هذه الفترة قد برزت أسماء علمية لامعة في مجال نقل المعارف من اللغات الأجنبية إلى العربية، منهم حنين بن إسـحاق ويعقوب بن إسـحاق وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان. ويبقى الدور الأهم لحنين بن إسـحاق (12) الذي مارس دور الإشراف على مشروع الترجمـة الفكري هذا، حيث وضع الضوابط والقواعد للانتقاء والفرز، واسـتند في اختياره إلى نقد النصـوص وتحليلها بدقة وموضوعية، من حيث المقارنة مع الأصول والاختيار القائم على مجموعة من النصوص المختلفة للمؤلف الواحد، من أجـل بلوغ الهدف والغاية العلمية. إذ لم تكن العملية مجرد سـباق لترجمة ركام من الكتب، بقدر ما كانت ممارسـة علمية غايتها الأسـاس المعرفي والاطلاع عـلى تراث وحضارة الأمم الأخرى، للنهل من معينها الفكري والعقلي.

وهكـذا تمـت ترجمـة كتب جالينـوس في الطب والفلسـفة الخاصة بـه، بالإضافة إلى الـشروح التي وضعها عـلى كتب أفلاطون وهي؛ السفسطائيون وبرمنيدس وكراتايلوس وأوثيدليموس وطيماوس والسـياسي والجمهوريـة والقوانين . كذلك عني بكتب أرسـطو وهي المقولات وفن التأويل والقياس والبرهان والكون والفساد والميتافيزيك والفيزيـاء. ومن أجل بلوغ أقصى غايات الدقة فأن حنين بن إسـحاق كان يقـوم بترجمـة النصـوص اليونانية لأفلاطون وأرسـطو إلى اللغة السريانيـة لشـدة إتقانه لهـا، ويعتمد على فريق عمله المسـاعد في ترجمتهـا وضبطها إلى اللغة العربيـة. بالإضافة إلى هذا الجهد المعرفي المتميز، برزت أسماء أخرى في مجال الترجمة كان من بينهم ابن ناعمة الحمـصي الذي ترجم كتـاب اللاهوت لأرسـطو، وأبي بشر متي الذي أجتهد في ترجمة كتب المنطق وقسـطا بن لوقا الذي عرف عنه إتقانه ومعرفته الواسـعة باللغة الإغريقية، وأبو عثمان الدمشقي الذي (13) أجتهد في ترجمة كتب أرسطو.

لابـد مـن التنبه هنا إلى أن نشـاط حركة الترجمـة أبان عهد الخليفـة العبـاسي المأمون وعلى الرغم من أهميته وشـموله، لم يكن الأول في تاريخ الحضارة العربية الإسـلامية، إنما تعـود البواكير الأولى إلى العهد الراشـدي، حيث قام البطريق يوحنـا الأول بترجمة الكتب المقدسـة اليهودية والمسـيحية " التوراة والإنجيل " من السريانية إلى العربيـة. هذا بالإضافة إلى النشـاط الذي بذله إثناسـيوس ت 67هـ خـلال عهد الخليفة عبد الملك بن مـروان ت 86هـ حيث وضع كتاباً عن العلاقة بين المسـلمين والمسـيحيين، في جوّ من الحوار المباشر كان يدور تحت ناظري الخليفة نفسه، ولعل الجهد الأبرز في مجال ترجمة الآثار الفلسـفية، كان قد برز من قبل سـالم بن جبلة، الذي ترجم عن السريانية(14) كتب أرسـطو في المنطق . والواقع أن فلاسفة المسلمين كانوا منشـغلين في كثير من القضايا الفكرية والفلسـفية التي تعرض لهـا الدين الإسـلامي مثل القضاء والقدر وهل أن الإنسـان مسـؤول عـن أفعاله، وهذا ما يكشـف عنه القرآن الكريـم بالإضافة إلى فكرة التجسيم والسؤال عن الذات الإلهية، وكانت فرقة الخوارج التي برزت بعـد معركة صفين وحادثة التحكيم التي وقعّت صحيفتها في 15 صفر 37هـ قد أكدت على خصوصية التفكير ووضعت للجدل مكانة هامة في مبادئهـا، حيـث أقرت بأن القـرآن أهم من السـنة النبوية، حيث يرفضـون الأحاديث النبوية الشريفة التي تنسـخ القـرآن(15). وكان بعض الخلفاء الراشـدين قد تعرضوا لبعض المسـائل الفكرية انطلاقا من الوعي، والأبرز من بينهم كان الأمام علي بن أبي طالب الذي أشار في العديـد من خطبه وأقواله إلى تنزيه الله من التجسـيم، وأن العلم بكنـه الله تعالى لا يمكن إدراكها لا في الحياة الدنيا ولا في الآخرة. فيما قال بعض صحابة الرسـول صـلى الله عليه وسـلم في موضوع العلم بالله: "العجـز عـن درك الإدراك إدراك"(16). ويقول الإمام علي كرم اللـه وجهه: "أول الدين معرفته، وكـمال معرفته التصديق به، وكمال التصديـق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشـهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشـهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه"(17) .

كانت الروافد المعرفية للفلسفة الإسلامية قد تمثلت في طريقين؛ الأول عن طريق دمشق حاضرة بني أمية حيث تم اللقاء بالفكر الديني المسيحي، وكانت الدولة العربية الإسلامية من التسامح، أن برزت مجموعة من الأسماء المسيحية البارزة من أمثال؛ القديس سوفروينوس والقديس أندريا الأقريشطي والقديس يوحنا الدمشقي، ونتيجة لقوة اللقاء واستمراريته، نجد حضوراً للمصطلح الديني وقد فرض نفسه على كلا الجانبين، أو التقارب الواضح في الأفكار العامة في الثواب والعقاب والالتزام. فيما كان للمناظرات دورها الفاعل بين الطرفين، والتي اشتملت على قضايا مثل القضاء والقدر وخلق الإنسان. أما الطريق الثاني قد تمثل في بغداد حيث تم اللقاء بالفلسفة اليونانية، وتم النهل من فلسفة أفلاطون وأرسطو والمدارس الفلسفية الأخرى مثل الرواقية والفيثاغورية والأفلاطونية المحدثة. فيما ساهم سريان إنطاكية في وضع بعض اللمسات المسيحية على الفكر اليوناني، لكنها لمسات وضعت في حسابها الابتعاد عن المساس بالعقيدة الإسلامية(18) لكنها أرادت أن تلبسها شيئاً من النزوع الديني .

يتجلى الأثر الشرقي في النصوص الفلسفية اليونانية التي تم ترجمتها إلى اللغة العربية، في كونها لا تعود إلى الأصول التي تم وضعها في القرن الرابع قبل الميلاد، إنما استقاء النصوص كان عن طريق مدرسة الإسكندرية التي ظهرت في القرن الرابع الميلادي. وكانت هذه المدرسة قد سعت إلى تقريب النصوص الفلسفية الأصلية إلى الديانة المسيحية، ومن ابرز مؤسسيها فرفوريوس ت 304م، وعليه فأن نصوص أفلاطون وأرسطو لم تصل إلى العرب بصورتها التي ظهرت فيها في "أثينا"، إنما جاءت محملة ومشبّعة بتفاصيل وتأثيرات المدرسة السكندرية، أما الفلاسفة العرب المسلمون فأنهم اجتهدوا في وضع الشروح للفلسفة اليونانية وابتعدوا عن علم الكلام الإسلامي(19).

لقد قدمت الحضارة العربية الإسلامية، خدمة جليلة للتراث الفلسفي العالمي، من خلال محافظتها على أصول الفلسفة اليونانية، حيث تكمن الأهمية في أن العرب في ذروتهم الحضارية حفظوا للآخر تراثه الفكري، في الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش أحلك عصورها(20). ولم يقف الأمر عند الحفاظ من الاندثار، بل أجتهد الفلاسفة المسلمون في وضع لمساتهم الخاصة على الطروحات الفكرية التي قدمها الدين الإسلامي(21). بدليل أن الاجتهاد المعرفي بلغ ذروته حين عمد الفلاسفة للإفادة من التطبيقات اللغوية والنحوية التي قامت عليها مدرستان نحويتان هما مدرستا البصرة والكوفة، والضبط الشديد والدقيق لموضوع المفردة في الجملة التي تستدعيها الفلسفة. بالإضافة إلى الإفادة من علوم المنطق والاعتماد على القياس في المجادلات(22).

برزت العديد من الأسماء الفلسفية كان الأبرز من بينها الكندي ت 260هـ وكانت بداية اهتمامه بالقضايا الفكرية عن طريق المعتزلة، حيث وجّه عنايته بالألهيات، وهي القضية التي شغلت ذهن المعتزلة إلى حد بعيد. لكنه وجد ثوب الاعتزال ضيقاً عليه، فأتجه نحو التراث الفلسفي اليوناني، ونهل من الكتب والرسائل التي ترجمت عن أرسطو، والتي كانت حديثة التداول في الوسط الحضاري العربي الإسلامي، على أساس الكم والنوع الذي ظهر في الميدان الفكري والثقافي، ومن هنا قيض للكندي معالجة القضايا بمنهج مختلف، أتاح له التعرض للعديد من القضايا الفلسفية بروحية مختلفة، قائمة على الضبط الدقيق للمصطلح، وموّطدة له إمكانية بلوغ النتائج المنطقية بطريقة علمية صافية ونقية،(23) وعلى هذا أتيح له التعرض لدراسة ومناقشة العديد من المسائل الجديدة التي لم تخطر على بال سابقيه ممن تصدّوا لهذا الميدان .

ساعدت الكندي في استيعاب الدرس الفلسفي اليوناني، معرفته باللغة الإغريقية، بل أنه ترجم بعض كتب اليونان مثل كتاب أرسطو "ميتافيزيقيا" وكتاب بطلميوس في الجغرافية. وساهم في ضبط وتنقيح الترجمة التي وضعت لكتاب إقليدس ووضع الشروح للعديد من كتب أرسطو وبطلميوس واقليدس. وقد بذل نشاطاً دافقاً نحو كتب أرسطو لاسيما " الأثولوجيا" وحرص على تنقيح الترجمة العربية وضبطها مع الأصول المتمثلة بتاسوعات أفلوطين وبلغتها الأصلية، وقد احتلت "الأثولوجيا" مكانة رفيعة للدارسين والشّراح للفلسفة اليونانية، والقائمة على فكرة قوى النفس التي تستند على أربع قوى، تتمثل الأولى بالعامل المستقل الذي يدخل النفس من الخارج، والثانية بالعامل الكامن، والثالثة بالعامل الفاعل، والرابعة عامل الذكاء. ويتمثل العامل المستقل بالعقل الذي يظهر بواسطة الفيض (24) من الله الخالق الحكيم، ورغم فاعلية العقل في السيطرة والتأثير على قوى النفس، إلاّ أنه يبقى مستقلاً على اعتبار أنه لا يمكن إدراكه بالحواس .

تكمن أهمية الكندي في أنه مهّد الطريق أمام الفلاسفة العرب المسلمين الذين جاءوا بعده، حيث ركز جهوده على شرح كتاب النفس لأرسطو بطريقة مختلفة عن الأسلوب والمنهج الذي أعتمده الفلاسفة السابقون له من السريان، حيث تمكن من شرح تعاليم أفلاطون الفلسفية بطريقة لا تتعارض والعقيدة الإسلامية. وكان التفسير يستند على أن النفس البشرية تقوم على مستويين، الأول يقوم بالاعتماد على الجسم وتفنى بفناء الجسد، ويطلق عليها النفس الحيوانية. أما الثاني فأنه يقوم على الروح التي تدخل (25) الجسد بأمر الله، وتبرز قيمتها في الخلود .

وكان قد عمل جهده على تطوير المنهج الذي دأب عليه الفلاسفة السريان، الذين استفادوا بشكل فاعل من اتجاه الأفلاطونية المحدثة في شرح أعمال أر سطو في مجال علم النفس. أما في مجال علوم ما وراء الطبيعة "الميتافيزيقيا"، فانه استند إلى النص اليوناني لكتاب أرسطو، وحرص على وضع آرائه الخاصة في مجال الزمان والمكان والحركة. والهيولي والصورة، في كتابه "الجواهر الخمسة". ويقوم عمله هذا على تحديد تلك الجواهر، حيث يشير إلى أن الهيولي هو العامل الذي تستند إليه العوامل الأخرى، على اعتبار أنه العامل الذي يتلقي الجواهر. أما الحالة الثانية فهي الصورة حيث ميزها وفق أساسين،

الأول المرتبط بالمادة بشكل ثابت ويطلق عليها "الأساسية"، أما الثانية فترتبط بمقولات أرسطو العشرة وهي "المكتسبة"، حيث يتم تمييزها وفق المادة والكم والكيف والعلاقة والمكان والزمان والوضع والحال والحركة والعاطفة. والحالة الثالثة هي الحركة، التي تكون في أنواع ستة، تقوم اثنتان منها على التغير في الإنتاج والفناء، واثنتان تقومان على التغير في الزيادة والنقصان، أما الاثنتان المتبقيتان فان واحدة منها تتغير في النوع والأخرى تتغير في الموقع. الحالة الرابعة وهي الزمان الذي يستند على القبل والبعد ويقوم على التسلسل العددي المستمر. أما الحالة الخامسة فهي المكان والذي يمثل الجسم(26)، في حين أن أرسطو أشار إلى أنه السطح الذي يحيط بالجسم.

وعلى الرغم من تأثر الكندي الشديد بأفكار أرسطو، إلا أنه تمكن من وضع لمسته الخاصة، في أكثر من مجال فكري. فحين يتعرض لمفهوم الفضيلة يؤكد على أن الهدف يتمثل في سعادة الدنيا والآخرة، وعلاقة الإنسان بالفضيلة تكمن في مدى معرفته بها. إذ أن المعرفة هي التي تفسح المجال أمام الفرد وبالتالي القدرة على الالتزام بمعطياتها وفروضها من خلال السلوك. ويفرز الكندي نوعين من الفضيلة، الأولى داخلية تقوم على فروض ثلاثة هي؛ الحكمة والنجدة والعفة. والثانية خارجية تمثل الأغراء الذي يواجه النفس البشرية من خلال ثلاث حالات وهي، الرذيلة والجور والظلم. وانطلاقا من التطور الذي يضعه لمفهوم الفضيلة، فانه يشير إلى وجود نوعين من البشر، الأول يمتلك قوة الإرادة والعزم والتصميم، ويخضع أفعاله للعقل، لذا فان تحصيل السعادة لا يتم بمقدار الحصول على الماديات، بقدر ما تقوم على القناعة بما تملك. وفي هذا يحدد الطريق إليها، من خلال الاتجاه نحو الإيمان العميق والصادق بالله والسعي إلى مرضاته، على اعتبار أن الفضيلة المطلقة تتجلى فيه. أما الثاني فانه الباحث عن الرغبات الحسية، والتي تجعل من المقبل نحوها عرضة للتغير وعدم استقرار المزاج والأزدواجية،(27) بل يكاد يكون الأكثر ضعفاً لعدم قدرته على كبح جماح شهواته ورغباته.

من الأسماء البارزة في مجال الدرس الفلسفي، يبرز أبونصر الفارابي ت339هـ الذي ولد في مدينة وسيج من أعمال فاراب الواقعة في ولاية حوض سير داريا، وكان الفارابي قد سعى في سبيل الحصول على المعرفة والثقافة مرتحلاً إلى مدينة حران التي أصبحت مقصد طلاب العلوم الفلسفية بعد أن تركزت فيها مدرسة الإسكندرية الفلسفية، حيث درس المنطق على يد يوحنا بن جيلان. لكن أركان مدرسة حران سرعان ما تقوضت بعد بروز المنافس الحضاري الأهم لها متمثلاً في مدينة بغداد، لينتقل إليها أعمدة المشايخ والمنطقيين إليها وكان من بينهم الفارابي، الذي راح يأخذ الدروس عن أبي بشر متي بن يونس خلال خلافة المعتضد "279-289هـ"، وكان لهذه الفترة أثرها على أسلوب الفارابي، الذي تأثر بأسلوب شيخه وأستاذه في عسر المعنى وتعقيده، ونتيجة للمكانة الثانوية التي راح يرزح فيها الفارابي، نجده قد آثر الانتقال إلى حلب حيث سيف الدولة الحمداني(28)، الذي راح يغدق على العلماء والمفكرين بكرم بالغ ومنحهم الكثير من المكانة والاعتبار.

تكمن أهمية الفارابي في الأثر الكبير الذي خلفه في اسلافه، لا سيما الفلاسفة الغربيين ومنهم على درجة الخصوص "توما الاكويني" الذي لم يتوان من الاعتماد على أفكاره ومقولاته بشكل مفرط وواضح. وعلى الرغم من التأثير البالغ الذي تركه في الفلسفة الغربية، فانه كان قد أستمد معرفته الفلسفية من الفكر اليوناني، حتى أن اللقب الذي أطلق عليه "المعلم الثاني" لم يكن ليخرج عن اعتبار التأثير اليوناني والقائم على مكانة أرسطو الذي يعتبره مؤرخو الفلسفة "المعلم الأول". وكان الفارابي قد حث جهوده للتأليف في أكثر من مجال علمي توزعت في الرياضيات والطب والفيزياء وعلم النفس والإلهيات والمنطق واللغات. وفي مجال المنطق فانه اختط لنفسه منهجاً واضحاً في دراسة البرهان والتعريفات، حيث وضع الشروح الوافية والدقيقة لأبرز المسائل الفلسفية من خلال التأكيد على أن التأكد من الحقيقة المفردة يقود إلى الحقائق الكلية، وأن المعرفة التي يكتسبها الفرد لا يمكن التثبت منها دون الاستناد إلى الخبرة الحسية. وبجهوده الفكرية الفذة توصل إلى أن المعرفة أكثر أهمية من الأخلاق(29)، محدداً في ذلك أهمية علم الرياضيات كأسس لبلوغ المعرفة. وسعيه واضحاً في مجال إحصاء العلوم، حيث وضع الفلسفة على رأسها على اعتبار قيامها على البرهان الذي يقود (30) إلى المعرفة اليقينية.

ويرى الفارابي أن الأخلاق والسياسة لا تختلفان في الغاية، إنما في النهج والأسلوب، على اعتبار أن الأخلاق تركز في مسعاها نحو خدمة أهداف الفرد والتمثل بالحصول على السعادة، في حين أن السياسة تتوجه نحو خدمة المجموع. وبتأكيده على السلوك الجمعي بالنسبة للفرد، انطلاقا من الفكرة التي تركز على أن الإنسان لا يمكن أن يبلغ أهدافه منفرداً دون الاستناد إلى القاعدة الجمعية التي يمكن لها أن تبرز مواهبه وإمكاناته وتدخله في التنافس الاجتماعي بغية تحصيل السعادة. وهكذا وضح تصوره الأخلاقي في مشروع المدينة الفاضلة، التي أراد لها أن تكون النموذج البارز للاجتماع البشري، انطلاقا من خضوع السلوك الفردي للسلوك الاجتماعي(31)، على اعتبار أن السياسة هي التي سيناط بها دور التنظيم والاعداد للمدينة الفاضلة، التي جعل منها النواة لبناء الأمة بشكله الأخلاقي الفاضل وبالتالي بلوغ مجتمع عالمي فاضل قوامه الأخلاق حيث يترع الجميع فيه بالسعادة والاستقرار. وتحقيقاً لهذا التصور فانه يؤكد على إبراز بعض الواجبات التي لابد أن يضطلع بها أبناء هذه المدينة والمتمثلة باحترام النظام والتوجه نحو تحصيل العلوم وتقديس الفضيلة. وكان تأكيده على أن رأس المدينة، لابد أن يكون نبياً أو حكيماً عاقلاً أوتي من العقل والمعرفة والخبرة ما يؤهله لقيادة هذا المجتمع الفاضل. ومن خلال رسوخ التصور الإيماني الإسلامي لديه، والذي يؤكد على أن محمداً "صلي الله عليه وسلم" خاتم الانبياء، فانه يعقد اللواء بالفيلسوف محدداً وجوده بشكل أساس ورئيس، ومن ثم يأتي دور الرعية التي عليها الطاعة والالتزام(32)، ولم يسقط الفارابي في فخ المثالية، فعلى

الرغـم من مشروعه الاخلاقـي الطموح الذي بشر بـه، إلا أنه عكف على دراسة المجتمعات المناقضة لنموذجه، حيث الجهل وسوء التدبير، ويركز في تحديد الأسـباب، مشـيراً إلى أن حالة التخلف إنما هي نتاج واقعي للتوجه نحو الملذات الحسية(33).

تأثر الفارابي بآراء الكندي لاسيما في مجال علم النفس،مشيراً إلى وجود أربع قوى في النفس تتمثل في العقل الكامن، الذي يسـاعد على بلوغ الإدراك بعد تجريد الموضوع من الأعراض الجانبية، والقوة الثانية تتلخص في العقل بالفعل التي تسـاهم في عملية تجريد الموضوع من الأعـراض، أما القوة الثالثة فإنها تكمـن في العقل الفعال وهو الفيض الصادر من الله الذي يحفز القوة الداخلية لدى الإنسـان ويحولها إلى قوة ظاهرة، والقوة الرابعة هي العقل المستفاد الذي يتمثل في الفعل المستند إلى العقل الفعال(34).

يـبرز ابن سـينا 428هـ في مجال الفلسـفة، الذي ولد في قرية أفشـنة، حيث انتقل إلى بخارى ليدرس علوم القرآن والأدب والفلسفة والهندسة وحسـاب الهند، لكن بواكيره كانت قد تركزت حول دراسة الفقه على يد إسماعيل الزاهد، وبقدوم ابوعبد الله الناتلي المتفلسف إلى بخارى، بدأ ابن سـينا بدراسة كتاب ايساغوجي، حيث أبدى براعة أدهشـت أسـتاذه، بل أنه تفوق عليه، مما جعله يتطلع نحو الدرس اعتمادا على جهوده الشخصية، فتوجه نحو دراسة علم المنطق وكتاب أصول الهندسـة لأقليدس وكتاب المجسطي لبطليموس في علم الفلك، واهتـم غاية جهده نحو دراسـة النصوص والـشروح في مجالي العلوم الطبيعية والإلهيـة(35). ولم يقف ولعه عند هذا الحد، بل ركز جهد، نحو دراسـة الطب فأبـدى براعة ومنزلة رفيعـة إلى الحد الذي صار الطـلاب يقرأوون ويتعلمون على يديه، كل هذا ولم يتجاوز ابن سـينا السادسة عشر.

ويشـير ابن سـينا صراحة إلى فضل ابونـصر الفارابي في علوم الإلهيـات، حيث عكف على دراسـة كتاب ما بعد الطبيعة لأرسـطو، وأعاد قراءته أربعين مرة دون أن يصل إلى نتيجة منه، لكنه حين أطلع على كتاب الفارابي الموسوم "في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة"، قيض له إستيعاب الكتاب والأفكار الواردة فيه. وكانت الصدفة قد لعبت دورها في وصول ابن سـينا إلى بعض خزائن الكتب النادرة، ممن لم يتسن إلا للقليل من الاطلاع عليها، فقد تم استدعاؤه لمعالجة والى بخارى نوح بن منصور، وهناك راح ينهل من خزانة الكتب الكبيرة التي تحوي النفيس والثمين من درر العلماء والكتاب. لقد بقي ابن سـينا في دائرة التلقي والإطلاع والبحث والتقصي حتى سن الثامنة عشر، ليبدأ رحلة التأليف في شتى العلوم والمعارف، حيث وضع كتاب "المجموع" بناء على طلب من أبوالحسـين العروضي، ووضع كتابين بناء على طلب أبوبكر البرقي في الفقه "الحاصل والمحصول" وفي الأخلاق "البر والاثم". ولم يقف أمر ابن سـينا للاشتغال بالجانب النظري(36)، بل كانت له تجربة عملية، تمثلت في توليه المناصب السياسـية الرفيعة حتى بلغ منصب "وزير"، لكن زحمة العمل ومسـؤولياته الجسام، لم تمنعه من مواصلة البحث المعرفي حيث كتب "الشفاء" مبتدءاً بموضوع الطبيعيات منه، وكان في أربعة أقسام هي المنطق، الرياضيات، الطبيعيات، والإلهيات. والواقع أن ابن سـينا لم يضف شـيئاً على مقولات أرسطو في المنطق، بل لم يزد عـلى الشرح الذي قدمه الفارابي والمـروزي ومتى بن يونس، إذ توجه نحو نصوص أرسـطو ليعرضها بسـعة واضحة موفقاً بين الأفكار التي أوردها أرسـطو في مقولاته وبين العلوم الطبيعيـة. لكن هذا الأمر لا يقلـل البتة من القدرة الواسـعة له في الفهم الدقيق لآراء أرسـطـو وتقديمه(37) لها بشكل صحيح وسليم.

ويحدد علاقته بالفلسـفة من خلال إشارته لها بالحكمة، والتي يربطها بالحقيقة المتصلة بالقدرة الإنسـانية. ويصنفها في نوعين الأول نظـري ويقوم عـلى الحركة ويدعوهـا بالحكمة الطبيعيـة، والأخرى غايتهـا البحث في العلاقة القائمة بـين الذهن والتغير، وتدعى الحكمة الرياضيـة، وهناك ما لا علاقة لها بالتغـير، وأن ظهرت أي أعراض من تلك العلاقة فإنها قطعاً سـتكون عرضية وتدعـى الحكمة الأولية. أما النـوع الثاني فيدعوه بالعملي ويقسـمه إلى ثلاثة أنواع وهي الحكمة المدنيـة التي تركز في توطيـد المصالح البشريـة والمحافظة على بقاء النـوع البشري، والحكمة المنزلية التي تقوم على توطيد مصالح الأسرة الواحدة وتنظيم المعامـلات داخلها وتحديد الحقوق(38) والواجبات بـين أفرادها. والحكمـة الأخلاقية التي تقوم عـلى الفضيلة وتكريس المبادئ الصادقة البعيدة عن الهوى والميول والرغبات وعفاف النفس.

وفي بحثـه عـن الموجود نجـده يقف على تصنيفـين يتعلقان بالجوهر المرتبط بذات الموضوع والذي يمثل الأسـاس في الوجود مثل كل الأشـياء الموجودة في الطبيعة الإنسان، الشجر، الحيوانات، الجبال، ويضعها في أربعة أنواع. ماهية بلا مادة، مادة بلا صورة، صورة في مادة، ومركب من مادة وصورة. أما التصنيف الآخر فأنه يتعلق بالأعراض أي ما يقوم في غيره ولا يقوم على ذاته مثل الزمان، المكان، اللون، الشكل، الحجـم، الطول، الأبعاد. وفي هذا فأن ابن سـينا يضع تراتباً في أوضاع الموجـودات فالأول يتمثـل في "المفارق" الذي لا يتصف بالتجسـيم، والثاني الصورة ومن بعده الجسـم، أما الترتيب الرابع فيتمثل بالهيولي القائم على طبيعة الارتباط بين الجسـم والصورة. ويشـير إلى أن الفرد العادي تتحدد علاقته بالموجود على أساس الحس، وأن عدم الإحساس بجوهره يؤدي إلى النتيجة المستندة إلى استحالة فرض الوجود، انطلاقا من خصوصية العلاقة القائمة بين الموجود والمكان والماهية. لكنه يعمد إلى تحقيق هذه الظاهرة والغور في تجلياتها(39)، اعتمادا على المعاني الكلية، على اعتبار أن المحسوس يؤدي بالنتيجة إلى غير المحسوس من خلال المعنى.

يرتبـط الوجود بالعلة التي تقوم على عنصرين المادة والصورة، لكن هذا الارتباط لا يلغي العلة التي تشـكل وجوده والتي تقوم على العلة الفاعلة التي تحدد الغائية بالنسبة للمعلول. وعلى اعتبار أن لكل علـة معلولاً، فان نظام العلية يرتبط بالفعـل الذي يقوم على الفاعل

الذي يمثل القوة الفعلية والقوة المسؤولة عن (40) مبدأ التغيير التي تتمثل في القوة الانفعالية.

لم يتوقف البحث الفلسفي عند حدود الجهود الفردية، بل برزت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، جماعة أطلقت على نفسها "إخوان الصفاء وخلان الوفا" حارصين على إخفاء أسمائهم ومركزين على أهمية الجهد الجماعي، حيث صنفوا حوالي خمسين رسالة فلسفية في المجالات النظرية والعملية(41). وجل ما قدموه من مجهود علمي قد تركز في رسالتين، الأولى بعنوان رسائل إخوان الصفا، تناولت أفكاراً شتى وموضوعات متنوعة شملت فنون العلم والحكمة والأدب والمعاني والتصوف، فيما ركزت الثانية التي كانت بعنوان الرسالة الجامعة على تناول موضوع النفس والأخلاق وأهمية العمل على إصلاحها. ومن الملفت للنظر أن إخوان الصفا قد أكدوا في مقدمات كتبهم على أهمية أن توضع في يد أمينة حريصة على فحواها ومضمونها، وألا تصل يد الجاهل، ولا تخزن أو تمنع على المتتبع، بل لابد أن تبذل إلى كل من يرغب في الاطلاع عليها ولكن بموضوعية وأمانة. وكانوا قد تطلعوا إلى تسهيل المعاني والمفاهيم الفلسفية، وأن الإنسان يحتاج إلى التأمل الفكري(42) من أجل تركيز قوى النفس.

لقد افرز الاتصال الأندلسي مع المشرق العربي الإسلامي، تطلع العديد من المهتمين إلى دراسة الفلسفة والبحث في موضوعاتها، حيث برز في هذا المجال عبد الله بن مسرة القرطبي ت 318هـ الذي تأثر بالمدرسة الأفلاطونية المحدثة، لكنه لم يسلم من تهمة الإلحاد على الرغم من أشتغاله الفردي في هذا المجال (43)، كذلك أجتهد مسلم بن محمد المجريطي ت396 في حمل رسائل إخوان الصفا إلى الأندلس، حيث أثارت بعض الاهتمام بالأفكار التي تعرضت لها، (44) هذا بالإضافة إلى العناية الرسمية التي برزت من لدن بعض الأمراء الأمويين من أمثال محمد بن عبد الرحمن 238-273 هـ والجهود الراسخة والصميمة التي بذلها المستنصر 350-366هـ في رعاية (45) هذا العلم، انطلاقا من روح المنافسة مع المركز الحضاري الذي كانت تمثله بغداد حاضرة الخلافة العباسية.لكن هذا النشاط الدافق كان عرضة للتناحر والتنافس الداخلي، بالإضافة إلى تربص القوى الإفرنجية بالأندلس، حتى أن مرحلة الفتح وإلى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس 92-422هـ قد أعقبتها مرحلة السيطرة المباشرة لدولة المرابطين بعد أن أستنجد الأندلسيون من أجل إصلاح الأوضاع والوقوف في وجه الأخطار الزاحفة، لتبدأ مرحلة المرابطين في الأندلس 448-541هـ (46) بطابعها التقليدي المحافظ، إلا أنها شهدت بداية لتأسيس المدرسة الفلسفية في الأندلس.

في ظل هذه الأوضاع السياسية، برز الفيلسوف الأندلسي. أبن باجة ت 533 الذي عاش في مدينة سرقسطة لأسرة تعتاش على صياغة المعادن النفسية، لكنه ارتحل عنها بعد أن تعرضت مدينته لهجوم الفونسو عام 511هـ ليستقر به المقام أخيراً في فاس حيث مات هناك تحت رعاية أبو بكر يحي بن يوسف بن تاشفين.

وكان قد أضطلع بشرح الفلسفة اليونانية- العربية مستنداً في ذلك على جهود الفارابي وابن سينا، ليؤسس في بيئته بداية راسخة للاهتمام بالفلسفة الأشراقية(47). وقد حث جهوده في كتابه تدبير المتوحد على أهمية اعتزال الإنسان فكرياً، نتيجة لتطلع الناس على الدنيا وإصرارهم على تحقيق المآرب الخاصة، متجاوزين المصالح العامة. ويمكن القول أن فلسفة ابن باجة قامت على الإنسان بنزعة أخلاقية صارمة، لكن تشدد الفقهاء إبان تلك المرحلة لم تتح له التعبير عن آرائه الفلسفية بسعة واطمئنان، لذا كان يغلب عليها الحذر. ومن الملفت أن آراءه الفلسفية لم يستفد منها "المرابطون" الذين قدموا له الرعاية والمناصب العليا، بل جناها معارضوهم "الموحدون" 541-633هـ بشخص مؤسسها ابن تومرت المتوفى 524هـ الذي كان يهتم بعلم الكلام وقدّم مجالاً للفلسفة من أجل دعم الآراء التي كان ينادي لها(48)، على اعتبار أن الكثير من الأفكار التي تطرحها الأفلاطونية المحدثة، يمكن أن تتفق مع العلوم الدينية، انطلاقا من وجهة نظر الغزالي ت505 هـ والذي كان ابن تومرت يعتنق آراءه(49)، هذا مع الأخذ بالاعتبار أن الغزالي كان قد وجه نقده الشديد للفلسفة .

كان للأهمية التي أحتلها ابن باجة في الغرب، أن غدا أحد أبرز الأعلام الفكرية، بل أن البعض صار يقارن بينه والفارابي (50). على اعتبار أنه أتجه نحو إتمام أعمال الفارابي الفلسفية، وحرص على وضع الشروح الأفلاطونية المحدثة لأعمال أرسطو في مجال الطبيعة والكون والفساد والآثار العلوية. وعن كتابه "تدبير المتوحد" السابق الذكر، كان قد بلغ إلى تحديد السلوك الإنساني، انطلاقا من تمييزه لنشاطين، الأول ويقوم على النزوات والشهوات ويدعوه بالحيواني، أما الثاني فأنه يستند إلى العقل المجرد ويدعوه بالإنسان. وتتجلى أهمية هذا الفيلسوف في تطلع فلاسفة الغرب للاعتماد على شروحه ومقولاته في بعض العقائد الفلسفية، ومنها "الجواهر المفارقة" التي كانت تفسر قبله على أساس روحي، فيما أستند ابن باجة إلى وضعها تحت مشرح العقل وبالتالي التعرف إلى الأفكار من خلال الصور، وتبرز أهميتها في تقديم الأفكار للمعرفة المرتبطة بالحقيقة بصورة أكثر دقة من الأجسام المحسوسة، والصور التي تدركها العقول يمكنها أن ترتبط بالنفس البشرية من خلال "عقل فعال خارجي" عن طريق الفيض، مثل ارتباط جوهر الصورة بالمادة التي تؤلف الجسم، وعلى هذا فأنه يحدد السبيل لبلوغ السعادة القصوى من خلال فيض العقل الفعّال عن العقل(51).

في ظل دولة الموحدين وفي بلاط السلطان أبو يعقوب يوسف 558-580 تحديداً، بزغ نجم الفيلسوف ابن طفيل ت 581هـ الذي ينتمي في أصوله إلى قبيلة قيس العربية، حيث ولد في وادي آش في الشمال الشرقي من قرطبة، وكان قد درس علوم الفقه والعلوم العقلية والطب. وكان لإقامته في بلاط أبو يعقوب أبلغ الأثر في توجهه نحو الدرس الفلسفي ووضع الشروح والتلخيصات لكتب أرسطو، حيث كان هذا السلطان من المولعين بالفلسفة ومن أشد أنصار المشتغلين فيها (52).

أكـد ابن طفيل في فلسـفته على أن الوصـول إلى الله يتم من خلال المعارف السامية، وهذه بدورها يمكن بلوغها عن طريق الوجد. وهـو بهذا يلتقي مع المتصوفة، لكنه يتقاطع معهم في طبيعة العلاقة القائمة بين العلة والمعلول، والتي تقوم على أسـاس النزول إلى مستوى الإنسـان وبعدها يتم الصعود إلى مستوى الذات. وكان قد وضع جلّ أفكاره الفلسـفية في قصة فلسفية بعنوان حي بن يقظان، التي تحكي عن إنسـان ولد في جزيرة متوحداً، لا يحيط به سـوى الحيوانات، مما جعلـه يتوجه نحو التأمل الـذي هداه إلى ربط العلاقـات القائمة في الحيـاة.(53) حيث أكـد أن الحوادث لابد لها مـن فاعل، وأن الصور التـي تطالع الناظر إنمـا ترتبط بوجود الذي أحدثهـا. أما على صعيد الموجـودات الأكبر مثل الطبيعة والكون، فـأن الفاعل الذي أحدثه لا بداية له، وهو بهذا سرمديّ لا بداية له ولا نهاية وبحركته اللامتناهية فأنه لابد أن يكون منزّهاً عن المادة(54).

كان جـل تفكير أبن طفيل قـد تركز في الفاعل، وصار يتفحصّ الموجودات، لينتقـل عقله إلى الفاعل، على اعتبار تأمّل أثر الصنعة في الموجودات، حتـى تطلع فكره نحو العالم المعقـول، ليزيح عنه العالم المحسوس جانباً. وفي التمعّن بالذات الأرضية، وجدها ناقصة وقاصرة، وأنه لابد من وجود ذات شريفة تقوم على واجب الوجود، وإنما كمال الذات الأرضية وبلوغها السـعادة لا يمكن أن يتم، إلا من خلال إدراك الواجب الوجود. وغاية ابن طفيل في حكاية حيّ بن يقظان تتركز حول توافق الدين والفلسـفة، على اعتبار أن هذا الإنسان المنقطع عن أية معرفـة سابقة(55)، قاده عقله المتأمل إلى وجود الحق الواحد الأحد.

في ظـل الدولـة الموحدّية يبزغ الفيلسـوف ابن رشـد ت595 هـ الذي ولد في قرطبة واشـتغل في الفقه المالـكي ودرس علم الكلام والطب والفلسفة، وكان قد بلغ أعلى المناصب وأرفعها، بعد أن قدّمه الفيلسوف ابن طفيل إلى السـلطان أبو يوسف يعقوب، وبقي ينتقل بين مدن قرطبة ومراكش واشـبيلية حتى أن البعض من مؤلفاته كان يبدؤهـا في مدينـة ليتمهـا في مدينة أخرى، فيما تعـرض للعديد من المصاعب والمحن جرّاء علاقته الوطيدة بالسـلطة العليا، حيث تعرّض لعقوبـة من قبل السـلطان يعقوب المنصور باللـه، لعبارة أوردها في كتاب الحيوان. فيـما بات خصومه ينقبون في آثاره المكتوبة، من أجل إمساك الدليل على إشراكه وإلحاده، بل تعرض لأذى العامة حتى أنهم أخرجوه من المسجد،(56) حينما هم بدخوله من أجل الصلاة . كان ابن رشـد قد اسـتند في تأسـيس مشروعه المعرفي على دراسة الفقيه المتشدد ابن حزم ت456هـ واتهامات الغزالي ت 505هـ المستندة إلى المذهب الأشعري، ومنهجية ابن سينات 428هـ التي أرادت أن تواجه فلسـفة أرسطو، فتوجه نحو تبسـيط مقولات أرسطو وشرحها، وعمل على رصد الأخطاء، والتداخل الذي وقع فيه ابن سـينا، واجتهد في الرد على مقولات الغزالي التي هاجمت الفلاسـفة(57)، حيث وضع كتاب تهافت التهافت، بل وحرص للرد على المذهب الأشـعري، وأشار إلى أن الفلسـفة والدين متصلتان وأن الحكمة والعقل تفضيان إلى الشريعة والإيمـان فيما حرص على الأخـذ بالظاهر ورفض المنهج الذي أسـتنه علـماء الكلام والمتصوفـة، ومن دون التداخل في موضوعي الفلسـفة والدين،(58) وضع ابن رشـد منهجاً واضحاً في أهمية كل موضوع على حدة مع التمييز بين "المقدمات" التي تعد الأساسيات والبديهيات التي يقوم عليها الموضوعان في " الدين أو الفلسـفة"، أما "الاسـتدلال" فهو الأسـاس الذي يتم من خلاله الخوض في الموضوع، إذ لا يمكن التعرض لموضـوع من دون المعرفة السـابقة بأصوله ومبادئـه. ومن هنا وجه نقـده إلى الغزالي على اعتبار أنه أطلع على الفلسـفة بطريقة ناقصة، (59) كونه قرأ ابن سـينا الذي درج في تحديد مشروعه الفلسفي وفق منهجية علماء الكلام الذين يعمدون إلى "قياس الغائب على الشاهد". كان ابن رشـد أكثر تأهيلاً للتصدي نحو موضوع الفلسـفة والشريعة، على اعتبار اشـتغاله بالقضايـا الشرعية بصفة مبـاشرة، حيث مارس القضاء في مدينة إشبيلية، وتوّليه لمنصب قاضي القضاة. فوجه انتقاده لنظرية الغزالي حول " الخلق في الزمن" مشيراً إلى تناقضها مع المفهوم الإسـلامي حول قدرة الله عز وجل، فيما رفض نظرية ابن سينا حول " الفيض الأزلي" لتناقضها مع تعاليم أرسـطو التي تؤكد على الجمع بين الشـكل والمادة في العلة، واللذان يمثلان جوهر الكون وجمعهما أزليّ بشكل دائم مع الفاعل، والنتيجة أن الله خلق الكون منذ الأزل (60) . ويعتمد ابن رشد إلى فسح المجال أمام الفيلسوف للمشاركة الإنسانية، ورفض الانعـزال، بل أنه يؤكد أن الأفـكار المتداولة بعموميتها، يمكن أن تجنـى منها الفائـدة القصوى إذا ما تم تأويلها بالشـكل الصحيح والمناسب. والفلسفة بمصطلحاتها ومقولاتها الصعبة والعسيرة، لابد لها أن تنهـل من المعين الاجتماعي، وعليهـا أن تنبذ التعالي أو الترّفع على باقي العلوم، بل أن العلوم الأخرى تؤدي دوراً فاعلاً ومؤثراً في الحيـاة العامة، لاسيما الديـن وأثره البالغ في المجتمـع (61)

الخاتمـــــــــة

كان للفتوحـات الإسـلامية دورها البالغ في انفتـاح العرب على ثقافة الآخر، فكان الاتصال بالفكر الفلسـفي عبر بوابة الشام باعتبار الجوار الجغـرافي، إلا أن هذا لم يجعل منهم منغلقين على النموذج الإغريقي، بدليل أحـوال الانفتاح على ترجمة الآثار الفلسـفية الشرقية الهندية والفارسية والسريانية.و إذا ما تخذت أحوال الاهتمام الفلسفي طابعا فرديا، فإن الاتساع والاهتمام راح يتوسع حتى شكل اتجاها عميق الأثر في الحيـاة العقلية العربية عبر جملة من الجهـود التي أبرزتها حركة الترجمـة في العصر العباسي، وبروز جملة من المترجمين المتخصصين في الحقول المعرفية، بل وظهور عوائل وأسر تخصصت في مجال الترجمة. وإذا كان الاتجاه الرسمي قد تطلع نحو تشجيع الترجمة ، فإن اهتماما آخر تبدى مـن قبل الموسرين والأثرياء الذين راحـوا يغدون العطايا المالية بسخاء لافت من أجل رفد اتجاه تيار الترجمة بالجديد واللافت من النتاج الفلسفي العالمي. لم يقتصر دور العرب على دور النقل عبر بوابـة الترجمة ، بل تخطاه نحو ممارسـة النقـد العلمي المنهجي عبر تحقيـق النصوص الفلسـفية، بدقة علمية و وضـوح مبين. لقد تبدى العمل المؤسساتي بصورة لافتة في هذا المجال، حتى قيض له التخصص في ترجمة الفروع الفلسفية.

الهوامـــــش:

1 - د. عمـر فـروخ، المنهاج الجديد في الفلسـفة العربيـة، دارالعلم للملايين، بيروت1970، ص72.

2 - د. دي بور، تاريخ الفلسـفة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة لا تاريخ، ص5.

3 - علي سـامي النشار، نشـأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دارالمعارف، القاهرة1966 ج1، ص4.

4 - حنـا فاخـوري وخليـل الحـر، تاريـخ الفلسـفة العربيـة، دار المعارف،بيروت لا تاريخ، ج1، ص128.

5 - محمـد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسـفة اليونانية إلى الفلسـفة الإسلامية، منشورات عويدات، بيروت 1970، ص292 .

6 - جـورج طرابيشي، مذبحة الـتراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساقي، لندن 1993، ص85.

7 - د. محمـد عابـد الجابـري، تكوين العقل العربي، مركز دراسـات الوحـدة العربيـة، ط5، بـيروت 1991، ص194، أنظـر أيضاً، ابن النديم، الفهرست، ص242 .

8 - نفسه، ص194 .

-9 د. عمـر التومي الشـيباني، مقدمة في الفلسـفة الإسـلامية، الدار العربية للكتاب، تونس 1990،ص63.

10 - محمد الخضري بك، تاريخ الأمم الإسـلامية-الدولة العباسية، دار الفكر اللبناني، بيروت1994، ص142 .

11 - د. عمر التومي الشيباني، المصدر السابق، ص65 .

12 - ماجـد فخري، الفلسـفة والتاريخ، من كتـاب عبقرية الحضارة العربيـة، ترجمة عبـد الكريم محفوظ، الـدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته 1990، ص97 .

13 - المصدر نفسه، ص98 .

14 - د. شـاكر مصطفـى، حركة التعريب عن ثقافـات الأوائل، مجلة كلية الآداب-الكويت ديسمبر 1974، ص ص35-39 .

15 - إبراهيم فوزي، تدوين السـنة، دار ريـاض الريس، لندن 1995، ص130 .

16 - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الأندلس، بيروت1996،ج1، ص19

17 - المصدر نفسه، ج1، ص23 .

18 - شـاخت وبوزورث، تراث الإسـلام، ترجمة د. حسـين مؤنس ود. إحسـان صدقي العمد، سلسـلة عالم المعرفة، الكويت1998، ج2، ص46 .

19 - د. عمـر التومي الشـيباني، المصدر السـابق، ص72، أنظر أيضاً، علي سامي النشار، نشـأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة 1966، ج1، ص77

20 - فيليب حتي، الإسـلام منهج حياة، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت1972، ص263 .

21 - آدم متـز، الحضارة الإسـلامية في القرن الرابـع الهجري، ترجمة محمـد عبـد الهادي أبوريـدة، الهيئـة المصرية العامـة للكتاب، القاهرة 1995، ص281 .

22 - شاخت وبوزورث، المصدر السابق، ج2، ص ص47-48 .

23 - د. عبد الرحمن بدوي، موسـوعة الفلسـفة، المؤسسـة العربية للدراسات والنشر، بيروت1984، ج2، ص297 .

24 - روم لاندو،الإسـلام والعرب،ترجمـة منيرالبعلبكي،دارالعلـم للملايين،بيروت 1962، ص297 .

25 - د. محمـد ممـدوح علي محمـد العربي، الأخلاق والسياسـة في الفكر الإسلامي والليبرالي والماركسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992، ص125 .

26 - دي لاسي أوليري، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1972، ص124 .

27 - د. عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة 1977، ج2، ص107 .

28 - د. عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ج2، ص94 .

29 - روم لاندو، المصدر السابق، ص219 .

30 - شاخت وبوزورث، المصدر السابق، ج2، ص51 .

31 - الفارابي، تحصيل السعادة، لا ناشر، القاهرة لا تاريخ، ص44 .

32 - الفـارابي، آراء أهـل المدينة الفاضلة، لا نـاشر، القاهرة لا تاريخ، ص78 .

33 - المصدر نفسه، ص91 .

34 - دي لاسي أوليري، المصدر السابق، ص130 .

35 - روم لاندو، المصدر السابق، ص221 .

36 - إبراهيـم العاني، الزمان في الفكر الإسـلامي، دار المنتخب العربي، بيروت 1993، ص97.

37 - د. عمر التومي الشيباني، المصدر السابق، ص88 .

38 - دي لاسي أوليري، المصدر السابق، ص147 .

39 - شاخت وبوزورث، المصدر السابق، ص51 .

40 - ابن سـينا، الإشـارات والتنبيهات، دار المعـارف، القاهرة1958، ص452 .

41 - عمر دسوقي، إخوان الصفا، القاهرة 1947، ص31 .

42 - عمر فروخ، إخوان الصفا، بيروت 1953، ص12 .

43 - أنخل كونثالث بالنسـيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة لا تاريخ، ص311 .

44 - دي لاسي أوليري، المصدر السابق، ص154 .

45 - ماجـد فخري، الفلسـفة والتاريخ، من كتـاب عبقرية الحضارة العربية، ترجمة عبد الكريم محفـوظ، الدار الجماهيرية، مصراته 1990، ص106 .

46 - د. إبراهيـم بيضـون، الدولـة العربية في الاندلـس، دار النهضة العربية، بيروت 1986، ص375 .

47 - ماجد فخري، المصدر السابق، ص108 .

48 - مونتغمري وات، في تاريخ إسبانيا الإسلامية، ترجمة د. محمد رضا المصري، شركة المطبوعات، بيروت 1994، ص148 .

49 - ابــن خلدون، كتاب العــبرو ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، القاهرة 1967، ج6، ص327 .
50 - روم لاندو، المصدر السابق، ص229 .
51 - دي لاسي أوليري، المصدر السابق، ص208 .
52 - د. عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، ص68 .
53 - دي لاسي أوليري، المصدر السابق، ص212 .
54 - د. محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ص316 .
55 - مقدمة د. عبــد الله أنيس الطباع، لكتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبي، مؤسسة المعارف، بيروت 1994، ص54 .
56 - عبد الرحمن بدوي، المصدر السابق، ج1، ص21 .
57 - ابن رشــد، تهافت التهافت، تحقيق ســليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة لا تاريخ، ج2، ص869.
58 - عبــد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإســلامية، دار النهضة العربية، القاهرة 1965، ص285 .
59 - ابن رشد، فصل المقال، المكتبة المحمودية، القاهرة 1968، ص33 .
60 - ماجد فخري، المصدر السابق، ص ص109-110 .
61 - مونتغمري وات، المصدر السابق، ص152 .

عناصر الأداء الشعري في ديوان "قمر شيراز" للشاعر عبد الوهاب البياتي

الدكتورة جودي فارس البطاينة
أستاذ مساعد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
جامعة جرش الأهليّة

يدرس هذا البحث جوانب فنية عدة من شـاعرية عبد الوهاب البياتي. أحد رواد التجديد في الشـعر العربي المعاصر، و أبرز المسـهمين الأول في إرساء قواعد حركة الشعر الحر (شعر التفعيلة), بعد نازك و السياب .

اعتمد البحث, لدراسـة هذه الظواهر الفنية, قصائد ديوان (قمر شـيراز) الصادر عام 1976م, لما يمثله هذا الديوان من انعطافة في مسـيرة البيـاتي الشـعرية, و لكون الظواهر الفنية المقصودة بالبحث موظفة عـلى نحو واضح في هذه القصائد, فضلا عن المنحى الصوفي الذي طبع كل الجمل الشـعرية في ديوان (قمر شـيراز) بمعطيات تجربة العشق الصوفي عند الشاعر، و الديوان بعد ذلك يعكس بوضوح نظرة البياتي للحياة و الكون و الإنسان.

و في مقدمة الظواهر الفنية, التي عني البحث بدراستها, الصورة التي تتميز بالعمق الفكري والنفسي ، و اللغة المفعمة بالجدة و البكارة, و المطعمة بالإشارات و الرموز الصوفية, و موضوع الغموض الذي يلف غير قليل من صور البياتي و معانيه, و القناع الذي برع فيه البياتي وأجاد.

Elements of poetic performance in the divan of "Qamar Shiraz"

By Abdel Wahab AL-Bayati
Dr. Judi faris El Bataineh
Assistant Professor- department of Arbic – Jerash Private University
J.f.bataineh@hotmai

Abstract

Elements of poetic composition in Abd al Wahab Al Bayati's collection of poems (Qamar shiraz- moon of shiraz)

The present paper examines the artistic aspects seen in the composition of Abd Alwahab al Bayati's poetry. As a pioneer in the Arabic contemporary poetry renovation movement, Al Bayati, along with Nazek Al Malaeka and Badr Shakir Al Seyab, has been among the first contributors to the establishment of the free verse in Arabic poetry.

The study has investigated the artistic aspects in Al Bayati's collection of poems (Qamar shiraz- moon of shiraz), as this collection represents a turning point in his poetic career and well represents the investigated artistic aspects. The poems also show a Sufi trend that can be easily identified throughout the poetic lines reflecting the poet's great Sufi love and view to life. Globe and man.

Among the aspects explored by this study is the image characterized by ideological and psychological depth, serious language inlaid with Sufi references and symbols, mysterious implications that warp up many images and implications in the poems and the well-composed veil for the poet to hide behind.

تقديم

من أعمال الشـاعر العراقـي الكبير عبد الوهـاب البيّاتي، ديوان " قمر شـيراز" الذي، صدر عام 1976م*، هـذا الديوان مبني على ثماني قصائـد، تقـوم كل قصيدة منها عـلى عدّة مقاطع . وهـذه القصائد هي:" إلى روفائيل ألبرتي"،" قراءة في كتاب الطواسـين للحلاج"، " الموت والقنديل"، "صورة جانبية لعاشق الدب الأكبر"، "القصيدة الإغريقية"،" أولد وأحترق بحبي"،" قمر شيراز"،" حب تحت المطر".

يربط قصائد ديوان "قمر شـيراز" خيـط واحد مجدول من رؤى وأحاسيس ومشاعر نفسية تُعبّر عن تجربة العشق الصوفي عند البياتي، هذ التجربة التي تتجلى من خلال رؤيا الشاعر البياتي للكون، والإنسان، والحيـاة ،عبر قصائد تتأطر في إطار عشـقي ينبثـق من عمق المعاناة اختار لها عنوانا دالاً " قمر شـيراز". وفي أثنـاء المقاربة النقدية لهذه القصائد، تطل تجربة الشاعر معلنة، بإشارتها ورموزها، أنها تبحث عن الاندماج والاتحاد مع المعشوق، الذي يتجلى ، في عرف البياتي الفكري والنفسي، في المبدأ والرؤيا.

وعبر المقاربة النقدية نفسـها، نكتشـف أيضاً أن الشاعر (ارتجل) لغـة فيها جدة وبكارة ،واعتمد صوراً ذات عمق فكري و نفسي تتلاءم مـع رؤياه ،التي احتضنت الجمل الشـعرية، في قصائد "قمر شـيراز" .ومـن أجلى مزايا هذه اللغة والصور الجديدة أنها نهضت بمهمة ربط المـاضي بالحاضر، من خلال إضاءة التاريـخ، وبث الحياة في مفاصله ، ليعيش في الحاضر ويتطلع بحيوية إلى المستقبل.

ولجدة لغة قصائد قمر شـيراز وصورها، وللوشـائج التي تربطهما برؤيا الشـاعر، ولأنهما حملتا مهمة الإبانـة عن الرؤية الجديدة، فقد انصـب هذا البحث على دراسـة هذه اللغة وهـذه الصور، وكان من وكده استجلاء الأساليب والطرائق، التي سلكها الشاعر، لتجسيد رؤاه. وقـد ركز البحـث أكثر جهده ، من خلال التطبيـق، على ثلاث قصائد هي: "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" و"القصيدة الإغريقية" و"قمر شـيراز" ،التي اتخذها البياتي عنواناً للديـوان، على أن يمتد هذا الجهد ليتغلغل في ثنايا القصائد الأخرى ما أسعف .

إن عنـاصر الأداء الشـعري في "قمر شـيراز" تضعنا أمـام تجربة شـعرية اختارت لنفسـها أدواتها التي تحقق من خلالها رؤيا شعرية تتكثف في تعبيرها ، ودلالتها انعكاسـا لحالة إنسانية تحمل في داخلها روح التاريخ الثقافي للـذات ،وعلاقة هذه الذات مع الآخر في دوائرها الثـلاث ،الماضي، والحاضر ،والمسـتقبل، الذي يبنى مـن خلال تفاعل الدائرتـين الأولى والثانية ، ولهذا فإن عنصر اللغة في هذه التجربة كان عنـصراً فاعلاً محملاً بروح الدلالة والارتباط بمعطيات القاموس الثقافي لهذا الشـاعر ، وكذلك الأمر بالنسـبة إلى الأخيلة التي جالت في روح الخيال الموروث وارتباطاته الدلالية . مما دفع إلى توظيف الشخصيات التراثيـة في الوصول إلى المعنى المرتبط بحركـة التاريخ وتحولاته التي تمـت في إطـار الواقع الثقـافي للأمة .ولعـل هذا ما سـتتوقف عنده الدراسة وتعالجه من خلال الاتكاء على النصوص الشعرية، ومدلولاتها في قصائد هذا الديوان .

* اعتمدت الدراسة "ديوان قمر شيراز" الصادر عن دار العودة، بيروت ط4، 1990 .

اللغة والأخيلة التراثية (المرجعية الدلالية) في (قمر شيراز):

يقول البياتي في كتابه "تجربتي الشعرية" : "إن شخصية الحلاج والمعري والخيام وديك الجن وطرفة بن العبد وأبي فراس والأسكندر المقدوني... وعائشة وإرم ذات العماد وكتاب ألف ليلة وليلة وبابل والفرات ودمشق ونيسابور... التي اخترتها حاولت، من خلالها، أن أقدم البطل النموذجي في عصرنا هذا... وأن استبطن مشاعر هذه الشخصيات النموذجية في أعمق حالات وجودها، وأن أعبر عن النهائي واللانهائي، وعن المحنة الاجتماعية والكونية، التي واجهها هؤلاء وعن التجاوز والتخطي لما هو كائن إلى ما سيكون، ولذلك اكتسبت هذه القصائد، هذا البعد الجديد ،الذي يجعلها تولد من جديد كُلّما تقادم بها العهد"(1).

من خلال هذه الشهادة ، نستطيع أن نقع بدءاً على مرجعية البياتي الدلالية ، أي على المنطلق الذي تنطلق من خلاله رؤياه للواقع المعيش، والكون والحياة ، فالواقع بالنسبة للبياتي " هو المعيار الوحيد لرفضنا أو قبولنا أي جانب تراثي " وإن كنا نتلمس هذه المرجعية عبر رؤاه الشعرية في قصائد قمر شيراز، ومعنى ذلك، أن هذه المرجعية أسهمت وبكفاية في تشكيل اللغة الخاصة، والصور الخاصة في القصائد، بل فرضت على صاحبها لغتها الخاصة وصورها أيضاً، فشكلت هذه الخصوصية، التي تحتضن رؤاه الجديدة .

نحن، إذاً، بإزاء خصوصية شعرية تمنح شاعرها الفرادة،" وتعيد المتلقي إلى الفضاء العربي، الذي تريد هذه القصيدة أن تتحد به، حتى تتدارك الفراغ الذي خلفه العدول عن الشكل العربي القديم " ليقدم رؤاه الجديدة للإنسان المعاصر، بثوب الفكر الملتزم، الحامل للتراث المتحرك، دافعاً الواقع نحو التغيّر والتبدّل، والبياتي ليس بدعاً بين الشعراء المحدثين، فهو في طليعة مجموعة شعراء مجددين اتكأوا على المرجعية التراثية ليطلوا منها عبر الواقع ، برؤى مجددة، ذلك لأن مرجعية الدلالة (أو المعنى) في لغة الشعر العربي المعاصر حقيقة واضحة،

(1) البياتي ،عبد الوهاب ، تجربتي الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1993، ص 41.

[2]) البياتي ، عبد الوهاب ،" الشاعر العربي المعاصر والتراث "، مجلة فصول ، العددالرابع ،المجلد الأول ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،1986،ص20 .

[3]) اليوسفي ، محمد ، في بنية الشعر العربي المعاصر ، سراس للنشر ، تونس ، 1985 ، ص152 .

ولعلها أوضح الحقائق في لغة هذا الشعر"(1). والبياتي في مقدمة سواه من المبدعين، يتحرك خلال هذه المرجعية، التي تدفعه لإعادة قراءة الماضي وتجاوز زمنه للوصول به إلى الحاضر، من خلال لغةٍ تحمل هذا التواصل والتشابك في الرؤيا والطرح." لقد ضاق البياتي باللغة فلم يجد أمامه إلا أن يحور اللغة أو يشتق من اللغة الماضية لغته الخاصة ...وذلك لا يتحقق إلا بالرجوع إلى مجموعة التجارب الإنسانية القديمة التي أودعت نصوصاً وغدت هذه النصوص ممثلة لموقف فكري قادر على النفاذ من زمنه أو ممثلة لخيال بشري غدا جزءاً أساسياً من الأرث الخيالي البشري أو ممثلة لحدث تاريخي أو ديني اكتسب قوة التأثير في الأزمان المتلاحقة "2

والوصول إلى الحاضر ليس أمراً يسيراً، إذ لا بد له من وسائل ربط بين الماضي والحاضر، تطلعاً إلى المستقبل، وقد وجد البياتي هذه الوسائل في تشكيل اللغة والصورة ، يتخذ منها وسائل عرضٍ لرؤيا ذاتية جماعية، لتصبح لغة كشفٍ . ومن ثم تتحقق علاقة الشاعر بالتراث الأدبي واللغوي، من خلال مستويات،" منها الألفاظ، ومنها التراكيب، ثم استيحاء الجو اللغوي الشامل لنمطٍ موروث من الأداء، وأخيراً ما يحدث في حالة التضمين والاقتباس"(3).

وهذا ما نجده، حقاً ، عند البياتي في قصائد ديوانه قمر شيراز، لا سيما قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" وهو كتابٌ بيّن لنا المرحلة الأخيرة من تطور فكر الحلاج(4). نجد

(1) الشرع ، علي ، لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي الحديث، منشورات اليرموك، 1991، ص 62.

[2]) الشرع ، علي ، لغة الشعر العربي المعاصرفي النقد العربي الحديث ، مرجع سابق ،ص62-63 .

(3)لطميش ، محسن ، دير الملاك، الجمهورية العراقية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، 1982، ص 189.

(4) صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987 ، ص 381.

في القصيـدة أن اللغة، والأخيلة التراثيـة (المرجعية الدلالية)1 قد فرضـت لغة داخلية خاصة ، متمثلة في اللفظ والتركيب والجو اللغوي الموروث، وقد تمثل البياتي ذلك كله ونقله، عبر رؤياه، في قصيدته تلك التي نجد فيها:

واحدة بعد الأخرى؛ ترتفع الأيدي في وجه الطغيان

لكنّ سيوف السلطان

تُقَطِّعها، واحدةً بعد الأخرى، في كل مكان2

هـذا المقطع، بما فيه من ألفـاظ وتراكيبٍ وجوٍّ لغـوي، يعيد إلى ذاكرتنا مشـهد صلب الحلاج ، وما رافقه من قصصٍ وحكايات، فبهذه التراثيّة الخاصّة يبني البياتي جمله الشـعرية ونماذجه اللغويّة ويصّور أخيلته التراثية:

فلماذا ، يا أبتي، لم ترفعْ يدك السمحاء؟ 4

فلماذا ،يا أبتي صلب الحلاج؟

هذه البنى اللغوية تسـترجع صور (التمثيل) الـذي عاناه الحلاج قبـل الصلب، يقول الحلاج بعد أن قطعـت يداه ورجلاه: "إلهي، إنك تتودد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك"(6).

---

[1]) مرجعية الدلالة (أو المعنى)كما يرى علي الشرع ظاهرة مردها الإحساس بعبء الماضي والموروث المنحدر منه من جهة ومن الإحساس برغبة الخروج من مجموعة التصورات الفكرية والجمالية التي شكلت الفلسفة العامة لهذا الماضي وموروثه من جهة ثانية ، فإزاء الإحساس بعبء الماضي وإزاء الرغبة في الخروج من هذا العبء لا يملك الشاعر المعاصر إلا أن يعيد قراءة هذا الماضي ويعيد فهمه – فمرجعية الشاعر للماضي توفر له امكانات هائلة تسعفه في توليد الدلالة أو المعنى وإن كانت هذه المرجعية تجعل لغته الشعرية حبيسة المراجع التي رجع إليها الأمر الذي يلقي على متلقي شعره مسؤولية التنبه إلى هذه المراجع ليعرف البذور المشكلة للغة الشاعر وبالتالي البذور المشكلة لأخيلته ودلالة لغته .
انظر، الشرع ، علي ، لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي الحديث، مرجع سابق ، ص62 .

[2]) البياتي ،عبد الوهاب ،قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج " ، ص373 0

[3]) الحلاج (244 – 359) الشيخ الأكبر الحسين بن منصور الحلاج ، شاعر صوفي ، وصاحب المأساة المشهورة في تاريخ الفكر والتصوف أصله من البيضاء ،كان يجمع حوله جماعات الساخطين والمضطهدين والفقراء والمحزونين ويتصل بالجماعات السياسية الثائرة التي تهدف قلب الحكم ، وخلع الخليفة يريد الحكم حكماً شيعياً فارسياً فصلب وقتل ، ويعتبر من أكثر الرجال الذين اختلف في أمرهم فجماهير علماء السنة أجمعوا على تكفيره وتبديعه ورميه بالسحر والشعوذة .
الحسني ، عبد المنعم ، الموسوعة الصوفية ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ط1 ، 2003 ،ص164
انظر، ماسينيون ، لويس ، شخصيات قلقة في الاسلام ، ،ترجمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ،الكويت ،ط3،1978 ،ص63

[4]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" ، ص373 .

[5]) البياتي ،عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج " ، ص374 .

(6) صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي ، مرجع سابق ، ص381 .

إن سائر التشـكيلات اللغوية والصورية ، في القصيدة ، تدور حول بروز ذاتية البياتي برؤيته للكون والإنسان والحياة ،عبر نقل الموروث ، لغةً وصورةً وجوّاً لغويـاً من الحلاج وحادثة صلبه. فالقصيدة جامعة لكل الفلسـفات التي أمضى البياتي حياتـه بالحديث عنها :الصراخ في ليل الإنسانية ، الموت والعودة ، والانتظار ، بناء وطن للشعر ...الخ1

يمكن أن نلمس ذلك في القصيدة نفسها حيث يقول:

في أحـواض الزهـر وفي غابـات طفولة حبـي، كان الحلاجرفيقي في كل الأسـفار، وكنا نقتسم الخبز ونكتب أشـعاراً عن رؤيا الفقراء المنبوذيـن جياعاًفي ملكوت البناء الأعظم؛ عن سرّ تمرد هذاالإنسـان المتحرق شـوقاً للنور، المحنيَ الرأسإلى السـلطان الجائر، كان الحلاج يعود مريضاً وينام سـنيناً ويموت كثيراً ويهز القضبان الحجريّة في كل سجون العالم 2 .

لا يسـتطيع أحد أن يُماري في تراثية اللغة و الصورة في هذا المقطع ، والشواهد وفيرة. لو تتبعناها في القصيدة كاملة(3).

وعلى النحو نفسـه ، تفصح القصيدة الثانية (القصيدة الإغريقية) (4) عن تشـكيلات صورية وأخيلة تسـتمد نسغها من هذه المرجعية التراثيـة في اللغـة والتصويـر، فيكاد يتكـرر هذا الاحتفال المشـهود بالتشكيل اللغوي والتصويري ، اللذين تمتد جذورهما في التراث ، حيث تدور هذه القصيدة حول "الحب والتحول في الرؤيا(5).

[1]) انظر ، صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي ، مرجع سابق ، ص381 .
[2]) البياتي، عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج "، ص 374 .
(3)انظر، البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" ، ص372
(4)انظر ، البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "القصيدة الاغريقية " ، ص382
(5) صبحي ، محيي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي، مرجع سابق ، ص 370.

وحيث يشرع الشـاعر في الكشـف عن رؤياه، من خلال استبطان قصة هبوط الإلهام عليه، مسـتعيناً بالحوادث التي وردت في السـيرة النبوية(1)، فيقول:

قالـت : ما أقسـى ، حين يغيب النجم عذاب العاشـق أو حين يموتالبحـر . انتظريني _ قـال المجنون_ وظلي ميتـة بين الموتى واقتربـي من ضوء الشـمعة... قالوا: انطق باسـم الحبوباسـم الله

وتكلّـم واقـرأ هـذا اللـوح المحفـوظ وراء المحرابشـقّ مـلاكٌ صدريأخـرج مـن قلبـي حبـة مسـك سـوداءقال: اقـرأ، فقـرأت وصايـا آلهـة الشـعر المكتوبعلـى الألـواح 2

وعبر المضي في ثنايا القصيدة، يتبدى لنا بوضوح أن قضية العشـق والحـب ، في رؤيا البياتي، تنطلق من رؤيـا الصوفيين لها، والمتمثلة في الاتحاد مع المعشـوق ، والتحوّل عن الذات الإنسـانية. و" للحب عند البياتي سـمة بارزة هي القوة الموحدة التي تربط بين الشاعر والكون ،وتصل ما بينه وبين الآخرين وتخلق علاقة بين الواقع واللاواقع ،ولكن مجاورته للكره تجعل قوة التوحيد "أملاً " لا حقيقة ، ذلك لأنه محتاج للكـره من أجل الثورة ،ولهذا فإنه حين يحس نوازع النقمة والغضب على الفسـاد والشرور ينكمش الحب إلى حد التلاشي ...وحين يفسـح الغضب للحزن الصوفي تتسـع دائرة الرؤيا ، ويصبح الحب قوة كونية خفية لاتبيد ويمثـل الحبيبان طرفي المعضلة اللذيـن لا يلتقيان أعني الانتظار والبحث ...فالخلود دون اتحاد بالحب هو موت أيضاً ...هذا الحب الذي جعله البياتي مستحيلاً كما جعله بديلا عن

(1) انظر ، صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي ، مرجع سابق ، ص371 .
[2]) البياتي ،عبد الوهاب ، "القصيدة الأغريقية " ، ص382-384 .

كل اخفاقات الحب في الواقع ، هو نفسه مطلب حياتي ، وجودي ، فلسفي ، لدى الشاعر الحديث ؛ ولهذا فإنه يتأتى له ،ويحاوله ،عامداً أو مداوراً من زوايا مختلفة "1 يظهر ذلك من خلال ما توحيه المفردات والتراكيب من دلالات وإشارات صوفية ، مثل (عذاب العاشق، انطق باسم الحب، اقرأ، المحراب، شق الصدر، حبة مسك سوداء، الألواح ، العشاق الشهداء ، آلهة الشعر الصافي ...) التي تجعل للغة التراثية حضورها المشهود في هذه القصيدة، وفي العودة إلى متن القصيدة ، نجد من الشواهد ما يؤكد مصداقية الحكم بسطوة التشكلات اللغوية والصورية المنتزعة من سياقاتها التراثية المحملة بالإشارات، والرموز والدلالات الصوفية. والظاهرة عينها ماثلة في قصيدة "قمر شيراز"، فظاهرة اللغة والأخيلة التراثية المفعمة بالدلالات، والمعاني الصوفية لا تختلف فيها عن سابقتيها0 يظهر هنا أن لغة الصوفية هي" لغة كشف وليست لغة وصف ، والمتصوفة العرب قد مزقوا الخطاب الشعري القديم من الداخل وخلقوا نمطاً جديداً في الكتابة - وهي تتحرك في فضاء عربي – ولغة الكشف تتماشى مع مهمة القصيدة الجديدة التي تحاول أن تعري الواقع وتمسك بدواخله ؛ فلغة الصوفية" تقف على عتبات الكون وتحاوره في نبرة موغلة في الشفافية توحي بتلك الرغبة المتوهجة في تجاوزالاغتراب ،اغتراب الإنسان عن ذاته وواقعه اللامرئي ، محاولة أن تلغي الحدود الوهمية القائمة بين الأنا والمطلق.2"

إن التراث اللغوي يظهر بدءاً من عنوان القصيدة الذي منحته للديوان (قمر شيراز) التي تتناصف العنوان هي: بلدٌ عظيمٌ مشهورٌ معروف مذكور يتردد في التراث الأدبي والتاريخي(3).ويمضي مطلع القصيدة على هذا النحو :

أجرح قلبي، أسقي من دمه شعري، تتألق جوهرة

[1]) عباس ، إحسان ،اتجاهات الشعر العربي المعاصر ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،عالم المعرفة ،الكويت ،1978 ،ص189-191 .

[2]) اليوسفي ، محمد ، في بنية الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص152-153 .

(3)الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979، ج3، ص 310-311.

في قاع النهر الإنساني، تطير فراشاتٌ حمرُ1

أخفي فاجعة تحت قناع الكلمات أقول لجرحي"لا تبرأ" ولحزني "لا تبرد" وأقول "اغتسلوا بدمي" للعشاق 2

إن المطلع (أجرح قلبي...) هذا "يتناص مع قول أبي شبكة الشهير (أجرح القلب واسقِ شعرك منه)، وأما قوله: أقول لجرحي "لا تبرأ" ولحزني "لا تبرد" وأقول "اغتسلوا بدمي" للعشاق ، فيتناص مع قول الحلاج ، حيث ورد في نهاية قصيدة "رماد في الريح": (الموعد لن يفوت ،والجرح لن يبرأ ،والبذرة لن تموت)، أما الخاتمة النهائية فتذكر ، بخاتمة قصيدة "المغني والقمر " (وجدوني عند ينابيع النور قتيلا ،وفمي بالتوت الأحمر والورد الجبلي الأبيض مصبوغا وجناحي مغروساً في النور)(3).

وحين تنثال هذه الشواهد ، في قصائد قمر شيراز، على هذا النحو، فإنها تكشف عن اعتماد الشاعر المرجعية الدلالية ، المتمثلة في اللغة والأخيلة التراثية في بناء جمله الشعرية ،بل في بناء القصيدة كلها و نكون حينئذ بإزاء سمة فارقة من سمات شعر" قمر شيراز" هي الخصوصية اللغوية الشعرية، التي ينطلق من خلالها البياتي، ليكشف عن مكنون ذاته، فتصبح هادياً للوقوف على النماذج اللغوية والتصويرية في هذه النصوص. فضلاً عما تشي به من المرجعية الفكرية التي يمتح من ينابيعها البياتي متمثلاً لبطله النموذجي.

[1]) البياتي ، عبدالوهاب ، قصيدة "قمر شيراز " ،ص390 .

[2]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة قمر شيراز ، ،ص392 .

(3)صبحي ، محيي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي، مرجع سابق ، ص 373.

لغة التجديد (لغة كشفٍ) في ((قمر شيراز)):

بدءاً، يكاد يكون من المُسَـلَم به، بين نقاد الشعر اليوم، أن " اللغة هـي مصدر الهزة الشـعرية، التي تصدم وتباغت، وتنعش، وتجسّـد الفاعلية الشـعرية وفنيتها"(1). ومن ثم، فإن هدف الشـاعر أصبح البحث ،عن أشـكال جديدة ومبتكرة للتعبير من داخل اللغة نفسها. مـن أجل الوصول إلى ما يجسـد رؤيـاه ، ويبعـث في متلقيه المتعة والإحسـاس بالجمال والادهاش ، في آن معاً، وقـد يلجأ لتحقيق ذلك إلى خرق المـادة اللغوية، من خلال الافتنـان في التعامل مع المفردة ، و التركيب، والصورة. والبياتي، كغيره من الشـعراء الذين يسـعون إلى الجديـد والمبتكر والمثير والمدهش، لا بد له من أن يسـلك شـيئاً من سـبل الخرق، ولكن في مجال التركيب والصـورة بخاصة، حيث بقيت لغته موصولة بالتراث ، بينما كانت الحداثة تكمن في أسـاليب الطرح ، وتحميل المعنـى في التركيب الغريب، والصـور المبتكرة. ويمكن من ثـم الحكم بأن لغة البياتي لغةُ كشـف وتمحيـص لقضايا متخفية في ذات اللغة0 وفي شـعر عـلى هذا النحو الخاص مـن التركيب ، يكون من المتعـذر حقاً ، على الباحثين عن لغة الحديث اليومي في الشـعر العربي المعاصر، أن يجدوا ضالتهم هذه في شعر البياتي، الذي بلغ غاية التسـامي والصفاء مع ديواني البياتي (كتاب البحر ، وقمر شـيراز) (2) على سبيل المثال .

على هذا النحو من التسامي والصفاء والتجلي، تكون حداثة اللغة عند البياتي، وتبرز ظاهرة التجديد، إنها بحق حداثة كشـف ومطارحة ، بوسـاطة اللغة المتسامية، وبألفاظها وتراكيبها ، التي " تختزل كيانها المادي ، أي جسـدها الـذي يمور بالحركة والشـهوة ، وينضح بالغنى والدلالـة وهنا يصدق القـول أن في كل قصيدة عربية عظيمة قصيدة ثانية هي اللغة "(3).

وإذا كان إبداع البياتي، في قمر شـيراز، قائماً أصلاً على الإبداع، فإن هـذا الإبداع يتجسـد في الصراع بـين الموروث والمحـدث، في لغتيهما وصورهما، حيث يتجلى هذا

(1) العلاق ، علي جعفر ، في حداثة النص الشعري، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2003 ، ص23
(2)الشرع ، علي ، لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي الحديث،مرجع سابق ، ص 34.
(3) العلاق ، علي جعفر ، في حداثة النص الشعري ،مرجع سابق ، ص 23 .

الصراع، من خلال التعارض بين اللغتين ، ومن ثم الخروج من ذلك بهذه الخصوصية الشعرَية، ذلك أن "الإبداع معركة داخل ساحة اللغة والموروث، محاولة للقفز بعيداً ، لقسر اللغة على التجدد "().

وفي مثـل هذا النمط من الإبـداع ، كان لا بد للبياتي أن يبتعد عن لغة الوصـف المجرّدة، التي ترد أفقيّة المعنـى، فهو يبحث عن البُعد العمـودي للكلمة، من أجل سـبر غور المعنى، الـذي يختاره ، فلغته لغـة الذات الجماعية التي تطرح ذاتهـا ، من خلال تاريخها المتجدد" إذا كانـت لغة الوصف لغة الأنا الجماعية الكاملة المعصومة، فإن لغة الكشـف هي لغة الـذات الجماعية التي تتكامل عـبر التاريخ تتفجر طاقتها وأبداً يتلمس وجهها العميق الحي"().

فلغة الكشـف هي لغة البحث عن النموذج، البحث عن الإيحاء ، من خلال التاريخ والحـاضر، هذا الحاضر الذي يرتبط بحبلٍ سري مع الماضي، لذلك لا بد من طرح الرؤى، لتبـدأ الحركة المتجددة وليأخذ التاريخ مساره ، كما يجب أن يسار، وليس كما يسير "إن لغة الكشف هـي التي تضيء التجربة التاريخية للجماعة، وتطرح الأسـئلة وتبتكر الرموز، وتستشرف المستقبل().

وعـلى وفق هذه المقاربة ، تكون حداثة اللغة والصورة عند البياتي ،كما أسـلفت ، هي حداثة الكشف والبحث والبعث للنموذج الفكري ، من خلال اللغة ، التي تسـاير الرؤيا. ومن ثم يكون مشروعاً الحكم بأن لغة قمر شـيراز مستحدثة ، قوامها الكشف والتجلي، وهذه بعض إشـارات إلى جوانب هذه اللغة المسـتحدثة نلتقطها من قصائد قمر شـيراز. ففي قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" يتجلى واضحاً أن هذه القصيدة، بمجملها وبما فيها من لغة ، وصور هي كشف لحياة الحلاج ومأساته ، التي عاناها: يقول البياتي:

(1) سعيد ، خالدة ، حركية الإبداع ،دراسات في الأدب العربي الحديث ، دار العودة ،بيروت ،ط2 ،1982 ،ص13.
(2) سعيد ، خالدة ، حركية الإبداع ،دراسات في الأدب العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص 17.
(3) سعيد ، خالدة ، حركية الإبداع ،دراسات في الأدب العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص 18.

في أحواض الزهر وفي غابات طفولة حبي، كانالحلاج رفيقي في كل الأسفار، وكنا نقتسم الخبزونكتب أشعاراً عن رؤيا الفقراء المنبوذين جياعاًفي ملكوت البناء الأعظم، عن سرّ تمرّد هذاالإنسان المحترق شوقاً للنور، المحني الرأسإلى السلطان الجائر، كان الحلاج يعود مريضاًوينام سنيناً ويموت كثيراً ويهز القضبان الحجريةفي كل سجون العالم0 قال الحلاج: "وداعاً"فاختفت الأحواض. وداعاً! غابات طفولة حبيبسيصير الماء دموعاً والموت رحيلاً في هذا المنفهذا عصر شهود الزور، وهذا عصر مسلات ملوكالبدو الخصيان – الدول الكبرى – الجنرالات -الآلات...1.

إذا مـا حاولنا أن نختار بعض المفـردات والتراكيب، التي يطل من خلالها الكشف نجد:

- الحلاج رفيقي في كل الأسفار
- نقتسم الخبز
- نكتب أشعاراً عن رؤيا الفقراء والمنبوذين جياعاً
- سرّ تمرّد الإنسان
- المحني الرأس
- السلطان الجائر

[1]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج " ، ص374- 375 .

تمثـل هذه التراكيب، وما شـابهها، في هـذه القصيدة والقصيدتين الأخريين "القصيدة الإغريقية"، و "قمر شـيراز" مفاتيح الكشـف عن البُعـد التاريخـي، ومحاولة إضاءة هذه التجربـة للجماعة، عبر طرح الأسـئلة وابتكار الرموز واستشراف المستقبل ، من خلال بعث التجربة التاريخية.

أمّا "القصيدة الإغريقية" فتكشف لغتها عن تجربة العشق الصوفي والمكابدة والاتحاد مع المعشـوق ، التي تمثل ،في رؤيا البياتي ، الاتحاد مع المبدأ وتقديم حال الإنسـان، وأما قصيدة قمر شـيراز ، فهي تمثل أيضاً كشـفاً لماضي يجهد البياتي نفسـه في محاولة تجديده، من خلال الإلهام والبعث من جديد، " الذي يندمج بالعشـق ، لأن الشاعر دائماً هو عاشـق أبـدي في مفهوم البيـاتي أو أن الحب يفضي إلى العشـق وكليهما يفضي إلى الشعر والعكس صحيح "01

ومـا إن نمـضي في تضاعيف قصائد" قمر شـيراز" حتى نكون بإزاء ظاهرة تحديث أخرى للغة الشـعرية ، تلك هي كثرة استخدام الفعل المضـارع، التي رصدها يوسـف اليوسـف ، إذ يقـول: "وفي هذا الجو الدرامي المشحون بالتوتر والقلق يزدهر الفعل المضارع الحامل الأكبر للقصيدة المعاصرة، وعماد الفاعلية النفسية المشحونة بالاضطراب"(2). وبعد التتبع لهذه الملاحظة القيّمة ، في ديوان قمر شيراز، ظهر صدقها جليـاً، وفي إحصاء الأفعال المضارعة من خلال بداية الجملة الشـعرية الكاملة للاستدلال ظهر ما يأتي:

- في المقطـع الأول مـن قصيـدة : "قـراءة في كتاب الطّواسـين للحلاج": 3

أصرخ... أقرّب... أموت غريقاً... أموت وأطفو... أبني وطناً... أقرب وجهي... أسـقط... يُبنى حولي... يعلو السـور ويعلو... تلتف حبالاً.... أصرخ مذعوراً... أنفى... تـأكل لحمي... أقرّب وجهي.... أرى... يغيب النجم القطبي... وينبح كلب...

[1]) صبحي ، محي الدين ،الرؤيا في شعر البياتي ، مرجع سابق ،ص372 .
(2) اليوسف ، يوسف ، الشعر العربي المعاصر، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1980 ، ص 23.
[3]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج ، ص372 0

وهكذا في سائر القصيدة تظهر غلبة الفعل المضارع واضحة جليّة ، وهذا الفعل مفعم بالحركة والتجديد والمواصلة والتطلع إلى آفاق الحدث، أما في "القصيدة الإغريقية" فقد ظهر إلى جانب الفعل المضارع فعل الأمر، الذي يشترك معه في الدلالة على الحضور والمستقبل، وللاستدلال على حضور هذا الفعل يمكن الاستئناس بما في المقطع الأول من القصيدة:

قالت... حين يغيب النجم... أو حين يموت... انتظريني... وظلي... واقتربي... الله يرانا ويرى... اقتربي... انتظريني...

على أن سطوة الفعل المضارع على البناء الشعري ظاهرة ففي قصيدة "قمر شيراز" تظهر غلبة الفعل المضارع، على نحو ما حدث في قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج"، وهذا ما يمكن أن يكشف عنه المقطع الأول من القصيدة 2:

أجرح قلبي...أسقي... تتألق جوهرة... تطير فراشات... تولد من شعري... يتوهج في عينيها ... تنبت أجنحة... فتطير... لتوقظ... في الليل تطير... تحاصر نومي... تجرح قلبي... تسقي... أتعبد فيها... فأرى مدنا... يتوهج سحر.... يقتل من يدنو أو يرنو أو يسبح.... أرى كل نساء... أتملكها، أسكن فيها، أعبدها ، أصرخ.... يتكسر ....

وعبر تواصل الألفة لقصائد قمر شيراز، يظهر أنها قصائد متوترة ، تعبر عن موقف يبحث عن الكشف والتغير، ليطرح لنا ماضياً له مقومات يراها الشاعر ذات بروز فكري ، يشكل مثابات هداية .

ولا مراء في أن التوتر متأتٍ ،على نحوٍ أو آخر ، من وجود فعل الأمر وتكراره في القصيدة الأغريقية مما يمكن معه القول : إن هذه القصيدة تصل إلى ذروة التوتر والطلبيّة ،

[1]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة " القصيدة الإغريقية "، ص 382 0
[2]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قمر شيراز " ، ص390 0

من أجل التغير والتبدل الفكري ومحاولة التحول ، من خلال استخدام الميثولوجيا العربية الإسلامية الصوفية ، وتقديمها في قالب شعري بسيط نسبياً(1).

توظيف اللغة الصوفية في ديوان ((قمر شيراز)):

إذا كان توظيف اللغة الصوفية سمة مشهودة ، لدى فريق من الشعراء المجددين ، فإن البياتي في طليعة الشعراء ، الذين أبدعوا في توظيف اللغة الصوفيّة في شعرهم ، مستثمراً ما تحتويه هذه اللغة من إشارات ورموز ومصطلحات وتراكيب خاصة ، ترفد التجربة الشعرية بطاقات فكرية ورؤيوية معبرة، ويأتي توظيف اللغة الصوفية في القصيدة الحديثة ومن ذلك شعر البياتي ، لوضع القصيدة في طريق البعث والتجديد للإنسان المعاصر، لأن الصوفية: "تصل القصيدة الجديدة بالموروث الثقافي العربي ، فهي وسيلة مرجعية ، وانطلاق في الوقت نفسه .

ثم إن لغة الصوفية لغة كشف ، وليست لغة وصف ، فبذلك هي تضيء التاريخ ،وتبحث عن الذاتية الجماعية، والوعي الجمعي لسر الوجود ، وعن النموذج الباعث في حياة الشاعر.واللغة الصوفية تقف على عتبات الكون، تحاوره في نبرة موغلة في الشفافية، فهي تبحث عن الدمج بين الشاعر وتاريخه وحاضره.

إن الشخصيات الصوفية ، التي تستدعيها القصيدة الجديدة مثل الحلاج... لم تكن شخصيات منفعلة في عصر ما بقدر ما كانت فاعلة فيه"().

وهكذا لم يكن تعويل البياتي على اللغة الصوفية، في بناء قصيدته، انسياقاً وراء بدعة جديدة ، أو تظاهراً بالقدرة على توظيفها ، أو مجاراة لنمط وجداني، بل كان اعتماده اللغة الصوفية من أجل التفعيل ، والربط الحضاري ، ومحاورة الكون والإنسان 0 ولعل هذا واضح في قصائد "قمر شيراز" بخاصة.

(1) صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي، مرجع سابق، ص 372.
(2)اليوسفي ، محمد ، في بنية الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق ، ص153

أما قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" فما هي إلا تعبير عن مصير العاشــق ومصير الشاعر المتطابقين ، وكشف معاناتهما، ما يؤدي في النهايــة إلى التماهي بينهما خاصة و"أن الرســالة واحدة().فالحلاج ذاته صوفي ، وهو رفيق البياتي ، كما يقول:

في أحواض الزهر وفي غابات طفولة حبي ،
كان الحلاج رفيقي في كل الأسفار...
فلماذا يا أبتي صَلب الحلاج؟000
الإنسان المتحرّق شوقاً للنور000
يصير الحبُّ عذاباً000
كل الفقراء اجتمعوا حول الحلاج وحول النار

في هذه التشكيلات اللغوية والصورية،من قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين" تتجلى اللغة الصوفية ببهائها المتسامي ، معبرة عن الاندماج والحب والشــوق والاحــتراق، وهذه اللغــة ، بالمواصفــات الصوفية والوجديــة عينها ، هي عماد بنية "القصيدة الإغريقية" ، حيث يجمع الحب والتحول في الرؤيا0 وغير بعيد عن العيان أن كل ما تدور حوله هذه القصيدة هو محاولة بعث جديدة للشاعر، ومحاولة التماهي مع العالم الصوفي في عالم الإلهام والاتحاد والتسامي.

وفي قصيدة "قمر شــيراز" لا تختلف اللغة ، في دلالاتها وإشــاراتها الصوفيــة وصورها الوجدية ، عن اللغــة في بقية قصائد الديوان ، من حيث توظيفها اللغة الصوفية العشقية في التعبير عن التجربة الذاتية، حيث يظهر بُعد العشــق الصوفي الكاشف عن ذاتية صاحبه على نحو ما يبدو في مطلع القصيدة.

(1) صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي، مرجع سابق ، ص373 .
[2]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين ، ص374-375 .

أجرح قلبي، أسقي من دمه شعري، تتألق جوهرةٌ في قاع النّهر الإنساني، تطير فراشات حمر، تولد من شعري، امرأة حاملة قمراً شيرازياً في سنبلة 1

فهنا يعود الشــاعر، في قصيدته هذه ، ليعيش مع عشــق الحلاّج، وصدر الدين الشيرازي 2 ، في عذابهما ومأساتهما العشقيّة، في محاولة الاتحاد والحلول في ذات المعشوق.

ومــن خلال مــا مرّ من شــواهد ، يكون الحكم يســيراً بأن البياتي اســتطاع توظيف اللغة الصوفية ليبعث من خلالها نماذجه التاريخيّة، ويكشــف عن مكنوناتــه الداخليــة ،في واقع نعيشــه، ويجب خرقه وتجاوزه ، كما يرى البياتي "الفنان الحق أو الشاعر الحق لا يُعبر فقط عن الواقع لأن تجربتــه في الحقيقة متصلة دائماً بالواقع المباشر، لكنه في الوقت نفسه يتجاوز هذا الواقع"(3).

اللغة والغموض:

إذا كان الغموض قد أصبح ظاهرة ، منذ عصر أبي تمام، فإنه غدا اليوم من إشكاليات القصيدة الحديثة ، حتى صار حلية يتباهى بها الشــعراء ، وغدت نصوصهم أحاجي ومعميّــات، تلقي على المتلقي عبء التأويل والتفســير، تشــفع له بذلك بعــض نظريات التلقي ، التي تضع على كنف القارئ عبء إعادة إنتاج النص.فالغموض أدى إلى خلق فجوة كبيرة بين الشــاعر والقارئ ، وإلى جدل مســتمر بين الشعراء والقراء والنقاد ، وحول لغة هذا الشعر

[1]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قمر شيراز " ،ص390 .
[2])يعتبر صدر الدين الشيرازي (979 –1050ه) خاتم الفلاسفة المسلمين جمع بين فرعي المعرفة النظري والعملي ينسب إليه نهج الجمع بين الفلاسفة والعرفان والذي يسمى بالحكمة المتعالية كان طرحه متطورا جدا وفاق حدود عصره مما صعب على معاصريه أن يقبلوه فلاقى من معاصريه صنوف المضايقات بسبب ذلك فكفر ورمي بأبشع التهم حتى طرد من بلدته ،فما كان منه إلا أن هجر القوم إلى القرى النائية منقطعاً إلى الرياضة الروحية حتى تجلت له العلوم الباطنية فعاد على البشرية بحكمته المتعالية يعرف بصدر المتألهين . الحسني ، عبد المنعم ، الموسوعة الصوفية ، مرجع سابق ، ص147 .
(3) البياتي ، عبد الوهاب ، تجربتي الشعرية ، مرجع سابق ، ص36 .

،وحـول ما إذا كان هـذا الغموض المتصف به متكلفـاً أم عفوياً ."1 ويأتي غموض النص الشـعري من قبل اللغة ، والتركيب ، وخفاء المعنـى ، والخرق اللغوي ، وتعمد الإغـراب ،وعدم وضوح الدلالة في ذهن المبدع . كما يأتي الغموض من قبل الرؤى الفلسفية المتشابكة أو التي تنطلق من مواقف معقدة تجاه الحياة والإنسان أو التي تستلهم التحديـات الضارية التي باتت تحاصر إنسـان اليوم .ثم " الرقابة على الشـاعر تجعله يمارس لعبة التغميض ويدخل شعره في إحالات بعيدة تسـتعصي على الفهم."2 . أما عبد الوهاب البياتي نفسـه فيلقي تبعة الغموض على الجمهور وأميته، وعلى الشـاعر وقصور رؤياه، إذ يقول "أمّا: غموض التعبير فيقاس بالنسـبة إلى ثقافـة الجمهور، فالجمهور أمي، وأمية المتعلمين أدهى وأمر... ومن أسباب الغموض قصور الرؤيا لدى الشـاعر، وعجز أدواته الفنيّة، ونزوعه إلى التعبير عن تجارب لا يشترك فيها عددٌ كبيرٌ من الناس ..حتى الناقد يقرأ القصيدة في البداية ، ويعجب بها ثم يبدأ في تشريحها كي يستدل على معاني الجمال الكامن في القصيدة . بعض النقاد يشـتطون فيمزقون القصيدة ويقتلونها بدلاً من أن ينتزعوا لؤلؤة المستحيل الكامنة داخلها .. ويدخلون في متاهات ونظريات لا يمكن الاسـتفادة منها إطلاقاً "3. ويقول في كتابه "تجربتي الشـعرية" :"الحقيقة انّ الأزمة ليسـت قائمة ،في الشـكل الشـعري، بقـدر ما هي قائمة في وجود الشـاعر أو عدمه . وإن وجود الشـكل الشـعري التقليدي الحديث لم يمنح عديمي الموهبة قبسـاً واحداً من نار بروميثوس"4

وفي تفسـير ظاهرة الغموض لدى البياتي ، يقول الدكتور إحسـان عباس: "إن النغمة اللغويّة انزلقت عن وضعها القديم، فصارت تعتمد التناغـم وليس الطرب، كما أن طريقة تلقي التجربة اختلفت، فالعربي يتصـور أنه يصل إلى الشـعر عن طريق الفهـم ، في حين أن القصيدة الحديثة تصوّرُ شاعري لقضية إنسانية، بكيفية معينة"5.

[1]) سليمان ، خالد ، أنماط من الغموض في الشعر العربي الحديث ، منشورات جامعة اليرموك ، الأردن ،1987 ، ص20 .
[2]) الخولجة ، دريد يحي ، الغموض الشعري في القصيدة العربية الجديدة ، دار الذاكرة ،حمص ،ط 1 ، 1991 ، ص90-91 .
[3]) حوار أجراه محمد بن سليمان الحضرمي مع البياتي تحت عنوان أنا صانع الحداثة ..ولست منظرا لها ، ضمن كتاب عبد الوهاب البياتي، " كنت أشكو إلى الحجر" ،المؤسسة العربية لدراسات والنشر ، الأردن ،ط1 ،1993 ،ص133 .
[4]) البياتي ، عبد الوهاب ، تجربتي الشعرية ،مرجع سابق ،ص43 .
[5]) عباس ، إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ،مرجع سابق، ص56 .

مـن خلال عرض هذه الآراء ، نجد أن الغموض من أسـبابه ثقافة الجمهـور، وقصور الرؤية، وانزلاق النغمة اللغوية عن وضعها القديم، واختـلاف هـدف القصيدة الحديثـة المتمثل في التعبـير عن موقف شاعري بكيفية معينة.

ويظهر، من خلال عرض هذه الأسباب ، أن غموض البياتي، في ديوان "قمر شـيراز"، ليس غموضاً نابعاً من اللغة المستخدمة، بل من الطرف الآخـر، أي الجمهـور، فما يعـبِّر عنه ديوان قمر شـيراز – في القصائد موضـوع البحث – هو رؤيا لشـاعر متمكن من رؤيـاه ، ومن لغته، ولكن لا تجد هذه الرؤيا ولا هذا الطرح مسـاحة جمهورية واسـعة، فـلا بد من ثم من إقامة جسر ثقافي لـردم هوة الانفصال بين المبدع والمتلقـي، لتحقيق التواصل والاندماج مع ذات المبدع وبغياب ذلك يكون المتلقي بأزاء نص مغلق ، وبما أن كل نص فني يقدم مسـتويين: مسـتوى إخبارياً، ومسـتوى إشـارياً غير مباشر، هو ما تزخر به اللغة الشـعرية، فيما وراء المؤدى المباشر، ويكـوّن نظام العلاقات الدلالية والإيقاعية في النـص"(1). فمن الطبيعي في مثل هذه الحال أن يكون الغمـوض غير المباشر ملازماً للنص الشـعري، لكـن، من المشروع أن نتسـاءل :هل يعني الغموض القصور ،أم عدم القدرة من المتلقي على التماهـي مع النص، والخروج منه بموقـف فكري معين؟ إن الغموض المقصود ، في هذا السـياق ، هو قصور المتلقي عن اكتشـاف مكنون النص ، وغياب معرفته بما يتضمن من دلالات ومن معانٍ.

من خـلال هذا الفهم، يمكـن الخلـوص إلى أن الغموض في" قمر شـيراز" ليس غموضاً لغوياً ، بل هو غموض فكري، لا يستطيع المتلقي اختراقـه والوقوع عـلى أسرار معانيه ، إلا من خلال الارتفاع إليه ، عبر الثقافـة المتخصصة والعميقة . وتشـتد مثل هـذه الحاجة، إذا كانت النصـوص محملة، بالإشـارات والرموز والإيمـاءات ، وقائمة أصلاً على الاصطلاحـات ، كـما هي الحال في النصوص الصوفيـة ، أو التي تنحو منحاها كما هي الحال في قصائد قمر شيراز

(1) سعيد ، خالدة ، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث ، مرجع سابق، ص 58.

، وهي كلها ذات نزعة صوفية . وفضلاً عن ذلك، فإن هذا الغموض لا بـد منه بل هو مطلوب قصداً حتى يعطي النص نوعاً من العصمة الفكريـة والرؤيوية، فشـعرية النـص هي التي تؤهلـه إلى أن يرقى مراقي ليسـت بالمسـتوى المتداول والعادي، هذا الشيء أصبح واقعاً لأن القصيدة " ليسـت بنتاً شرعية للعقل فقط ، بل هي نتاج يتداخل فيه الحدس والعقل والانفعال ومركبات غريزية منبثة في الضمير العام للعقل البـشري ،وعلى ذلك فـإن القصيدة الشـعرية تقوم على نقل الانفعـال وتوصيلة للقارئ وهذا التوصيل يعتمد على مدى المودة بين القارئ والشـاعر. (1). لقد اسـتثمر البياتي طاقاته الكونية والوجودية بشـخصياته ،فقد "خلق بها مجموعة من الجدليات والمتناقضات مع الواقع ، والتي تتطور مع رؤيته وثقافته ووعيه الذاتي الجماعي وخلاصة تجاربـه التي تحيل -دائما -إلى مرجعيـة حضارية وميثولوجية قديمة وتاريخية وأدبية وصوفية وفلسـفية ، تفتح فضاء جديداً للقصيدة ، وأبنيتهـا وأنماطها وتقنياتها ، والتي تحقق التكامل بين حركة القصيدة ودوراتهـا، ورمزيتهـا "2 فالقصيدة أوالعمـل الإبداعي هما وحدهما القادران عـلى قهر التاريخ والموت كما أنهما يهزمـان الزمن ..فالزمن الشـعري يحل في القصيدة لـكي يصبح زمناً كلياً أي أنـه يضم الزمن التاريخي بأبعاده الثلاثة الماضي والحاضر والمسـتقبل "3 . ولا بد من الالتفات إلى أن مفردات التشكيل اللغوي ، لدى البياتي ، محملة بظلال رمزية ومجازية وأن وجودها في التشكيل الصوري يزيد ظلالها عتمة .

(1) عيد ، رجاء ، دراسة في لغة الشعر (رؤية نقدية) ،منشأة المعارف ،الأسكندرية ،1979 ، ص43 .
[2]) عباس ، محمود جابر ، الشاعر عبد الوهاب البياتي من مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني الى مرقد الشيخ محي الدين بن عربي ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ،الأردن ،ط1 ، 2001 ، ص137-138 .
[3]) البياتي ، عبد الوهاب ،تجربتي الشعرية ،مرجع سابق ، ص10 .

الخيال والتصوير:

لم يؤثر عن البياتي أنه شاعر صورة ، كما أُثر عن السياب وعن نازك ، على الرغم من أنه شـاعر قصيدة حديثة بامتياز ، تتوافر فيها عناصر الإبداع والجدة 0

ولا يعني كونه ليس شاعر صورة غياب الصور في قصائده تماماً ، بل يعني أن صوره " لم تكتسب دلالات جديدة ، ولم تظهر داخل السياق الموضوعي للقصيدة المعـاصرة ، لتقدم بالتالي حالات ودلالات مغايرة لمـا كانت تعنيه في التراث ،الـذي تسربت منه " 1 0 والحديث انصب هنا على الصورة التراثية بالذات ، وإن كان يشمل الصورة بعامة ، ذلك أن طبيعة قصائد" قمر شيراز" ذات صبغة تراثية ، على نحو أو آخر 0

والمقصـود بالصـورة ، في هذا السـياق ، المشـهد الذهني المحدد الذي يلعب خيال المبدع في رسمه ، أي الصورة الجزئية المحددة بهذا المشهد0 والصورة الجزئية هذه تتطلب براعة ودقة لرسمها فضلاً عما تتطلبه من خيال 0

غـير أن البياتي الذي لم يبدع في هـذا النمط من الصور لجأ ، على نحو ما سيظهرفي البحث ، إلى الصور الكلية الشاملة التي لا تحتاج إلى براعة ودقة في رسمها كما تحتاج الصور الجزئية ، بمعنى أن صور البياتي لا تعتمد المجاز والاستعارة على نحو رئيس كما تعتمدهما الصور عند السـياب ونازك والشـعراء المبدعين بعامة ، ذلك " أن الشعر من غير المجـاز يصبح كتلة جامدة ، لأن الصور المجازية هي جزء ضروري من الطاقة التي تمد الشعر بالحياة " 2

إن الخيال والتصوير، في القصيـدة الحديثة، أخذا يختلفان اختلافاً كليـاً عما هما عليـه في القصيدة العموديّة. وهـذا الاختلاف متمثل بدءاً في المساحة التي تشغلها الصورة في القصيدة الحديثة ، إذ تتناسل الصور والرؤى المتخيّلة عبر هذه القصيدة ، في بعض الأحيان ، لتشغل حيزاً كبيراً فيها ، يمكن أن يصل إلى مسـاحة القصيدة كاملة، في حين لا يتجاوز التعبـير عنها في القصيدة العمودية مدى بيتٍ أو بيتين .هذه الخاصية في القصيدة الحديثة ،

[1]) اطميش ، محسن ،دير الملاك ، مرجع سابق ،ص277 .
[2]) درو ، اليزابيث ،الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة محمد ابراهيم الشوش ،بيروت ،1961 ،ص59 .

جعلت الصورة فيها من مقوماتها الرئيسة ، التي يعتمد عليها الشاعر في تفريغ تجربته الشعورية ، ورؤياه الشعرية "فلم تعد الصورة ، من ثم ، كما هي الحال في القصيدة التراثية، أي لم تعد مجرد عنصر عرضي ، أو شذرة صغيرة ما تلبث أن تنقطع. بل أصبحت تمتد وتنداح مترامية حتى لتكاد تشمل القصيدة برمتها . فالصورة الشعرية في حالات كثيرة مقصودة ومتوخاة ، لما يتخيل فيها من قوة الدلالة بقدر لا تستطيعه المفردات أو التراكيب ، حيث تغدو الدلالات المعهودة في المفردة اللغوية مجرد نقطة انطلاق لدلالات أوسع أو لدلالات مناقضة مع ما عهدته المفردة أو ألفته ".وبما أنها أخذت ترتكز على مبدأ التراكيب والتكثيف فقد أصبحت أقرب إلى الرمز منها إلى الاستعارة .

وإذ يكون شعر البياتي برمته في صميم الحداثة ، ويتمتع بسماتها الجديدة ، لذا نجد الصورة في قصائد "قمر شيراز" أخذت تتزيا بسمة الشمولية والكلية ، مستحوذة على الجمل الشعرية ، خلال القصيدة كلها ، حيث تسبح هذه الصورة بجزئياتها ، داخل أجزاء القصيدة ، لتشكِل الصورة الجامعة لحركة القصيدة ، أو العصب الرئيس داخل بنية القصيدة . يظهر ذلك ، في أجلى حالاته ، في قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" ، حيث تتصدر مستهل القصيدة صورة الشاعر التائه الذي يكاد لا يستبين سوى طريقه ،الشاعر السائل في أي مكان يصل إليه، الباحث عمّا هو مفقودٌ منه، يعيش في منفاه مع الفقراء والمنبوذين، رافعاً صوته، مدافعاً عن رؤيته ، متمثلاً الحلاّج في صورة صلبه ، حيث يعرضه أمامنا نوراً يهتدي به الفقراء منتظرين انزياح المجهول.

أصرخ في ليل القارات الست ، أقرب وجهي من سور الصين ، وفي نهر النيل أموت غريقاً ، كل متون الأهرامات معي ، ومراثي المعبودات ... كل الفقراء اجتمعوا حول الحلاج وحول النار في هذا الليل المسكون بحمى شيءٍ ما

[1]) الشرع ، علي ، لغة الشعر العربي المعاصر في النقد العربي الحديث ، مرجع سابق ، ص60 .

1. قد يأتي أو لا يأتي من خلف الأسوار ،

تلك هي الصورة الكلية الشاملة ، التي تتلبس القصيدة ، من أولها إلى آخرها ، تدخل في صلب القصيدة، وفي أصقاعها وثناياها ، لترسم رؤى الشاعر. ولا مراء في أن هذه الصورة الكلية تتشكل من صور صغرى تتضافر عبر القصيدة لتنهض بمهمة تقديم الصورة (الأم) ، يظهر ذلك جلياً في هذه المقاطع من الطواسين: "وأنا قُتلت ،وقطعت يداي ورجلاي ،وما رجعت عن دعواي ." 2 و "الحقيقة دقيقة ،طرقها مضيقة ،فيها نيران شهيقة ،ودونها مفازة عميقة . الغريب سلكها ،يخبر عن قطع مقامات الأربعين ،مثل مقام الأدب، والرهب، والسبب والطلب، والعجب ،والعطب، والشره، والتره ،والصفاء، والصدق، والرفق، والعتق، والتصريح، والترويح، والتمني، والشهود، والوجود، والعد ،والكد، والرد، والامتداد، والاعتداد والانفراد ،والانقياد، والمراد، والشهود، والحضور، والرياضة، والحياطة ،والافتقاد والاصطلاد ،والتدبر، والتحير،والتفكر، والتبصر، والتصبر، والتعبر، والرفض، والنفض، والتيقظ،والرعاية ،والهداية، والبداية : فهذه مقامات أهل الصفاء والصفوية "3.

وعلى المنوال نفسه ، يتم نسج الصورة، وعلى وفق الآليات نفسها، في القصيدة الثانية (القصيدة الإغريقية) ، فالصورة الشعرية الجامعة الواردة فيها تتمثل في صورة العاشق الصوفي، الذي يقاسي ويلات الليل ، عندما يغيب النجم ، الذي يرمز به إلى غياب المعرفة الحقيقية لماهيَة الكون، باحثاً عن هذه الحقيقة في ذات المعشوق ، التي يصورها لنا بكل حركاتها وسكناتها ، من خلال صورة المرأة ، التي تأخذه إلى عالم الغيب ، لتصل به إلى الحقيقة المفقودة، ليجدها في معبد" دلفي" ،من خلال صورة شق الصدر، ومنحه سلاح الكلمة ، التي يعني بها الحقيقة ، من لدن آلهة الشعر .

[1]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج " ،ص372-375 .
[2]) الحلاج ، الحسيني بن منصور ، كتاب الطواسين ،دار النديم للطباعة والنشر ،القاهرة ،1989 ، ص20 .
[3]) الحلاج ، الحسيني بن منصور ، كتاب الطواسين ، مرجع سابق ،ص7-8 .
[4]) دلفي :من المعابد المهمة جداً عند القدماء الإغريق كان ينسب إلى أبولو خلال العصور التاريخية ،على الرغم من أن أسطورة المعبد التي تؤكدها بعض القرائن الأثرية ، تنهي إلينا أن هذا المعبد كان هيكلاً لآلهة الأرض ، رغم أنه كان اكتسب فعلاً صفة العرافة وعلى النقيض مما كان يفعله معظم من كانوا يدلون بنبوءات يونانية ، فلم يكن أبولو يبعث بأحلام منذرة إلى من يسألون المشورة أو

قالت : ما أقسى ، حين يغيب النجم ، عذاب العاشق أو حين يموت البحر000وانطلقت بضفائرها الذهبية تعدو عارية آلهة الشعر المجنون إلى "دلفي " تبكي أقدار الشعراء... منحتني آلهة الشعر الصافي وأنا في درب العودة من "دلفي " البركات وسلاح الكلمات

مثل هذه الصورة لا يمكن تجزئتها، حيث يصل بها تركيبها إلى الشمولية المتناسقة التي تمنح القصيدة هذا التماسك في البناء .

دهمتني ، وأنا في منتصف الدرب إلى "دلفي " صاعقة خضراء ،كنا أربعة : أنا والموسيقيّ الأعمى ودليلي ، ومغني آلهة "الأولمب "الحكماء حملتني في البحر "الأيجي " إلى "دلفي " أشرعة الفجر البيضاء2

وليس بغريب أن يتكرر الشيء نفسه في قصيدة "قمر شيراز" حيث تبدو علائم شمولية الصورة ، منشورة على جسد النص ، لتجسد أمارات التضحية والعشق الصوفي ، من بداية القصيدة إلى نهايتها، حيث تبدأ بجرح القلب والتضحية ، وتستمر لتصل إلى التضحية الكبرى: القتل من أجل معرفة النور، لتنحصر هذه الصورة بين طرفي القصيدة

يستخدم الوسائل الآلية مثل ضرب القرعة أو يلجأ إلى الفأل ذاته ، وكان يوحي مباشرة إلى نبيته (البوثيا) و هو الاسم القديم لمدينة دلفوس بالإجابة عن السؤال المطروح ، فتنطق و هي في حالة غيبوبة بكلمات قد لا تحمل أي معنى على الإطلاق بالنسبة للسائل ، الذي يتسلم بعد ذلك من أحد كهنة المعبد رداً مكتوباً في الوزن السداسي يمثل عادة الترجمة الحرفية لما قالته .
البياتي ، عبد الوهاب ، ديوان عبد الوهاب البياتي ، المجلد الثاني ، دار العودة ، بيروت ، ط4 ،1990 ، ص398-399 .
[1]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة " القصيدة الأغريقية " ، ص382-385 .
[2]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة" القصيدة الإغريقية" ، ص383 .

ضامة جناحيها على جزئياتها.على نحو ما نجده في هذه الجمل الشعرية من قصيدة "قمر شيراز "

أجرح قلبي ، أسقي من دمه شعري .... وجدوني عند ينابيع النور قتيلاً ، وفمي بالتوت الأحمر والورد الجبلي الأبيض مصبوغاً وجناحي مغروساً في النور.

وعبر متابعة الأداء الشعري لا سيما في رسم الصور يمكن أن يلاحظ بيسر أن الخيال والتصوير في قصائد" قمر شيراز" يستبقان للانتشار فوق المساحة الكلية للقصيدة ليعملا على شد مفاصل القصيدة ويسهما من ثم في تحقيق وحدتها العضوية ، لتبدو متماسكة التعبير والبناء ، فضلاً عن أن الخيال والتصوير هذين يمتلكان القدرة على إثارة جدل الحضور والغياب في القصيدة، هكذا تكون الصورة الفاعلة في القصيدة الحديثة قد تحولت إلى أداة كشفٍ للموضوع وتبلور لحالات المواقف.

وعلى الرغم من الدور الذي لعبته الصورة الكلية في بناء القصيدة في ديوان" قمر شيراز" .

وعلى الرغم من اعتماد هذه الصورة الكلية الشاملة على صور جزئية ، تظل الملاحظة قائمة ، حول عدم براعة البياتي في رسم الصورة الخيالية الجزئية المعهودة براعته في رسم التشكيل العام للصورة أو التخطيط لرسم صور شاملة تعينه في بناء قصيدته لا في أداء جمله الشعرية .

[1]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "قمر شيراز " ،ص390-393 .

أثر الأقنعة والرموز في لغة "قمر شيراز"

من تقنيات بناء القصيدة الحديثة استخدام القناع ، وهي أصلاً من معطيات فن المسرح . والبياتي من الشعراء القلّة ، الذين استخدموا القناع بحذق ، فأجادوا استخدامه ، فالقناع بالنسبة للبياتي "هو الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر نفسه متجردا من ذاتيته ، أي أن الشاعر يعمد إلى خلق وجود مستقل عن ذاته ،وبذلك يبتعدعن حدود الغنائية والرومانسية التي تردى أكثر الشعر العربي فيها ... لقد حاولت أن أوفق بين ما يموت وما لايموت ،بين المتناهي واللامتناهي ،بين الحاضر وتجاوز الحاضر ،وتطلب هذا مني معاناة طويلة في البحث عن الأقنعة الفنية"1. ولعل وجود مثل هذا الأسلوب ، في التعبير عن الرؤيا لدى البياتي ، قد فرض عليه مستجدات كثيرة، منها اللغة والتصوير اللذان يناسبان مثل هذا الأداء ، الذي يراه من خلال القناع "ولو عمقنا النظر في الأقنعة لوجدنا أن كلاً منهما فرض على شاعرنا موقفاً يضطره إلى ابتكار الصور التي تلائمه"(2). وهذا ما جعل إحسان عباس يقول "لعل البياتي كان أكثر الشعراء لجوءاً إلى هذه الوسيلة عن وعي عامد، ولهذا نجده يقول في كيفية استخدامه للقناع :" حاولت أن أقدم البطل النموذجي في عصرنا هذا وفي كل العصور (في موقفه النهائي) وأن استبطن مشاعر هذه الشخصيات النموذجية في أعمق حالات وجودها ، وأن أعبر عن النهائي واللانهائي ، وعن المحنة الاجتماعية والكونية ، التي واجهها هؤلاء ،وعن التجاوز والتخطي لما هو كائن إلى ما سيكون "3.

ومن هنا نفهم قصيدة القناع 4 عند البياتي بأنها "وجود مستقل للقصيدة عن الشاعر ،يتخلص به من مشكلة الذاتية في التعبير .ويتمنى الشاعر ، في قصيدة القناع ، التي تنتمي إلى الأدب الدرامي ،من " أن يقول كل شيء دون أن يعتمد شخصه أو صوته الذاتي بشكل مباشر ، لأنه سيلجأ إلى شخصية أخرى يتقمصها أو يَتَحد بها ، أو يخلقها خلقاً جديداً ،

[1]) البياتي ، عبد الوهاب ، تجربتي الشعرية ،مرجع سابق، ص39-40 .
(2) صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي،مرجع سابق ، ص140.
[3]) عباس ، إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص154 .
[4]) البياتي ، عبد الوهاب ، تجربتي الذاتية ، بيروت ،1971 ،ص39 .

وسيحملها آراءه ومواقفه ، تماماً كما يفعل المسرحي الذي يختفي وراء أشخاص من صنعه يتولون نقل كافة ما يريد أن يقوله ، أو يوحي به "1

وهذا المفهوم نجده عند جابر عصفور ، في فهمه للقناع ووظيفته ، في الشعر الحديث ،إذ يعرفه بأنه " رمز يتخذه الشاعر العربي المعاصر ، ليضفي على صوته نبرة موضوعية شبه محايدة ، تنأى به عن التدفق المباشر للذات ، دون أن يخفي الرمز المنظور ، الذي يحدد موقف الشاعر من عصره "2 وفي قصائد ديوان "قمر شيراز" كان القناع الذي استخدمه البياتي، وهو الحلاج نفسه، قد اقتضى لغة وصوراً خاصة ، تناسب هذا القناع ، ففي قصيدة "قراءة في كتاب الطواسين للحلاج" وردت ألفاظ ذات دلالات خاصة مثل:

- الطواسين (في العنوان) _قمر الموت.
- تقطعها واحدة بعد الأخرى – إشارة إلى صلب الحلاج وتقطيع يديه ورجليه.
- فلماذا يا أبتْ صلب الحلاج – إشارة إلى صلب الحلاج.
- الإنسان المتحرق شوقاً للنور – ماهية العشق.

مثل هذه الألفاظ والتراكيب، وهي كثيرة في هذه القصيدة، ما هي إلا نتيجة للقناع الذي استنبطه البياتي، وهو الحلاج الصوفي " الذي أصبح معلماً للفقراء ،ويتحدث من خلاله الشاعر نفسه".ولاعجب فقد "أتاحت فكرة القناع للشاعر المعاصر أن يغوص في التاريخ ويستلهم الأحداث الإيجابية فيه ، وينتقي من خلال مواقف الأفراد الفاعلين والمؤثرين في الماضي ما يلائم مواقفه المعاصرة ، مما يكسب قصيدته أبعاداً شمولية ورحابة إنسانية عامة"4

هذا الفهم لوظيفة القناع نجده عند جابر عصفور ،الذي يرى أنه "غالبا ما يمثل القناع شخصية تاريخية ، صوفيا مثل الحلاج والغزالي ، طبقة أو حاكما مثل عمر بن الخطاب أو صقر قريش ،شاعرا مثل أبي نواس والمتنبي وأبي العلاء ..."ويؤكد جابر عصفور أهمية هذه

[1]) اطميش ، محسن ، دير الملاك ،مرجع سابق ،ص103 .
[2])عصفور ، جابر ،" أقنعة الشعر المعاصر "،(مقالة)، مجلة فصول ،العدد (4) المجلد الأول ، يوليو 1981 ، ص 123 .
[3]) شرف ، عبد العزيز ، الرؤيا الإبداعية ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ،1991 ،ص50 .
[4]) اطميش ، محسن ، دير الملاك ، مرجع سابق ،ص104 .
[5]) عصفور ، جابر ، أقنعة الشعر المعاصر ، مرجع سابق ، ص123 .

الوظيفة التي تؤديها الشـخصية التاريخية أو المنتقاة لترمز للفكرة التـي يريدها الشـاعر ، يقـول : " ... وغالبا ما يتمثل رمـز القناع في شـخصية من الشـخصيات ، تنطق القصيدة صوتهـا وتقدمها تقديما متميزا يكشف عالم الشـخصية في مواقفها أو هواجسها أو تأملاتها أو علاقتهـا بغيرها "1 0وفي "القصيدة الإغريقية" أيضاً كان القناع حادثة شق الصدر التي حدثت للرسول صلى الله عليه وسلم، فمن المفردات والتراكيب التي استدعاها القناع.

قالوا: انطق باسم الحب:

وباسم الله

وتكلم، واقرأ هذا اللوح المحفوظ وراء المحراب

شق ملاك صدري

أخرج من قلبي حبة مسكٍ سوداء

قال: اقرأ: فقرأت وصايا آلهة الشعر المكتوب على الألواح 2

ولا عجـب في ذلك ، فالبياتي نفسـه يرى أن اتخـاذ أبطال التاريخ أقنعة شعرية هو العملية الحقيقية " المقصودة باحياء التراث "3.

والأمر نفسـه يتكرر في قصيدة "قمر شـيراز" فقناع البياتي كان في هذه القصيدة الحلاج أيضاً ، ثم صدر الدين الشيرازي في طرحه لقضية العشق وقد وردت في القصيدة ألفاظ وتراكيب استدعاها القناع منها:

أجرح قلبي، أسـقي من دمه شـعري (إشـارة إلى قول أبي شبكة: أجرح القلب واسق شعرك منه) 4

قمراً شيرازياً => إشارة إلى صدر الدين الشيرازي

حبات العرق المتلألئ فوق جبين العاشق

[1]) عصفور ، جابر ،أقنعة الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص123 0
[2]) البياتي ، عبد الوهاب ، قصيدة "القصيدة الإغريقية "،ص384 0
[3]) مبارك ، محمد ، دراسات نقدية في النظرية والتطبيق ، دار الحرية ،بغداد ،1976 ،ص150.
[4]) صبحي ، محي الدين ، الرؤيا في شعر البياتي ، مرجع سابق ، ص373 .

بدمي يغتسل العشاق

في المنفى شيراز

قولي: للحب: "نعم" أو قولي "لا"

قولي "إرحل" فسأرحل في الحال

قولي "أهواك "

أو قولي "لا أهواك"1

كما قلنا المطلع يذكر بقول" أبي شـبكة (أجرح القلب واسق شعرك منـه) دون أن يحـاول البياتي تمويه اغارته عليـه "2 .لكن هذه المرأة التي تولد من الشعر تغدو معشوقة الشاعر الذي أصبح

مجنوناً بالنهر النابع من عينيها ...

أتملكها ،أسكن فيها ،أعبدها

أسبح من غير وصول للشاطئ ، أغرق سكران

أخفي فاجعة تحت قناع الكلمات ،أقول لجرحي

"لاتبرأ" ولحزني "لاتبرد " وأقول "اغتسلوا بدمي "

للعشاق 3

ويعـود البياتي لقناع آخر: أقول لجرحي (لا تبرأ) ولحزني (لا تبرد) وهي تذكر بخاتمة قصيدة "عذاب الحلاج " : (فالجرح لن يبرأ ،والموعد لن يفوت).

[1]) البياتي ، عبد الوهاب ،قصيدة "قمر شيراز " ، ص391-192 .
[2]) عباس ، إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ،ص373 .
[3]) البياتي ، عبد الوهاب ،قصيدة "قمر شيراز " ، ص390-392 .

وفي ختـام الحديث عن القنـاع ، ومن خلال تبيُن وظيفته، نجد أن القنـاع لدى البياتي ، على نحو ما يقول الدكتور إحسـان عباس ،"يمثل خلق أسطورة تاريخية -لاتاريخاً حقيقياً - فهو من هذه الناحية تعبير عن التضايق من التاريخ الحقيقي بخلق بديل له (الأسـطورة) أو هو محاولة لخلـق موقف درامي ،بعيداً عن التحـدث بضمير المتكلم ... فالحلاج عند البياتي لا يفترق كثيراً عن الخيام الذي يرى أن الإنسان قد ولد من جديد ، كالشجرة الطالعة من الرماد والثلج "

لقد بدا البياتي في قصائد (قمر شـيراز) صوفياً لا على النحو التراثي ، وإن كان اغـترف من التراث كثيراً ، ولكن على النحو الذي يتلاءم مع رؤيا شاعر حديث ، انفعل بأحداث عصره ، وشهد من تحدياتها الكثير ، وكان في تصوفـه الحديث -كما يبدو من قصائده -نوع من المجابهة للتحديات المعاصرة . والاحتجاج على مأساة الإنسان المعاصر.

[1]) عباس ، إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص155 .

مستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية لدى طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي من وجهة نظر المعلمين

د. زياد بركات
أستاذ علم النفس التربوي المشارك

برنامج التربية منطقة طولكرم التعليمية
جامعة القدس المفتوحة

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى مستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي بمظاهر المواظبة السلوكية في المدرسة من النواحي الاجتماعية والتربوية والإدارية وذلك من وجهة نظر المعلمين. ولهذا الغرض طبقت استبانة من إعداد الباحث مكونة من (30) بنداً موزعة بالتساوي على مظاهر المواظبة السلوكية الثلاثة الاجتماعية والتربوية والإدارية، بعد التأكد من صدقها وثباتها، على عينة مكونة من (296) معلماً ومعلمة، وقد أظهرت النتائج أن مستوى المواظبة السلوكية لدى طلبة المرحلتين الأساسية والثانوية كان كبيراً في المجلات الثلاثة. كما بينت النتائج أن مظاهر المواظبة السلوكية الخمسة الأكثر شيوعاً لدى طلبة المرحلتين الأساسية والثانوية كما قدرها المعلمون كانت وفقاً لأهميتها النسبية على الترتيب الآتي: عدم الهروب أو التغيب المستمر عن المدرسة، و الحضور اليومي إلى المدرسة، والانتظام بوقت الحصص الخاصة بالمختبر والمكتبة والنشاط والرياضة، وإظهار اتجاهات ايجابية نحو الزملاء والمدرسة، وعدم التغيب عن الامتحانات، بينما كانت مظاهر المواظبة السلوكية الأقل شيوعاً لدى الطلبة كما قدرها المعلمون على الترتيب الآتي: المشاركة في الإذاعة المدرسية، والانخراط في العمل التطوعي من تلقاء نفسه، وعدم التوانى عن طرح الأسئلة حول المادة التعليمية، والعمل بشغف في حصص النشاط العملي المختلفة، والمشاركة في اللجان الفنية المختلفة في المدرسة. ومن جهة أخرى، أظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً في تقدير المعلمين لمستوى المواظبة السلوكية للطلبة وفي المجالات الثلاثة تعزى لمتغير المرحلة الدراسية وذلك لصالح طلبة المرحلة الأساسية، بينما أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً في تقدير المعلمين لمستوى المواظبة السلوكية للطلبة تعزى لمتغير الجنس.

Level of Commitment to Behavioral Manifestations of Attendance to the Students both Basic and Secondary Schools' Students from the Viewpoints of Teachers

Dr. Zeiad Barakat
Associated Prof of Educational Psychology

Abstract

The purpose of this study is to determine the level of commitment among the students in both basic and secondary schools in behavioral manifestations of attendance in the school of social, educational and administrative domains, from the viewpoints of teachers. For this purpose a questioner prepared by the researcher consisted of (30) items which are distributed evenly over the manifestations of attendance behavior of the three social, educational, administrative domains, after confirmation of the validity and reliability, was applied on a sample of (296) teachers, results showed that the level of attendance behavior among students in basic and secondary stages was moderate in the three domains. The results also showed that the five most common manifestations of attendance behavior among the students of basic and secondary stages as estimated by teachers were, according to their relative importance in the following order: not escape or ongoing absenteeism from school, and daily attendance to school, and attendance time quota laboratory, library, activity, sport, and showing positive attitudes towards colleagues and school, absence from examinations, while the five less common manifestations of attendance behavior among students as estimated by teachers were respectively the following: participation in the school radio, engaging in voluntary action on his own, not weaken asking questions about the educational material, work eagerly in sharing in various practical activity, and participation in the various technical committees in the school. On the other hand, the results showed a statistically significant differences in the assessment of teachers to the level of attendance behavior of students in three areas due to educational stage variable and for the benefit of students in the basic stage, while the results showed no statistically significant differences in the assessment of teachers to the level of attendance behavior of the students due to six variable.

مقدمة الدراسة:

يحتل موضوع تنظيم سلوك الطلبة ومواظبتهم في المدارس مكانة مهمة في الإدارة التعليمية؛ فهو جزء من التربية الأخلاقية الشاملة التي تقوم عليها سياسة التعليم في كل المراحل التعليمية وفي مختلف البلدان الغربية والشرقية. وتولى الإدارة التعليمية والتربوية عنصري السلوك والمواظبة درجة كبيرة من الأهمية عند صياغة مناهجها ورسم استراتيجياتها التربوية، وذلك لأهميتها في تربية الإنسان وصياغة شخصيته، والشواهد كثيرة جدا على ذلك من القرآن الكريم والسنة المطهرة والأدب العربي وحضارة الإسلام وثقافته الأصيلة، ويعد السلوك الإيجابي للطالب من الأهداف الأساسية التي يسعى المربون إلى تنميته ورعايته، ويأتي في هذا السياق العناية بسلوك الطلبة وانضباطهم لما له من أثر عميق في توافقهم النفسي والاجتماعي وبناء شخصياتهم؛ فإنه يعول على القائمين على العملية التربوية والتعليمية إيلاء هذا الجانب جل اهتمامهم بدءا باستكشاف السلوك غير المقبول ثم تعديله وتقويمه ومتابعته (جبر، 2005)، والعمل على مساعدة الطلبة في التغلب على المشكلات السلوكية التي تواجههم من خلال تفهم خصائص نموهم وبناء الثقة لديهم وتقبل تصرفاتهم والحرص على إصلاحهم والإخلاص في ذلك، وبذل كل جهد لتنمية إمكانيات الطلبة في ممارسة الانضباط السلوكي لبلوغ المستوى المأمول في رعاية سلوكهم (بركات، 2010).

إن الغاية الأساسية من الانضباط في غرفة الصف هي ليست فرض النظام وهيبة المعلم كغاية في حد ذاتها، بل أن الانضباط الصفي يهدف إلى جعل النظام واحترامه قيمة واتجاهاً ذاتياً يتذوقه الطالب في شخصيته وينتقل إلى ممارسته في مختلف جوانب حياته، ولكي ينجح المعلم في تيسير تعلم الطلبة ونموهم وفق الأهداف التعليمية والتعلمية المرسومة؛ فإن عليه التعرّف إلى مشكلات النظام وانضباط الطلبة في غرفة الصف، من حيث مصادرها وأسبابها وأنواعها وطرائق الوقاية منها ومعالجتها (بركات، -2008 ب). وعلى المعلم أن يتذكر أن نجاحه في مهمته التعليمية لا يتم على وجه أكمل بمجرد امتلاكه المعلومات والمعرفة الخاصة بموضوع الدرس بل عليه أن يفهم ديناميات الجماعة (جماعة الصف)، وأن يتقن مهارات إدارة الصف كتوفير المناخ النفسي والاجتماعي الملائم لعملية التعلم، واستخدام أساليب وطرائق التعلم والتعليم التي تقوم على المشاركة والتعاون والحوار التشاوري للوصول إلى الأهداف المشتركة من عمليتي التعليم والتعلم (النجار، 2004).

وتعتمد عملية التزام الطلبة بالمواظبة السلوكية على الإدارة الصفية الناجحة للمعلم حيث تعد إدارة الصف فناً وعلماً، فمن الناحية الفنية تعتمد هذه الإدارة على شخصية المعلم وأسلوبه في التعامل مع الطلبة في داخل الصف وخارجه، و تعد إدارة الصف علماً قائم بذاته له قوانينه وإجراءاته المنظمة، التي تشتمل على مجموعة من الأنماط السلوكية التي يستخدمها المعلم لكي يوفر بيئة تعليمية مناسبة ويحافظ على استمرارها بما يمكنه من تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة (هارون، 2003).

لذا فان بناء السلوك السليم والخصال الحميدة، والعادات الحسنة لدى الطلبة بالأساليب التربوية والنفسية الملائمة لا بد أن تستند على إدارة مدرسية واعية، ومعلم يجيد إدارة صفه بشكل جيد، لأن من حق كل طالب أن يحيا حياة مطمئنة في بيئة آمنة تثير الدافعية نحو التعلم الأفضل في أجواء من الحرية والاحترام والضبط، تنمو فيها المدارك وتبنى فيها الذات ليكون بهما بناء مجتمع منشود (سالم، 2008). وعملية المواظبة والانضباط السلوكي داخل الإطار المدرسي أمر غاية في الأهمية؛ فكلما نجح المعلم في إحداثه على أسس من الود والتقدير المتبادل كان التفاعل الإيجابي للطالب، وكان النجاح الحقيقي للمعلم، حيث تشير الدراسات واستطلاعات الرأي وخبرات العاملين في التدريس أن مشكلة عدم الانضباط والمواظبة السلوكية لدى الطلبة تعد مشكلة خطيرة ترهق المعلم، وتثير الفوضى وعدم الاطمئنان لدى الطالب بل لربما وضعت قدمه على طريق الجنوح المدمر له ولمجتمعه (عبد الهادي، 2008؛ السنيدي، 2005؛ غزالة، 2003).

مشكلة الدراسة وأهميتها:

تكمن مشكلة هذه الدراسة في البحث عن مستوى التزام طلبة المرحلتين الأساسية والثانوية في محافظة طولكرم بفلسطين بمظاهر المواظبة السلوكية التربوية والاجتماعية والإدارية في الإطار المدرسي من وجهة نظر المعلمين؛ وبذلك تبدو مشكلة هذه الدراسة واضحة من خلال إجابتها عن الؤالين الآتيين:

1. ما مستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي بالمواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية من وجهة نظر المعلمين في محافظة طولكرم؟
2. وما تأثير متغيرات جنس المعلم والمرحلة التعليمية في تقدير المعلمين لمستوى التزام الطلبة بمظاهر المواظبة السلوكية؟

وتنطلق أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوعها؛ حيث تبحث في أحد العناصر التربوية والسلوكية المهمة لإنجاح العملية التعليمية التعلمية، فتعتبر عملية التزام الطالب بالمواظبة الذاتية والالتزام بمعايير السلوك المنضبط داخل المدرسة مؤشر حسن على فعالية العملية التربوية، وبذلك تبرز أهمية هذه الدراسة من الجوانب الآتية:

1. المواظبة السلوكية مظهر مهم في ضبط العملية التربوية وتكتسب أهميتها من أن الانضباط الصفي يعتبر عاملاً مهماً جداً في توفير المناخ الملائم للعملية التربوية من أجل زيادة تحصيل الطلبة وزيادة رضا المعلمين عن أنفسهم.
2. كما تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال الفائدة التي سوف تنعكس على المعلمين والمديرين في المدارس الأساسية

والثانوية في محافظة طولكرم، حيث أن هذه الدراسة سوف توضح لهم أهم مشكلات المواظبة السلوكية حتى لا تتكرر في المستقبل وحتى يتم وضع حلول جذرية لها.

3. كما تكتسب هذه الدراسة أهمية نظرية من خلال إثرائها للمكتبة العربية بموضوع مهم مثل موضوع مشكلات المواظبة السلوكية في المدارس الأساسية في محافظة طولكرم.

4. وتنبع أهمية هذه الدراسة أيضا بالنسبة للباحثين مستقبلاً في هذا المجال حيث ستعتبر هذه الدراسة مرجعاً لهم.

أهداف الدراسة:

سعت الدراسة الحالية لتحقيق الأهداف الآتية:

بناء أداة لقياس المواظبة السلوكية الذاتية لدى طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي.

التعرف إلى مستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي في محافظة طولكرم بالمواظبة السلوكية ذاتياً من الناحية الاجتماعية والتربوية والإدارية من وجهة نظر المعلمين.

التعرف إلى اختلاف تقديرات المعلمين لمستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسية والثانوية بالمواظبة السلوكية من الناحية الاجتماعية والتربوية والإدارية في محافظة طولكرم حسب متغير الجنس والمرحلة التعليمية.

أسئلة الدراسة:

سعت الدراسة الحالية إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما مستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي بمظاهر المواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية من وجهة نظر المعلمين في محافظة طولكرم بفلسطين؟

2. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) في تقديرات المعلمين لمستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسية والثانوية بالمواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية تُعزى لمتغير جنس المعلم؟

3. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) في تقديرات المعلمين لمستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسية والثانوية بالمواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية تُعزى لمتغير المرحلة التعليمية؟

تحديد المصطلحات:

الانضباط السلوكي: هو التزام الطالب ذاتياً بالنظام المدرسي وتقبل التوجيهات والتعليمات المدرسية وإنفاذها داخل المدرسة وفي محيطها (المعايطة، 2004).

المواظبة: المقصود بالمواظبة هي التزام الطالب بالحضور إلى المدرسة، حسب المواعيد الرسمية المحددة لذلك من بداية اليوم الدراسي إلى نهايته بنسبة انتظام دراسي كامل لا تقل عن (75%) من الأيام الفعلية للدراسة، بما في ذلك التمارين الصباحية والحصص الدراسية (جبر، 2005). وفي الدراسة الحالية يقصد بالمواظبة السلوكية إجرائيا بالتزام الطالب الفعلي بالأنظمة السائدة في المدرسة، وانتظامه بالحياة المدرسية والصفية من النواحي الاجتماعية والتربوية والإدارية، مقاسة بتقدير المعلم لذلك حسب أداة الدراسة المعدة لهذا الغرض.

المرحلة الأساسية: مرحلة التعليم الأولى في فلسطين وتمتد من الصف الأول وحتى الصف السادس وتقسم عادة إلى مرحلتين هما: الأساسية الدنيا وتشتمل على الصفوف الأساسية الثلاثة الأولى، والمرحلة الأساسية العليا وتشتمل على الصفوف من الرابع وحتى السادس.

المرحلة الثانوية: وهي مرحلة التعليم النهائية في المدرسة وتشتمل على الصفوف من الصف السابع وحتى الحادي عشر، وتشتمل على تخصصات مختلفة كالعلمي والأدبي والصناعي والتجاري والبريدي والزراعي والفندقي.

حدود الدراسة:

لهذه الدراسة حدودها الخاصة وهي:

1. العامل الزمني: طبقت هذه الدراسة في الفصل الأول من العام الدراسي 2007-2008.

2. العامل المكاني: تم تطبيق هذه الدراسة في مدارس محافظة طولكرم الحكومية بفلسطين حيث يعمل الباحث.

3. العامل البشري: تم تطبيق هذه الدراسة على عينة متيسرة من معلمي ومعلمات المرحلة الأساسية والثانوية في المدارس الحكومية التابعة لمديرية التربية والتعليم في محافظة طولكرم.

4. عامل إجراءات الدراسة: تحدد نتائج هذه الدراسة في أداتها التي استخدمت لجمع البيانات المتمثلة باستبيان من إعداد الباحث لقياس تقدير المعلمين لمستوى المواظبة السلوكية في المدرسة.

الدراسات السابقة:

أجرى كل من روجرز وهالام وشو (Rogers, Hallam, & Show, 2008) دراسة بهدف التعرف إلى تأثير إشراك أولياء أمور الطلبة في برنامج متخصص في معالجة المشكلات الاجتماعية في رفع مستوى المواظبة السلوكية لدى الطلبة، خضع (142) ولي أمر لهذا البرنامج. وقد أظهرت النتائج وجود تأثير موجب ودال إحصائياً للبرنامج التدريبي في رفع مستوى المواظبة السلوكية المدرسية لدى أبناء أولياء الأمور المشاركين مقارنة بمجموعة ضابطة لم تخضع لهذا البرنامج. كما بينت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى تأثير البرنامج التدريبي لأولياء الأمور في مستوى المواظبة السلوكية لدى أبنائهم تعزى لمتغيرات الجنس والمهنة والمؤهل العلمي ومكان السكن.

وهدفت الدراسة التي قام بها هنري (Henry, 2007) التعرف إلى صفات وخصائص الطلبة غير المواظبين والذين يتكرر تغيبهم عن المدرسة، وتكونت عينة الدراسة من (233) طالباً وطالبة ممن أثبتت السجلات المدرسية انخفاض مستوى المواظبة السلوكية لديهم في المدرسة وتغيبهم المتكرر عن الدروس الصفية. وقد بينت نتائج التحليل التشخيصي لحالة هؤلاء الطلبة أنهم يعانون من مشكلات عاطفية وانفعالية وبخاصة أنهم في مرحلة المراهقة، كما بينت النتائج أن ما نسبته (11%) من طلبة الصف الثامن، و (16%) من طلبة الصف العاشر يعتبرون من الطلبة متكرري الغياب عن المدرسة وغير مواظبين سلوكياً، وأظهرت النتائج أيضاً وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى التغيب وتدني مستوى المواظبة السلوكية لدى الطلبة تعزى لمتغيرات الجنس والتحصيل الدراسي لصالح الطلبة الذكور ومنخفضي التحصيل.

وهدفت دراسة كل من كيرني وبينساهيب (Kearney & Bensaheb, 2006) إلى إجراء مسح تحليلي لخصائص المدارس الصحية غير المنفرة والمدارس غير الصحية في ولاية ساوث كالورينيا بأمريكيا، والتي تبعث على عدم المواظبة السلوكية لدى الطلبة. كما هدفت هذه الدراسة من جهة أخرى إلى تقديم مقترحات تربوية واجتماعية وإدارية لتصحيح وضع المدارس غير الصحية. وقد بينت النتائج أن من أهم خصائص المدرسة الصحية توفر الإدارة المدرسية الضابطة والحاسمة، وتوفر المرشدين النفسيين المتخصصين لحل مشكلات الطلبة أولاً بأول، وتوفر المعلم المؤهل والقادر على التعامل مع طلبته بكفاءة وفعالية. وقد طرحت هذه الدراسة مجموعة من التوصيات والمقترحات لتفعيل دور الإدارة المدرسية والصفية، وتفعيل عملية الإرشاد النفسي والاجتماعي.

هدفت دراسة جبر (2005) التعرف إلى أهمية المواظبة السلوكية والانضباط الصفي في مدارس إمارة العين الأساسية في دولة الإمارات العربية من وجهة نظر المعلمين، وأجريت هذه الدراسة على عينة من المعلمين مقدارها (170) معلماً ومعلمة يمثلون (10%) من مجتمع المعلمين في الإمارة. أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية من حيث أهمية المواظبة السلوكية والانضباط الصفي من وجهة نظر المعلمين في مدارس إمارة العين الأساسية في دولة الإمارات العربية تعزى إلى متغير الجنس والمؤهل العلمي والتخصص، وبينما وجد الباحث فروقاً ذات دلالة إحصائية من حيث أهمية المواظبة السلوكية والانضباط الصفي في مدارس إمارة العين الأساسية في دولة الإمارات العربية تعزى إلى متغير الصف، وكانت الفروق لصالح الطلبة من الصف الخامس الابتدائي.

أما دراسة بدري (2005) فقد هدفت التعرف إلى المواظبة السلوكية لدى طلبة المرحلة الثانوية من وجهة نظر معلمي ومديري المدارس الثانوية في محافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية. وقد أجريت هذه الدراسة على عينة من المعلمين والمديرين بلغت (200) من المعلمين ومدراء المدارس، وأشارت النتائج إلى أن المواظبة السلوكية تقل لدى طلبة المرحلة الثانوية نظراً لفترة المراهقة التي يمرون بها، وأشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات المعلمين والمدرين من حيث المواظبة السلوكية لدى لدى الطلبة في المدارس الثانوية في محافظة المنوفية تعزى إلى متغير طبيعة العمل (مدير و معلم) وكانت لصالح المعلمين، وتعزى إلى متغير التخصص, وكانت الفروق لصالح معلمي المواد العلمية. بينما أشارت النتائج أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية من حيث تقديرات المعلمين والمديرين للمواظبة السلوكية لدى طلبة المدارس الثانوية في محافظة المنوفية تعزى إلى متغير الجنس, والمؤهل العلمي.

وهدفت دراسة المعايطة (2004) التعرف إلى الانضباط السلوكي وعلاقته بالتحصيل الدراسي في مدارس الزرقاء في الأردن من وجهة نظر المعلمين. وتكونت عينة هذه الدراسة من (97) معلماً ومعلمة من معلمي مدارس المرحلة الإعدادية. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى ارتفاع مستوى المواظبة السلوكية لدى الطلبة، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية من وجهة نظر المعلمين من حيث الانضباط السلوكي وعلاقته بالتحصيل الدراسي في مدارس الزرقاء تعزى إلى متغير الجنس, والمؤهل العلمي. كما أشارت النتائج أيضا إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة من حيث الانضباط السلوكي وعلاقته بالتحصيل الدراسي في مدارس الزرقاء تعزى إلى متغير سنوات الخبرة والمرحلة التعليمية وذلك لصالح ذوي الخبرة الطويلة وذوي المرحلة الثانوية.

أما دراسة باري (Parry, 2004) فقد هدفت التعرف إلى الانضباط السلوكي لدى فئة الطلبة من أعراق مختلفة (اللاتينية والآسيوية) كما يحددها المعلمون، وتكونت عينة الدراسة من (500) من المعلمين والمعلمات في ولاية بنسلفانيا, وأشارت النتائج إلى أن الطلاب من الأعراق المختلفة يعانون من صعوبة الاندماج والتكيف في الصفوف الأساسية؛ ويعانون من الهروب المتكرر من المدارس، وعدم المواظبة على حضور الدروس الصفية، والتسرب المدرسي، كل ذلك الذي يعتبر من مظاهر عدم الانضباط السلوكي. وأشارت النتائج إلى عدم وجود

فـروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات المعلمين للانضباط السـلوكي لدى فئة الطلبـة من أعراق مختلفة (اللاتينية والآسـيوية) تعزى إلى لمتغـيري جنس المعلم وخبرتـه، بينما كانت هناك فـروق ذات دلالة إحصائية فيها تبعـاً لمتغيري المؤهل العلمي والمرحلة التعليمية وذلك لصالـح المعلمين ذوي المؤهـلات العليا والمعلمين الذين يدرسـون في المرحلة الأساسية. وهدفت دراسة بونان (Punan, 2003) التعرف إلى مستوى المواظبة السلوكية في مدارس مدينة ليل (Lille) الفرنسية من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين فيها. وتكونت عينة الدراسـة من (50) أخصائيـاً اجتماعياً يعملون في مـدارس المدينة. وجاءت النتائج على النحو الآتي: يعاني الطلبة المتأخرون دراسياً من مستويات مواظبة متدنية، ويعاني الطلبة من ذوي فئات الدخل القليل مستويات مواظبة متدنية، ويعاني الطلبة الذين يعانون من تفكك أسري من مسـتويات مواظبة متدنية. وأشـارت نتائج مناقشـة الفرضيـات إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مسـتوى المواظبة السـلوكية في مدارس مدينة ليل الفرنسـية من وجهـة نظر الأخصائيـين الاجتماعيين فيها تعزى إلى متغير الجنس ومتغير المؤهل العلمي ومتغير سنوات الخبرة. بينـما اتضح أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية في مسـتوى المواظبة السـلوكية في مدارس مدينة ليل الفرنسية من وجهة نظر الأخصائيين الاجتماعيين فيها تعزى إلى متغير مكان سكن الطالب, وكانت الفروق تعزى إلى متغير المدينة.

وهدفت دراسـة غلـوب (Globe, 2003) إلى بحـث العلاقة بين التعـاون والتكامـل بـين المدرسـة والأسرة من أجل رفع مسـتويات المواظبة السـلوكية في المدارس الخاصة في ولاية كارولينا (Carolina) في الولايات المتحدة الأمريكية. تكونت عينة الدراسـة من (100) من العاملين في المدارس (معلمين, مديرين, أخصائيين) و (100) من أولياء الأمـور. وأتضح من النتائـج أن إهمال الأهل للطلبـة يؤدي إلى تدني مسـتويات المواظبة السـلوكية لديهـم بينما كانـت الأسر التي تهتم بأبنائها لها الفضل في زيادة التزام الطلبة اجتماعيا وتربويا في المدرسة. وأشـارت النتائج أيضا إلى عدم وجود فروق دالة إحصائيا في مسـتوى التعاون والتكامل بين المدرسة والأسرة من أجل رفع مستويات المواظبة السلوكية في المدارس الخاصة في ولاية كارولينا تعزى إلى متغير الجنس (لـكلا المعلمـين وأولياء الأمور). كـما اتضح عدم وجـود فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة من حيث التعاون والتكامل بين المدرسة والأسرة من أجل رفع مستويات المواظبة السلوكية في المدارس الخاصة في ولايـة كارولينا تعزى إلى متغير المؤهـل العلمي. بالإضافة إلى ذلك اتضح عدم وجود فروق دالة إحصائيا عند مسـتوى الدلالة من حيث التعاون والتكامل بين المدرسة والأسرة من أجل رفع مستويات المواظبة السلوكية في المدارس الخاصة في ولاية كارولينا تعزى إلى متغير سنوات الخبرة. بينما كانت هناك فروق دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة من حيث التعاون والتكامل بين المدرسـة والأسرة من أجل رفع مستويات المواظبة السلوكية في المدارس الخاصة في ولاية كارولينا تعزى إلى متغير عمر ولي الأمر ومستواه التعليمي.

وهدفت دراسـة فـان بليركـوم (Van Blerkom, 1996) بحث العلاقة بين المواظبة المدرسـية والمواظبة الصفيـة والتحصيل الدراسي لـدى عينة مكونة من (140) طالبـاً وطالبة من طلبة إحدى الكليات الجامعية. وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة ارتباطية موجبة بين التحصيل الدراسي وكل من المواظبة المدرسـية والصفية، ووجود علاقة ارتباطية موجبة دالة إحصائياً بين التحصيل الدراسي ومستوى التغيب عـن الدروس الصفيـة لصالح غير المتغيبين، كما بينـت النتائج وجود علاقة ارتباطيـة دالة إحصائياً بين مسـتوى الدافعية للتعلم وكل من المواظبة السلوكية الصفية والمدرسية، كما بينت النتائج ارتفاع مستوى المواظبة السلوكية لدى الطلبة إجمالاً.

تعقيب على الدراسات السابقة

يتضح من مراجعة الدراسات السابقة التي تم عرضها ما يأتي

1. إن الدراسـات السـابقة التي تناولت موضوع هذه الدراسة هي دراسـات قليلـة بل نـادرة – على حد علـم الباحث- وبخاصـة في المجتمع العربي على وجـه العموم وفي المجتمع الفلسطيني على وجه الخصوص.

2. هناك تشـابه في الموضوع بين الدراسـة الحالية ودراسـات: جبر (2005)، وبـدري (2005)، والمعايطة (2004)، Punan (2003)).

3. أظهرت الدراسات السابقة نتائج متناقضة بخصوص مستوى التزام الطلبة بمظاهر المواظبة السلوكية؛ حيث أظهرت نتائج دراسـات (المعايطـة، 2004؛ Van Blerkom, 1996) أن مستوى الالتزام كان قوياً، بينما بينت نتائج بعض الدراسات الأخـرى (Henry, 2007 ؛ بـدري، 2005؛ Parry, 2004؛ Punan, 2003؛ Globe, 2003) أن مستوى هذا الالتزام كان ضعيفاً.

4. اتفقت أغلب الدراسـات السـابقة (Rogers, Hallam & Show, 2008 ؛ جـبر، 2005؛ بدري، 2005؛ المعايطة، 2004؛ Parry, 2004؛ Punan, 2003؛ Globy, 2003) عـلى عـدم وجـود فروق دالـة إحصائياً في تقديرات المعلمين لمسـتوى التزام الطلبة بمظاهر المواظبة السـلوكية تبعاً لجنس المعلم، بينـما جاءت دراسـة (Henry, 2007) بعكس هذه النتيجة عندمـا أظهرت وجود فروق في مسـتوى هذا الالتزام لصالح الذكور.

5. كما اتفقت نتائج دراسـات (جبر، 2005؛ Parry, 2004) على وجـود فروق دالة إحصائيا في مسـتوى تقديـرات المعلمين لمسـتوى التزام الطلبة بمظاهر المواظبة السلوكية تبعاً لمتغير المرحلة التعليمية وذلك لصالح طلبة المرحلة الأساسية. بينما تعارضت هـذه النتائج مع نتيجة دراسـة المعايطة (2004) التي بينت أن هذه الفروق لصالح طلبة المرحلة الثانوية، كما

تعارضت مع دراسة (Rogers, Hallam & Show, 2008) والتي أظهرت عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى تقديرات المعلمين لالتزام الطلبة بمظاهر المواظبة السلوكية تبعاً لمتغير المرحلة التعليمية.

6. لذا، ونتيجة للندرة الواضحة في الدراسات العربية والأجنبية التي تناولت مظاهر المواظبة السلوكية، إضافة إلى ما أظهرته هذه الدراسات من تناقض واضح في النتائج، يرى الباحث أن مجال هذه الدراسة ما زال خصباً للبحث وأن هناك ما يصوغ إجراء دراسته الحالية.

الطريقة والإجراءات

1. مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من المعلمين والمعلمات في محافظة طولكرم والبالغ عددهم (4228) معلماً ومعلمة تبعاً لإحصائيات مديرية التربية والتعليم في محافظة طولكرم للعام الدراسي (2007/ 2008)، وهم موزعين تبعاً لمتغيري الجنس والمرحلة التعليمية كما هو مبين في الجدول الآتي:

جدول (1)

توزع مجتمع الدراسة تبعاً لمتغيري الجنس والمرحلة التعليمية

الجنس / المرحلة التعليمية	الذكور	الإناث	المجموع
الأساسية	1669	1780	3449
الثانوية	379	400	779
المجموع	2048	2180	4228

2. عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة الحالية من (296) معلماً ومعلمة، وهم يمثلون ما نسبته (7%) من حجم مجتمع الدراسي. تم اختيارهم بطريقة متيسرة من مجتمع الدراسة الأصلي، وهم موزعين تبعاً لمتغير الجنس والمرحلة التعليمية كما هو مبين في الجدول الآتي: منهم (145) معلماً و (151) معلمة، منهم (184) معلماً ومعلمة من المرحلة الأساسية، و(112) معلماً ومعلمة من المرحلة الثانوية.

جدول (2)

توزع عينة الدراسة تبعاً لمتغيري الجنس والمرحلة التعليمية

الجنس / المرحلة التعليمية	الذكور	الإناث	المجموع
الأساسية	90	94	184
الثانوية	55	57	112
المجموع	145	151	296

3. أداة الدراسة:

تمثلت أداة الدراسة من استبانة من إعداد الباحث تكونت في صورتها النهائية من (30) بنداً موزعة بالتساوي إلى ثلاثة مجالات لقياس المواظبة السلوكية لدى الطلبة وهي: المواظبة الاجتماعية، والمواظبة التربوية، والمواظبة الإدارية، حيث فشل الباحث العثور على أداة جاهزة سواء أكانت باللغة العربية أم الأجنبية لتحقيق غرض دراسته الحالية. وقد مرت عملية بنائها بالخطوات الإجرائية الآتية:

1. مراجعة الأدب السابق النظري الذي أمكن الوصول إليه لتوفير إطار نظري تستند عليه عملية بناء أداة الدراسة (بركات، -2008 ب؛ بركات، 2006).

2. تم طرح سؤال مفتوح على عينة استطلاعية من المعلمين مكونة من (66) معلماً ومعلمة موزعين إلى تخصصات مختلفة من مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي في محافظة طولكرم وهو: ما مظاهر المواظبة السلوكية الذاتية كما تدركها لدى الطلبة من المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية؟

3. بعد تحليل استجابات المعلمين توفرت لدى الباحث قائمة بعدد من الأنماط السلوكية التي تصف مظاهر المواظبة السلوكية في المدرسة؛ حيث بلغت هذه المظاهر بعد ترتيبها وتنظيمها (30) بنداً تم توزيعها بالتساوي إلى ثلاثة مجالات أساسية هي الاجتماعية والتربوية والإدارية.

4. تم عرض بنود هذه الاستبانة على متخصصين باللغة العربية لإبداء ملاحظاتهما اللغوية والتعبيرية عليها، وقد استفاد الباحث من هذه الملاحظات عند صياغته الأداة بصورتها النهائية.

5. كما تم عرض بنود هذه الاستبانة على مجموعة من المحكمين للتحقق من مدى ملاءمتها لموضوعها ومجالها؛ حيث تكونت مجموعة التحكيم هذه من (19) محكماً، منهم سبعة من الأساتذة الجامعيين ممن يدرسون في جامعة القدس المفتوحة في تخصصات تربوية مختلفة، و ستة من مدراء المدارس، وستة من المعلمين. وقد أخذ الباحث بالملاحظات التي أبداها المحكمون عند صياغته الاستبانة في صورتها النهائية.

6. وبذلك أصبحت أداة الدراسة جاهزة للتطبيق حيث اعتمد سلم ليكرت (Likert) الخماسي للإجابة عن بنودها (كبيراً جداً، كبيراً، إلى حدٍ ما، قليلاً، قليلاً جداً)، حيث منحت الاستجابة تبعاً لهذا المقياس درجة تتراوح بين (5) درجات في حالة (كبيراً جداً)، ودرجة واحدة في حالة (قليلاً جداً)؛ وبذلك تراوحت الدرجة التقديرية للمعلمين لمستوى المواظبة السلوكية للطلبة ما بين (30 – 150) درجة؛ إذ تشير الدرجة المرتفعة إلى مستوى كبير من المواظبة لدى الطلبة، بينما تشير الدرجة المنخفضة إلى مستوى المواظبة القليلة.

7. لتفسير تقديرات المعلمين على أداة الدراسة تم اعتماد المعيار التقويمي النسبي الآتي:

- (33. 2 فأقل) مستوى مواظبة سلوكية ضعيف
- (34. 3 – 67. 3) مستوى مواظبة سلوكية متوسط
- (68. 3 فأعلى) مستوى مواظبة سلوكية قوي

صدق الأداة وثباتها:

تم التأكد من صدق الأداة بطريقة صدق المحكمين (Construct Validity) من خلال عرضها على عدد من المحكمين ذوي الخبرة والاختصاص وأشاروا إلى صلاحية بنودها وملاءمتها لمجالها وموضوعها. كما تم التحقق من ثبات أداة الدراسة باعتماد طريقة الاتساق الداخلي (Internal Consistency) وذلك باستخدام معادلة كرونباخ ألفا (Alpha Cronbach)، وقد بلغت قيمة معامل الثبات العام للاستبانة (0.93)، بينما بلغت معاملات الثبات بهذه الطريقة على المجالات الفرعية الاجتماعية والتربوية والإدارية (84. 0) و (89. 0) و (87. 0) على الترتيب، وقد اعتبر الباحث معاملات الصدق والثبات هذه معقولة ومقبولة وتفي بأغراض الدراسة الحالية.

4. منهج الدراسة ومتغيراتها:

استخدم لتحقيق غرض هذه الدراسة المنهج الوصفي لمناسبته طبيعة هذه الدراسة باستخدام استبانة تقيس هدف الدراسة الأساسي وهو التعرف إلى مدى التزام الطلبة في المرحلتين الأساسية والثانوية بمظاهر المواظبة السلوكية في المجالات الثلاثة الاجتماعية والتربوية والإدارية من وجهة نظر المعلمين، وبذلك تضمنت الدراسة المتغيرات الآتية:

1. المتغيرات المستقلة وتشمل:

الجنس: وله مستويان: (ذكر، انثى).

المرحلة التعليمية: وله مستويان (أساسية, ثانوية)

2. المتغير التابع: يتمثل في تقدير المعلمين لمدى التزام الطلبة بمظاهر المواظبة السلوكية ذاتياً في المدرسة من الناحية الاجتماعية والتربوية والإدارية.

5. المعالجات الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة تم استخدام المعالجات الإحصائية الوصفية والتحليلية الآتية:

1. المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
2. اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين (Independent T- test).

نتائج الدراسة ومناقشتها

أولا :النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الأول: ما مستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي بمظاهر المواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية من وجهة نظر المعلمين في محافظة طولكرم بفلسطين؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على لبنود الأداة في المجالات الثلاثة الاجتماعية والتربوية والإدارية، وترتيبها تنازليا وفق المتوسط الحسابي، كما تم تقييمها اعتماداً على المعيار النسبي المذكور سابقاً في إجراءات الدراسة، وذلك كما هو مبين في الجداول (3-5) الآتية:

الجدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على لبنود الاستبانة في المجال الاجتماعي مرتبة تنازليا وفق أهميتها النسبية

الرقم التسلسلي	الرقم الترتيبي	البنود	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الالتزام
9	1	يظهر اتجاهاً ايجابياً نحو زملائه ومدرسيه	4.36	0.49	قوي
4	2	المحافظة على اللياقة في الكلام مع الآخرين	4.20	0.76	قوي
3	3	الالتزام بالمظهر العام من حيث الملبس	4.00	1.04	قوي
10	4	قادر على بناء علاقات اجتماعية وإنسانية مع الآخرين	3.92	1.29	قوي
5	5	يتفاعل بطريقة فعالة في فرق العمل والنشاط العام	3.80	0.41	قوي
8	6	يشارك في الفرق الرياضية والكشفية باستمرار	3.76	0.97	قوي
1	7	المشاركة بالرحلات والزيارات المدرسية	3 .48	1.22	متوسط
2	8	المشاركة الفعالة في الاحتفالات التي تقوم المدرسة بها	2.84	1.01	متوسط
6	9	ينخرط بالعمل التطوعي من تلقاء نفسه	2.57	1.12	متوسط
7	10	يشارك في الإذاعة المدرسية	2 .16	0 .98	ضعيف
المتوسط الكلي لمجال المواظبة الاجتماعية			3 .55	0 .93	متوسط

تشير النتائج في الجدول السابق إلى أن المعلمين قد قدروا مستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية في المجال الاجتماعي بمستوى قوي لدى طلبتهم في البنود (9 و 4 و 3 و10 و5 و8)، وكذلك قدروا هذه المواظبة بمستوى متوسط على البنود (1 و2 و 6)، بينما كان تقدير المعلمين لمستوى المواظبة السلوكية في المجال الاجتماعي ضعيفاً في البند (7)، وتبين النتائج أيضاً أن تقدير المعلمين الكلي لمستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية في المجال الاجتماعية لدى الطلبة كان متوسطاً؛ حيث بلغ المتوسط الكلي لهذا المجال (55. 3).

أما بخصوص تقدير المعلمين لمستوى المواظبة السلوكية لدى الطلبة في المجال التربوي فكانت مرتبة تنازلياً تبعاً لأهميتها النسبية كما يبينها الجدول (4):

الجدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على بنود الاستبانة في المجال التربوي مرتبة تنازليا وفق أهميتها النسبية

الرقم التسلسلي	الرقم الترتيبي	البنود	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الالتزام
12	1	لا يتغيب عن الامتحانات	4.28	0.97	قوي
15	2	يشارك بإيجابية في الحصة الدراسية	4.17	0.41	قوي
19	3	يقوم بالتحضير والإعداد الجيد لدروسه	3.94	1.02	قوي
11	4	مثابر على حل الواجبات البيتية	3.9	1.29	قوي
20	5	يصغي بشكل جيد أثناء الحصة الدراسية	3.80	1.41	قوي
16	6	يظهر اتجاهاً إيجابياً نحو المادة التعليمية والمدرسة	3.76	1.45	قوي
14	7	يشارك بفعالية في الأنشطة الصفية واللاصفية	3.76	1.57	قوي
13	8	يسهم باستمرار بإحضار وتصميم الوسائل التعليمية	3.56	1.57	متوسط
18	9	يعمل بشغف في حصص النشاط العملي المختلفة	2.76	1.62	متوسط
17	10	لا يتوانى عن طرح الأسئلة حول المادة التعليمية	2.56	1.12	متوسط
المتوسط الكلي لمجال المواظبة التربوية			3 .65	1 .21	متوسط

تشـير النتائج في الجدول السابق إلى أن المعلمين قد قدروا مستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية في المجال التربوي بمستوى قوي لدى طلبتهـم في البنود ذات الأرقام التسلسـلية (12 و15 و19 و 11 و20 و16 و 14)، بينما كان تقدير المعلمين لمستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السـلوكية في المجال التربوي متوسطاً في البنود (13 و 18 و17)، وتبين النتائج أيضاً أن تقدير المعلمين الكلي لمستوى الالتزام بمظاهر المواظبة للمجال التربوي لدى الطلبة كان متوسطاً؛ حيث بلغت النسبة المئوية الكلية لهذا المجال (65. 3).

أمـا فيما يتعلـق بتقدير المعلمـين لمظاهر المواظبة السـلوكية في المجال الإداري في المدرسـة فيظهرها الجـدول الآتي وهي مرتبة ترتيباً تنازلياً تبعاً لأهميتها النسبية من وجهة نظر هؤلاء المعلمين:

الجدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات المعلمين على بنود الاستبانة في المجال الإداري مرتبة تنازليا وفق أهميتها النسبية

الرقم التسلسلي	الرقم الترتيبي	البنود	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الالتزام

22	1	عدم الهروب أو التغيب المستمر عن المدرسة	4.68	0.48	قوي
21	2	الحضور اليومي إلى المدرسة	4.64	0.49	قوي
30	3	الانتظام بوقت الحصص الخاصة بالمختبر والمكتبة والنشاط والرياضة	4.56	0.51	قوي
23	4	التواجد داخل المدرسة أثناء الفرصة	3.92	1.29	قوي
29	5	حضور الأنشطة اللاصفية	3.80	1.31	قوي
27	6	حضور التمارين الصباحية بانتظام	2 .99	1 .21	متوسط
25	7	يأتي صباحاً في الوقت دون تأخير	2 .94	1 .12	متوسط
28	8	حضور الاحتفالات المدرسية والمشاركة فيها	2 .84	1 .14	متوسط
26	9	البقاء في الصف أثناء الفرصة بين الحصص	2 .82	1 .06	متوسط
24	10	المشاركة في اللجان الفنية المختلفة في المدرسة	2 .76	1 .04	متوسط
المتوسط الكلي لمجال المواظبة الاجتماعية			3 .61	0 .97	متوسط

تشير النتائج في الجدول السابق إلى أن المعلمين قد قدروا مستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية في المجال الإداري بمستوى قوي لدى طلبتهم في البنود ذات الأرقام التسلسلية (22 و21 و30 و23 و29)، بينما كان تقدير المعلمين لمستوى الالتزام بظاهر المواظبة السلوكية في المجال التربوي متوسطاً في البنود (27 و25 و28 و26 و24)، وتبين النتائج أيضاً أن تقدير المعلمين الكلي لمستوى الالتزام بظاهر المواظبة للمجال التربوي لدى الطلبة كان متوسطاً؛ حيث بلغت النسبة المئوية الكلية لهذا المجال (61. 3).

هذا ويمكن ترتيب مجالات مظاهر المواظبة السلوكية في المدرسة لدى طلبة المرحلتين الأساسية والثانوية من وجهة نظر معلميهم كما هو مبين في الجدول (6):

الجدول (6)

الترتيب التنازلي لمجالات المواظبة السلوكية تبعاً لأهميتها النسبيةكما قدرها المعلمون

مجالات المواظبة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	مستوى الالتزام
التربوي	3 .65	1 .21	متوسط
الإداري	3 .61	0 .97	متوسط
الاجتماعي	3 .55	0 .93	متوسط
الكلي	3 .66	0 .99	متوسط

يشير الجدول السابق إلى أن تقديرات المعلمين لمستوى التزام الطلبة بمظاهر المواظبة السلوكية في المجالات الثلاثة كان متوسطاً بشكل عام، على أن تقديرهم قد تفاوت قليلاً في مجالات المواظبة السلوكية الثلاثة؛ فقد جاءت المواظبة التربوية بالترتيب الأول، ثم المواظبة الإدارية وأخيراً المواظبة الاجتماعية.

هذا، ويستخلص من معطيات نتائج الدراسة المبينة في الجداول السابقة أن مظاهر المواظبة السلوكية الخمسة الأكثر تقديراً لدى طلبة المرحلتين الأساسية والثانوية كما قدرها المعلمون كانت وفقاً لأهميتها النسبية على الترتيب الآتي: بند رقم (22) ونصه "عدم الهروب أو التغيب المستمر عن المدرسة"، و بند رقم (21) ونصه "الحضور اليومي إلى المدرسة"، و بند رقم (30) ونصه "الانتظام بوقت الحصص الخاصة بالمختبر والمكتبة والنشاط والرياضة"، و بند رقم (9) ونصه "يظهر اتجاهاً ايجابياً نحو زملائه ومدرسيه"، و بند رقم (12) ونصه "لا يتغيب عن الامتحانات"؛ حيث تنتمي البنود الثلاثة الأولى إلى

مجـال المواظبة الإدارية، بينما ينتمـي البند الرابع إلى المجال المواظبة الاجتماعية، وينتمي البند الخامس إلى مجال المواظبة التربوية. وتؤكد هـذه النتائج بذلك عـلى أن مظاهر المواظبة السـلوكية من الناحية الإداريـة هي الأبرز لدى الطلبة، ويظهر ذلك من خلال التزامهم العام بمستوى قوي بثلاثة من مظاهر المواظبة السلوكية تنتمي لهذا المجال.

ومن جهة أخـرى فيمكن اسـتخلاص أن مظاهر المواظبة السـلوكية الأقل تقديراً لدى الطلبة من وجهـة نظر المعلمين فكانت على الترتيب الآتي: بند رقم (7) ونصه "يشـارك في الإذاعة المدرسية"، و بند رقم (6) ونصه "ينخرط بالعمل التطوعي من تلقاء نفسه"، و بند رقـم (17) ونصه "لا يتوانى عن طرح الأسـئلة حول المادة التعليمية"، و بنـد رقـم (18) ونصه "يعمل بشـغف في حصص النشـاط العملي المختلفة"، و بند رقم (18) ونصه "المشـاركة في اللجان الفنية المختلفة في المدرسـة"؛ حيث ينتمي البندان الأول والثاني الأقل تقيماً إلى مجال المواظبة الاجتماعية، وينتمي البندان الثالث والرابع إلى مجال المواظبة التربوية، بينما ينتمي البند الخامس إلى مجال المواظبة الإدارية.

ولدى مقارنة هذه النتيجة مع نتائج الدراسـات السـابقة تبين أنها تتفق مع نتائج دراسات (المعايطة، 2004؛ Van Blerkom, 1996) والتي أشـارت نتائجها إلى قوة مستوى المواظبة السلوكية لدى طلبة المـدارس، بينما تعارضت مع نتائج دراسـات (Henry, 2007 ؛ بـدري، 2005؛ Parry, 2004؛ Punan, 2003؛ Globe, 2003) والتي أظهرت نتائجها ضعف مستوى المواظبة السلوكية لدى طلبة المدارس.

ويمكـن تفسـير هذه النتيجة والتي تشـير إجـمالاً إلى أن مستوى المواظبة السلوكية في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية لـدى طلبة المرحلتـين الأساسـية والثانوية كان متوسـطاً بعزوها إلى العوامل (بركات، 2010؛ شـعبان، 2006؛ بركات،2006؛ النجار، 2004؛ شتات، 2001) الآتية:

1. العوامـل المرتبطـة بإدارة المدرسـة وتظهـر في الجوانـب الآتية:
   - الرقابـة التـي تفرضهـا إدارات المـدارس عـلى سـلوك الطلبة.
   - وضـوح الأنظمـة والقوانـين التـي تحكـم سـلوك الطالـب.
   - الاهتمام بالوصول بالطالب إلى الشـعور الذاتي بأهمية الانضباط والامتثـال للقيـم التربوية بـدل اعتماد نظام الإجبـار والخضوع.
   - حـل المشـكلات التـي تواجـه الطـلاب أولاً بـأول وعـدم جعلهـا تتفاقـم لتصـل إلى السـلوك المنحـرف.
   - السـماح للطلبـة لإبداء الـرأي بحرية والتعبير عـن متطلباتهم وحاجاتهـم والاهتـمام بتلبيتهـا بصـورة واقعيـة ومعقولـة.
   - عدم إتباع أساليب صارمة ومتشددة اتجاه الطلبة.
2. العوامـل المرتبطـة بالمعلـم وتظهـر في الجوانـب الآتيـة:
   - محاولـة المعلـم غـرس الحـب والـود في نفـوس الطلبـة مما يـؤدي ذلـك انضباطهـم وعـد خروجهم عـن النظـام الصفي.
   - الخـبرة التـي يتمتـع بهـا المعلمـون والتـي تسـاعدهم عـلى إرسـاء نظـام صفـي منضبـط.
   - تسـامح المعلمـين وكفاءتهـم الجيـدة واتسـام سـلوكهم بالنزاهـة والعـدل والاتـزان كل ذلـك يـؤدي إلى تـرك نتائـج حسـنة بخصـوص مواظبـة الطلبـة وانضباطهـم المـدرسي.
   - اهتـمام المعلـم بـإدارة الصـف وتوفـير منـاخ صفـي يسـوده الهـدوء والنشـاط والحريـة.
   - عدم انشـغال المعلـم بأحاديث جانبية والتزامـه بخطة الدرس والمقـرر كل ذلـك يقلـل من احتـمالات حدوث مشـكلات عدم المواظبة والانضباط الصفي.
3. العوامـل المرتبطـة بالأهـل وتظهـر في الجوانـب الآتيـة:
   - اهتـمام الأهـل بـضرورة مواظبـة أبنائهـم للحياة المدرسـية مـن النواحـي المختلفـة اجتماعيـاً وتربويـاً وإداريـاً.
   - متابعـة الأهـل لأبنائهـم باسـتمرار ومراقبـة سـلوكهم داخـل البيـت وخارجـه.
   - إدراك الأهـل لأهميـة التعليـم وجـدواه عـلى الصعيديـن الاجتماعـي والاقتصـادي مـما يـؤدي إلى حرصهـم الشـديد عـلى متابعـة أبنائهـم وتوجيههـم.
   - تقديـر الأهـل لمكانـة المدرسـة والمعلـم واحترامهـم للجهـود التـي تبـذل مـن أجـل تعليـم وتربيـة أبنائهـم وهـذا يجعلهـم حرصـين عـلى مراقبـة أبنائهـم ومتابعتهـم.
   - حمـل الأهل والأقارب اتجاه إيجابي نحو المدرسـة والتعليم مما يـؤدي هـذا إلى تكويـن نفس هذا الاتجـاه لدى الأبنـاء ويخلق لديهـم دافعاً قوياً في الرغبة في التعلـم والالتزام بالنظام المدرسي.
   - توفـير الجـو الأسري الطيـب للطالب وسـبل العيـش المنظمة والبعيـدة عن الانحراف والسـلبية كل ذلك يـترك آثاراً محددة في سلوك الطالب في المدرسة.
4. العوامـل المرتبطـة بالطالب نفسـه وتظهر في الجوانـب الآتية:
   - نضـج الطالـب الفلسـطيني وإدراكـه لمنظومـة القيـم الاجتماعيـة والتربويـة والإداريـة السـائدة والالتـزام بهـا.
   - شـعور الطالـب بالثقة بالنفس والقدرة على تحمل المسـؤولية.
   - شـخصية الطالـب التـي تبتعـد عـن السـلبية والانحـراف وتقـترب بشـكل كبـير مـن إقامـة العلاقـات الطيبـة مـع الآخريـن سـواء أكانـوا معلمـين أم زمـلاء أم أهـل.
   - قـدرة الطالـب على الاندمـاج والتكيـف مع البيئة المدرسـية وإدراكه أهمية الامتثال لأنظمة المدرسـة وتجنـب الخروج عنها.
   - إدراك الطالب لأهمية التعليم في حياته الحاضرة والمستقبلية.

ثانياً: النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) في تقديرات المعلمون لمستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسية والثانوية بالمواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية تُعزى لمتغير جنس المعلم؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام اختبار "ت" (t-test) لاختبار دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين والمبينة نتائجه في الجدول (7) :

الجدول (7)

نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لتقدير المعلمين لمستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية تبعاً لمتغير الجنس

مجالات المواظبة	الذكور (145)		الإناث (151)		قيمة "ت" المحسوبة	مستوى الدلالة الإحصائية
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
الاجتماعي	3 .77	0 .95	3 .71	1 .31	0 .456	0 .421
التربوي	3 .32	0 .99	3 .36	1 .11	0 .333	0 .543
الإداري	3 .81	0 .88	3 .83	0 .98	0 .188	0 .733
الكلي	3 .64	0 .92	3 .66	1 .16	0 .165	0 .761

تشير المعطيات في الجدول السابق إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) في تقدير المعلمون لمستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي بمظاهر المواظبة السلوكية في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية تعزى لمتغير الجنس. ولدى مقارنة هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة تبين أنها تتفق مع دراسات (Rogers, Hallam & Show, 2008 ؛ جبر، 2005؛ بدري، 2005؛ المعايطة، 2004؛ Parry, 2004؛ Punan, 2003؛ Globy, 2003) التي أشارت نتائجها إلى عدم وجود فروق دالة إحصائياً في مدى تقدير المعلمين لمستوى المواظبة السلوكية لدى الطلبة تبعاً لمتغير الجنس، بينما تعارضت مع نتائج دراسة (Henry, 2007) التي أشارت نتائجها وجود فروق لصالح الذكور. ويمكن تفسير هذه النتيجة بسبب تشابه الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية لدى أفراد عينة الدراسة ذكوراً وإناثاً، مما أدى ذلك إلى ترك أثر متشابه أيضاً على طبيعة سلوك الطلبة من حيث المواظبة السلوكية في الإطار المدرسي.

ثانياً: النتائج المتعلقة بسؤال الدراسة الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α=0.05) في تقديرات المعلمون لمستوى التزام طلبة مرحلتي التعليم الأساسية والثانوية بالمواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية تُعزى لمتغير المرحلة التعليمية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم تم استخدام اختبار "ت" (t-test) لاختبار دلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لاستجابات المعلمين والمبينة نتائجه في الجدول (8):

الجدول (8)

نتائج اختبار "ت" لدلالة الفروق بين المتوسطات الحسابية لتقدير المعلمين لمستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية تبعاً لمتغير المرحلة الدراسية

مجالات المواظبة	أساسية (184)		ثانوية (112)		قيمة "ت" المحسوبة	مستوى الدلالة الإحصائية
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
الاجتماعي	3 .83	1 .03	3 .28	1 .12	4 .23	*0 .037
التربوي	3 .99	1 .11	3 .43	0 .87	4 .85	*0 .021
الإداري	4 .06	0 .74	3 .40	1 .01	6 .00	*0 .000
الكلي	3 .96	0 .96	3 .37	1 .01	4 .52	*0 .033

* دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة (α=0.05)

يتبين من الجدول السابق وجود فروق دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α=0.05) في تقدير المعلمين لمستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية الاجتماعية والتربوية والإدارية لدى طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي تبعاً لمتغير المرحلة التعليمية التي يدرس بها المعلم وذلك لصالح المرحلة الأساسية. بمعنى أن معلمي المرحلة الأساسية يقدرون مستوى التزام الطلبة بمظاهر المواظبة السلوكية بشكل أفضل من تقدير معلمي المرحلة الثانوية.

ولدى مقارنة هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة تبين أنها تتفق مع نتائج دراسات (جبر، 2005؛ Parry, 2004) والتي أشارت نتائجها إلى وجود فروق في مستوى المواظبة السلوكية في المدرسة لصالح طلبة المرحلة الأساسية، بينما تعارضت هذه النتيجة مع نتائج دراسة المعايطة (2004) التي أشارت نتائجها إلى وجود فروق دالة إحصائياً في مستوى المواظبة السلوكية لصالح طلبة المرحلة الثانوية، كما تعارضت هذه النتيجة مع نتيجة دراسة (Rogers, Hallam & Show, 2008) والذي أشارت نتائجها إلى عدم وجود فروق في مستوى المواظبة السلوكية تبعاً لمتغير المرحلة التعليمية. وقد يعود سبب هذه الفروق إلى الفروق في التربية والتنشئة الاجتماعية المتبعة في تربية الطلبة وتوجيههم، حيث يكون الأهل أكثر حرصاً على أبنائهم في المرحلة الأساسية، كما يمكن تفسير هذه النتيجة بالعودة إلى سيكولوجية النمو والتطور النفسي والاجتماعي؛ حيث تكون هناك فروق نمائية شاسعة في التكوين النفسي والاجتماعي والانفعالي بين طلبة المرحلتين الأساسية والثانوية (جامعة القدس المفتوحة، 1993)، ففي حين يكون طلبة المرحلة الأساسية في حالة من الهدوء في مظاهر النمو المختلفة، بينما يكون طلبة المرحلة الثانوية في مرحلة المراهقة؛ والتي يكون من أهم المظاهر النمائية فيها عدم الاستقرار والانضباط والتمرد، بالتالي فان طلبة المرحلة الأساسية يكونون أكثر انضباطاً من حيث السلوك من الناحية الإدارية والاجتماعية والتربوية.

التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة ومناقشتها يمكن تقديم الاقتراحات والتوصيات الآية:

1. ضرورة مشاركة الأهل أولا بأول في المشكلات السلوكية للطلبة حتى يتم تقويمها بالتعاون ما بين البيت والمدرسة.
2. ضرورة إصغاء المعلمين للطلبة ومشاركتهم في حل مشكلاتهم الشخصية.
3. ضرورة المتابعة الحثيثة للطلبة وفصلهم حسب فروقهم الفردية وسلوكياتهم حتى لا يتأثر الطلبة ببعضهم البعض.
4. ضرورة فرض بعض أنواع العقاب بطريقة لا تؤذي الطلبة جسدياً أو نفسياً وإنما يكون هدفها تعديل سلوك الطالب.
5. ضرورة وجود رقابة من وزارة التربية والتعليم الفلسطينية على سجل الدوام والسلوك اليومي للطلبة وإرسال تقارير لأهالي الطلاب بذلك
6. ضرورة توفير مرشدين نفسيين وأخصائيين اجتماعيين من أجل زيادة المواظبة السلوكية لدى الطلبة.
7. ضرورة تدريب المعلمين حول كيفية التعامل مع الحالات السلوكية المختلفة التي يواجهونها في المدارس.
8. ضرورة إجراء المزيد من الدراسات حول موضوع الدراسة.

المراجع العربية:

1. بدري، إسماعيل (2005). "المواظبة السلوكية لدى طلاب المرحلة الثانوية من وجهة نظر معلمي ومديري المدارس الثانوية في محافظة المنوفية في جمهورية مصر العربية". مجلة الأهرام الأسبوعية، ع. (1321)، ص 22-24.

2. بركات، زياد (2010). "المخالفات السلوكية لدى طلبة مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي من وجهة نظر المعلمين في المدارس الحكومية في محافظة طولكرم بفلسطين". مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، 11(3)، 165-193

3. بركات، زياد (-2008 أ). "فعالية أسلوب لعبة السلوك الجيد في خفض السلوك الصفي السلبي لدى تلاميذ الصف الثالث الأساسي: دراسة تجريبية". مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، 9(4)، ص -83 106.

4. بركات، زياد (-2008 ب). "مظاهر السلوك السلبي لدى تلاميذ المرحلة الأساسية من وجهة نظر المعلمين وأساليب مواجهتهم لها". مجلة جامعة النجاح الوطنية، 22(4)، 1217-1258.

5. بركات، زياد (2006). "دوافع السلوك السلبي لدى تلاميذ المرحلة الأساسية من وجهة نظر المعلمين". مجلة دراسات عربية في علم النفس، م.5، ع. 4، ص ص. 845-882.

6. جامعة القدس المفتوحة (1993). علم النفس التطوري. عمان: منشورات جامعة القدس المفتوحة.

7. جبر, بدرية (2005). المواظبة السلوكية والانضباط الصفي في مدارس إمارة العين الأساسية في دولة الإمارات العربية. رسالة ماجستير غير منشورة, جامعة زايد, دبي.

8. جريدة الرياض (2005). "لائحة الانضباط السلوكي والمواظبة للطلاب في مراحل التعليم". يوم الاثنين، رجب، من الموقع الالكتروني: http://sedek.rcjschools.gov.sa/Laeht%20alslok..

9. سالم، هدى (2008). "نموذج للانضباط الصفي الناجح". من الموقع الالكتروني: http://almoltqa.tripod.com/gawda/gawda5.htm.

10. السنيدي، عبد الرحمن (2005). "من أساليب ضبط الفصل". من الموقع الالكتروني: http://edueast.gov.sa/vb/lofiversion/index.php?t2574.html .

11. شتات، نهى إبراهيم (2001). مهنة التعليم ودور المعلم. عمان, الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

12. شعبان, عمر (2006). "المواظبة السلوكية في المدارس". صحيفة الكرامة الفلسطينية،ع. 211، رام الله, فلسطين.

13. عبد الهادي، سامر .(2008). "تنظيم البيئة الصفية وضبط السلوك الصفي". من الموقع الالكتروني: ..http://eleam.aou.edu.jo/userfiles/file/annource_files2doc

14. غزالة، سليم (2003). الإدارة المدرسية الفعالة. عمان: دار الشروق.

15. المعايطة، سائد (2004). الانضباط السلوكي وعلاقته بالتحصيل الدراسي في مدارس الزرقاء في المملكة الأردنية الهاشمية. رسالة ماجستير غير منشورة, الجامعة الأردنية, عمان, الأردن.

16. النجار، نبيل (2004). إدارة الصف. القاهرة: دار الفجالة للنشر والتوزيع.

17. هارون، رمزي فتحي (2003). الإدارة الصفية. عمان: دار وائل للطباعة والنشر.

المراجع الأجنبية:

1. Globe, J. (2003). Cooperation and integration between the school and the family in order to raise levels of behavioral attendance in private schools in the state of Carolina. Journal of Social Sciences, 79(2), 3751-.

2. Henry, K. (2007). Who's skipping school: Characteristics of truants in 8th and 10th grade. Journal of School Health, 77(1), 2935-.

3. Kearney, Ch. & Besaheb, A. (2006). School Absenteeism and School Refusal Behavior: A Review and Suggestions for School-Based Health Professionals. Journal of School Health,76(1), 37-.

4. Parry, N. (2004). Behavioral discipline to the class of students from different races (American and Asian). Dissertation Abestracts International, 109(4), 66 A.

5. Punan, P. (2003). Behavioral attendance in schools in the French city of Lille from the viewpoint of the social workers. ERIC, ED937651.

6. Rogers, L ; Hallam, S & Show, J. (2008). Do generalist parenting programmers improve children's behavior and attendance at school? The parents' perspective. British Journal of Special Education, 35(1),1625-.

7. Van Blerkom, M. (1996). Academic Perseverance, Class Attendance, and Performance in the College Classroom. ERIC, ED407618.

استبانة لقياس المواظبة السلوكية

الرقم	الفقرات	كبير جداً	كبير	إلى حد ما	قليل	قليل جداً
1	المشاركة بالرحلات والزيارات المدرسية					
2	المشاركة الفعالة في الاحتفالات التي تقوم المدرسة بها					
3	الالتزام بالمظهر العام من حيث الملبس					
4	المحافظة على اللياقة في الكلام مع الآخرين					
5	يتفاعل بطريقة فعالة في فرق العمل والنشاط العام					
6	ينخرط بالعمل التطوعي من تلقاء نفسه					
7	يشارك في الإذاعة المدرسية					
8	يشارك في الفرق الرياضية والكشفية باستمرار					
9	يظهر اتجاهاً ايجابياً نحو زملائه ومدرسيه					
10	قادر على بناء علاقات اجتماعية وإنسانية مع الآخرين					
11	مثابر على حل الواجبات البيتية					
12	لا يتغيب عن الامتحانات					
13	يسهم باستمرار بإحضار وتصميم الوسائل التعليمية					
14	يشارك بفعالية في الأنشطة الصفية واللاصفية					
15	يشارك بإيجابية في الحصة الدراسية					
16	يظهر اتجاهاً إيجابياً نحو المادة التعليمية والمدرسة					
17	لا يتوانى عن طرح الأسئلة حول المادة التعليمية					
18	يعمل بشغف في حصص النشاط العملي المختلفة					
19	يقوم بالتحضير والإعداد الجيد لدروسه					
20	يصغي بشكل جيد أثناء الحصة الدراسية					
21	الحضور اليومي إلى المدرسة					
22	عدم الهروب أو التغيب المستمر عن المدرسة					
23	التواجد داخل المدرسة أثناء الفرصة					
24	المشاركة في اللجان الفنية المختلفة في المدرسة					
25	يأتي صباحاً في الوقت دون تأخير					
26	البقاء في الصف أثناء الفرصة بين الحصص					
27	حضور التمارين الصباحية بانتظام					
28	حضور الاحتفالات المدرسية والمشاركة فيها					
29	حضور الأنشطة اللاصفية					
30	الانتظام بوقت الحصص الخاصة بالمختبر والمكتبة والنشاط والرياضة					

الخطاب النقدي العربي وأسئلة العلاقة مع الآخر : قراءة في ضوء النظرية ما بعد الكولونيالية.

د. العيد جلولي
كلية الاداب - جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

تسعى هذه المداخلة في المقام الأول إلى مقاربة الخطاب النقدي العربي وأسئلة العلاقة مع الآخر في ضوء النظرية ما بعد الكولونيالية , ذلك أن الخطاب النقدي العربي المعاصر في تموقعه وتموضعه في فضاء النقد العالمي عبر استيراده لمناهج وتيارات نقدية غربية أوجد جملة من الأسئلة تتمحور حول العلاقة مع الآخر وبالتحديد الأوروبي / الغربي , وقراءة هذه الأسئلة على ضوء النظرية ما بعد الكولونيالية تتطلب استدعاء كل المناهج المستوردة وما أفرزته من قلق منهجي طبع الخطاب النقدي العربي المعاصر وهذا لسبب بديهي هو أن النظرية ما بعد الكولونيالية تتقاطع مع العديد من المناهج النقدية المعاصرة , والحقول الثقافية الغربية , وكل ما أفرزه الفكر ما بعد الحداثي وما بعد البنيوي من خطابات . يضاف إلى كل ذلك الخطاب النقدي العربي الذي استظل بالنظرية ما بعد الكولونيالية وحاول تعرية الخطاب الاستعماري وحمولته الثقافية والمعرفية, وفي المقابل إبراز الثقافة المحلية والقومية المهمشة ومحاولة كشفها بآليات وأدوات الخطاب الغربي نفسه أي أن هذه الخطاب ينبثق ويبرز في فضاء الغرب عبر الكتابات المهاجرة أو غير المهاجرة ليصارع أسسه , ولكنه في الوقت نفسه يمارس نقدا قاسيا للثقافة المحلية محاولا بذلك خلق فضاء هجين تتعايش داخله الثقافات الإنسانية كبديل للخطاب الكولونيالي الرأسمالي القائم على العنف واللاعدالة والتغريب في المجال الفكري , والقائم على الاستلاب والإلغاء في المجال النقدي

Cette étude vise principalement à l'approche critique du discours arabe et des questions sur la relation avec les autres à la lumière de la théorie du post-colonialisme, de sorte que le discours critique des arabes contemporains et sa plasse dans l'espace de la critique mondiale sur l'importation du programme d'études et les examens courants de l'Ouest a créé un certain nombre de questions centrées sur la relation avec l'autre, en particulier l'Union européenne et de l'Ouest, et de lire ces questions à la lumière de la postcoloniale théoriques nécessitent un appel au programme de toutes les importations et l'inquiétude résultant systématique discours imprimé critique arabe contemporaine et que, pour une raison évidente est que la théorie de l'intersection du post-colonialisme avec la plupart des programmes de trésorerie contemporaine, et les champs de la culture occidentale , et tout ce que la pensée créé par le post-modernisme et les lettres post-structural. Ajouté à ce discours critique de la théorie de logement post-arabe colonialisme et essayer de l'érosion du discours colonialiste et la charge utile et des connaissances culturelles, à son tour, mettre en lumière la culture locale et le nationalisme marginalisés et essayer de mécanismes de détection et d'instruments du discours occidental lui-même signifie que ce discours se dégage et met en lumière dans l'espace de l'Occident à travers les écrits d'immigrant ou non-migrateurs fondée à la bataille, mais au même temps les critiques sévères de la culture locale, essayant ainsi de créer une coexistence espace hybride au sein des cultures de l'homme comme une alternative à la violence coloniale capitaliste fondée sur la parole et de l'injustice et l'aliénation dans le domaine intellectuel, fondé sur l'aliénation et la suppression progressive dans le domaine critique

تحديد منهجي واصطلاحي : نقصد بالخطاب النقدي العربي كل الخطابات النقدية التي أفرزتها النهضة العربية وما تلاها من تلاقح ومثاقفة مع الآخر , ولاشك أننا نقصد بالآخر هو الغرب تحديدا , أما النظرية ما بعد الكولونيالية والتي يترجمها البعض بالنظرية ما بعد الاستعمارية فهي حقل من التحليل جديد يشير إلى أن الاستعمار التقليدي قد انتهى وأن مرحلة من الهيمنة قد حلت محله , وكل هذا يتطلب تحليلا من نوع جديد, وهذه المرحلة الجديدة أطلق عليها المرحلة الإمبريالية أو الكولونيالية . وفهم هذه النظرية يتطلب فهما عميقا للخطاب الاستعماري نفسه ذلك أنهما- الخطاب الاستعماري والنظرية ما بعد الاستعمارية- من افراز بيئة واحدة وبينهما من التداخل ما جعل البعض يلحق النظرية ما بعد الاستعمارية بالخطاب الاستعماري ولا يرى لهذه النظرية وجودا مستقلا .(1)

النظرية ما بعد الكولونيالية : " ما بعد الاستعمار" مقولة سياسية في أساسها تحولت إلى مصطلح نفذ إلى مجالات عديدة لعل أهمها المجال الأدبي والنقدي والفكري , ويعد إدوارد سعيد من أوائل من صاغوا لبنات نظرية ما بعد الاستعمار في كتابه (الاستشراق) , فقد كان هذا الكتاب دافعا قويا لجملة من المفكرين للكتابة حوله بما طرحه من أفكار , وما أثاره من قضايا , سواء الكتاب الذين عارضوه ونقضوا أفكاره وكتبوا من منظور مخالف مثل عارف ديليرك وإعجاز أحمد , أو الكتاب اللاحقين من منظري ما بعد الاستعمار مثل جاياتري سبيفاك وسلمان رشدي وهومي بابا , وانطلاقا من الكتابات المخالفة أو المؤيدة حاول إدوارد سعيد أن يتأمل هذه النظرية ويراجعها من جديد وأن يدخل عليها جملة من التعديلات ظهرت فيما بعد في كتاباته اللاحقة مثل كتاب (الثقافة والإمبريالية) , و(صور المثقف) , و (تأملات حول المنفى) , وكل ذلك شكل في الأخير وفي زمن قصير نظرية ما بعد الاستعمار.

في مقدمة كتابه (الاستشراق) قدم إدوارد سعيد أدلة قوية "على أن (الشرق) كان شيئا من اختلاق الخطاب الغربي , وهو الخطاب الذي صاغ من الوجود الحقيقي والمتخيل لشعوب الشرق , صورة خاصة متخيلة فانتازية إلى حد بعيد . وقد بذل سعيد جهدا هائلا في رصد أبعاد هذه الصورة في خطاب الاستشراق , وكيف كانت – بطريقة ما – جزءا غامضا ومراوغا من سياسة الاستعمار الأوروبي لبلاد الشرق ." (2)

وانطلاقا من هذه الفكرة يقدم إدوارد سعيد تعريفا للاستشراق وهو " طريقة للوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوروبية الغربية , فالشرق ليس لصيقا بأوروبا وحسب , بل إنه كذلك موضع أعظم مستعمرات أوروبا , وأغناها ,وأقدمها , ومصدر حضاراتها ولغاتها , ومنافسها الثقافي , وأحد صورها الأكثر عمقا وتكرار حدوث للآخر . وإضافة , فقد ساعد الشرق على تحديد أوروبا (أو الغرب) بوصفه صورتها , وفكرتها , وشخصيتها , وتجربتها , المقابلة . بيد أنه لاشيء من هذا الشرق تخيلي صرف . فالشرق جزء تكاملي من حضارة أوروبا وثقافتها الماديتين . ويعبر الاستشراق عن ذلك الجزء ويمثله ثقافيا , بل حتى عقائديا , من حيث هو (الاستشراق) نهج من الإنشاء (الكتابي) له يعززه من المؤسسات , والمفردات , وتراث البحث , والصور , والمعتقدات المذهبية , وحتى الأجهزة المكتبية (البيروقراطية) الاستعمارية والأساليب الاستعمارية " (3)

وكان إدوارد سعيد واضع العديد من المصطلحات التي شاعت وذاعت في هذا الحقل من التحليل كمصطلح (الآخر) (الشرقي) , (المنفى) , (المثقف) , (الهجنة) ,ومع أنه واضع أسس هذه النظرية فإن محاولات سبقته يقول عنها هو نفسه " إن ما قلته في كتاب الاستشراق على كل حال , كان قد قيل مثله , لدى الطيباوي , وعبد الله العروي , وأنور عبد الملك , وطلال أسعد , والعطاس , وفانون , وسيزار , وبانيكار وروميلا سابار...وكلهم عانوا من دمار الإمبريالية والاستعمار , وكلهم تحدوا السلطات وتحدوا مؤسسات العلم التي قدمتهم لأوروبا , فكان أيضا أن عدوا أنفسهم شيئا أكبر مما قاله ذلك العلم , التحدي الأكبر بالنسبة لكتاب الاستشراق وللفترة الاستعمارية التي هو جزء عضوي منها كان تحدي الصمت المفروض على الشرق كموضوع ." (4)

كما أن صياغة مصطلح " ما بعد الاستعمار " ظهر لأول مرة في المجال السياسي أوائل السبعينيات عندما أطلق على مأزق الأمم التي تخلصت من سطوة الإمبراطوريات الأوروبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية , لكن المصطلح لم يكتسب معناه في المجال الثقافي والنقدي إلا في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي .(5)

ويستخدم مصطلح " ما بعد الاستعمار " لتغطية كل الثقافات التي تأثرت بالعملية الإمبريالية من لحظة الاستعمار حتى اليوم , كما أن هذا المصطلح يستخدم في النقد الجديد العابر للثقافات الذي ظهر في السنوات الأخيرة , وللخطاب الذي تكون من خلاله ذلك النقد .

تطور خطاب ما بعد الاستعمار سواء في الأدب أو النقد عبر مراحل مختلفة , كانت المرحلة الأولى لصيقة بالخطاب الاستعماري نفسه ممثلة في كتابات الصفوة المتعلمة الممثلة للهيمنة الإمبريالية , ولا يمكن لهذه الكتابات أن تمثل الثقافة الوطنية على الرغم أنها وصفت تلك البلدان المستعمرة وصفا دقيقا من كل الجوانب بما فيها التقاليد والعادات واللغة . أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي كتب فيها السكان الأصليون بلغة المستعمر وبأدواته ومنهجيته ولكن هذه الكتابات لم تستطع أن تجابه عنفوان الإمبريالية على الرغم أنها حاولت أن تكشف ثراء الثقافة المحلية وتاريخها التليد , وفي المرحلة الثالثة " مرحلة تطور الآداب المستقلة , التي وضعت حدا لهذه القوة القامعة , وكيفت اللغة والكتابة لاستخدامات جديدة ومميزة , وهو الأمر الذي يشكل أكثر من أي أمر آخر السمة المميزة لظهور الآداب ما

بعد الكولونيالية الحديثة . فمن السمات المميزة الكبرى لهذه الآداب عنايتها بالمكان والانزياح أو الانخلاع, حيث تبرز أزمة الهوية الخاصة بما بعد الكولونيالية بروزا صارخا ." (6) وفي هذه المرحلة ظهر أهم منظري النظرية مثل إدوارد سعيد وفرانتز فانون (Franz fanon)، وهومي بابا (Homi bhabha) , جاياتاري سبيفاك (Gayatri spivak) وغيرهم .

والحقيقة أن الكتابات المهاجرة حاولت خلخلت ثقافة المركز عبر طرحها لمجموعة من التساؤلات المثيرة وعبر محاولتها نزع صفة النقاء الثقافي الذي فرضته الهيمنة الاستعمارية , فحدث تقاطع بين تصورين أو مشروعين أو ثقافتين كل ذلك أدى إلى ميلاد فضاء جديد سمي بفضاء الهجنة حيث تتعايش أو تتصارع ثقافة المركز وثقافة المهاجر , وهذه الهجنة هي اللون الثقافي الجديد , وليس الهدف هو إقصاء ثقافة المركز لتحل محلها الذاكرة التاريخية المهمشة , بل تفكيك تلك المركزية وإضافة تلك الذاكرة التاريخية المهمشة وثقافتها إليها ومن ثم النظر إلى المساحة الهجينة التي يخلقها ذلك على أنها فضاء ثالث صالح لسكنى العالم . وهذه النصوص التي أفرزها وضع ما بعد الاستعمار أتاحت للنقاد وضع مداخل نقدية تستجيب لحركية هذه النصوص وقد حاول مؤلفو كتاب (الإمبراطورية ترد بالكتابة) حصرها في أربعة مداخل أساسية هي :

- المدخل القومي أو الإقليمي : الذي يركز على سمات محددة لثقافة قومية أو إقليمية معينة .
- المدخل العرقي : الذي يلتقط سمات معينة تشترك فيها آداب قومية متنوعة كما هو الحال في الميراث العرقي المشترك في آداب الأفارقة وهو المدخل المسمى " الكتابة السوداء " .
- المدخل المقارن : الذي يسعى لدرس خصائص لغوية وتاريخية وثقافية معينة يشترك فيها أدبان أو أكثر من آداب ما بعد الاستعمار .
- مدخل مقارن ولكنه أكثر شمولية إذ يؤكد خصائص من قبيل الهجنة والتوفيقية باعتبارها خصائص مكونة لكل آداب ما بعد الاستعمار .(7)

الخطاب النقدي العربي والقلق المنهجي : عرفت الساحة النقدية في العصر الحديث تهافتا كبيرا على استيراد المناهج والمذاهب والتيارات المختلفة كتهافتها على استيراد السلع والبضائع دون قيد أو شرط , ودون معرفة دقيقة بهذه المناهج وبالبيئة أو التربة التي أنبتتها , و الظروف التاريخية والمعرفية التي أوجدتها , و الملابسات النفسية التي خلقتها , مما أوقع النقاد في اضطراب كبير , فالمتأمل في المحاولات النقدية التي وظفت المناهج الغربية المستوردة في دراستها للأدب العربي يلحظ ذلك الاضطراب والقلق الذي يطبع تلك المحاولات فجاءت تطبيقاتهم تتسم بالنقص والابتسار . ولكن قراءة هذه المحاولات في ظل النظرية ما بعد الكولونيالية سيكشف أسباب ومبررات هذا القلق المنهجي الذي طبع الساحة النقدية العربية منذ تخلصها من الاستعمار الغربي ودخولها مرحلة ما بعد الاستعمار.

لعل أول ما يلفت نظر الدارس هو هذا القلق المنهجي, فالكثير من النقاد ينظرون للمنهج على أنه مجرد أدوات إجرائية في دراسة النصوص والموضوعات جاهلين أو متغافلين أن " كل مصطلح أو منهج إلا ويحمل في أحشائه , حتما خلفية فكرية , تختصر نفسها , ورؤيتها , وتحليلها , من خلال المصطلح النقدي , والمنهج الذي يلائمه ويستعمل في إطاره , ويتبادل الخدمة معه " (8) ففهم المنهج على أنه مجرد أدوات هو فهم سطحي , وتمثل ناقص للمنهج وطبيعته , وفي هذا الموضوع يقول الناقد عباس الجراري : " لقد شاع أن المنهج مجرد وسيلة للبحث عن المعرفة , وفحصها , أي مجرد خطة مضبوطة بمقاييس , وقواعد , وطرق تساعد على الوصول إلى الحقيقة , وتقديم الدليل عليها , هذه مجرد أدوات إجرائية , وهي في نظرنا , لا تمثل إلا جانبا واحدا من المنهج , أقترح تسميته بالجانب المرئي في المنهج " (9) إلى أن يقول : " ولكن هناك جانب آخر غير مرئي , باعتبار المنهج , أولا وقبل كل شيء , وعيا ينطلق من مفاهيم ومقولات وأحاسيس ذاتية , وتنتج عنه رؤية , ويتولد تصور وتمثل للهدف من المعرفة , من هذين الجانبين : المرئي واللامرئي , يتكون المنهج - أي منهج صحيح – من حيث هو منظومة متكاملة ومتناسقة " (10) ويفهم من هذا أن طبيعة المنهج تتكون من قطبين اثنين هما القطب الظاهري والمتمثل في الأدوات الإجرائية , والقطب الباطني والمتمثل في الخلفية الفكرية أو الفلسفية التي يستند عليها المنهج , وما القطب االظاهري إلا ترجمة علمية وإجرائية للقطب الباطني أو هو الإجابة الصريحة على الأسئلة الضمنية التي يطرحها القطب الباطني ,فإذا أخذنا مثلا نموذج التصنيف الثلاثي للمناهج (داخلية , خارجية , توفيقية) الذي وضعه الناقد المغربي الدكتور أحمد الطريسي أعراب في كتابه (التصور المنهجي ومستويات الإدراك في العمل الأدبي والشعري) " نلاحظ أن المكونات الظاهرية لكل واحد منها , تتماشى في العمق ونوعية الرؤية الخفية المؤطرة له , بحيث يستحيل الجمع مثلا بين المكونات الظاهرة لمنهج ما , والرؤية اللامرئية لمنهج آخر , ولا توظيف الخطوات الإجرائية لمنهج معين , في إطار خلفية نظرية مرتبطة بمنهج مخالف , لما يمكن أن يتولد عن ذلك من تشويه وتلفيق بين وجهي المنهج , الظاهر والخفي , والتي من المفروض أن تطبع العلاقة بينهما انسجام وتناسق تامين , بشكل يسمح بتحقيق أنسب للأهداف والغايات المرسومة له , مما يعكس أهمية الدور الذي يلعبه القسم الخفي من كل منهج , في قسمه الظاهر , ويحقق الاستيعاب الشامل والكلي للمنهج , روحا وجسدا , بعيدا عن كل تصور جزئي قاصر .(11)

وتكمن قيمة المنهج فيما يحمله من قوة إجرائية بغض النظر عن خلفيته الفكرية وشحنته الأيديولوجية ومن ثم تظهر صلاحيته عند التطبيق , فالحكم المسبق على هذا المنهج أو ذاك بالسلب أو

الإيجاب هو أحد مظاهر الأزمة التي تعصف بالخطاب النقدي العربي الحديث , فهناك من النقاد من يجاهر بمعاداة منهج أو مناهج بحجة أنها تستند إلى التراث وتلتمس الحل في كل قديم , رافعا راية الحداثة معتقدا أنها الثورة على كل قديم , وفريق آخر يتخندق داخل التراث معاديا لكل وافد جديد . والحقيقة أن الخطاب العربي الحديث بصفة عامة في مجال النقد والفكر والثقافة والمجتمع والسياسة عرف اتجاهين مختلفين , واندرج تحت كل اتجاه تيارات كثيرة , ومذاهب عديدة , من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مما أحدث أزمة " أدت من جملة ما أدت إليه إلى التمزق والخلاف , وقد حسب قوم أن هذه الفوضى مرحلة انتقالية ستفضي عاجلا أم آجلا , إلى النظام والانتظام , قياسا إلى ما عرفته الأمم الأخرى من مراحل فوضوية سبقت نشوء نظام جديد كان يبحث عن شرعيته ...لكن المقلق أن مرحلة الفوضى العربية , إن صحت التسمية قد تطاولت , وما زالت تتفاقم منذ عقود " (12) منذ حملة نابليون على مصر وما صاحبها من انقسام بين المفكرين , وما تولد عنها من إحساس فظيع بين عالم غربي ينهض ويحقق نجاحات في كل الميادين بما فيها الأدب والنقد , وعالم شرقي أفل نجم حضارته وراح يغط في سبات عميق , وهذا الإحساس الفظيع وربما الإحساس بالنقص هو الذي أدى في الأخير إلى أن يتهافت فريق من المفكرين والمثقفين والنقاد إلى استيراد ثقافة الغرب المعلبة ومنها المناهج النقدية بحجة وبغير حجة وهنا تمتثل أمامنا مقولة ابن خلدون : " إن المغلوب مولع – أبدا – بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده , والسبب في ذلك أن النفس –أبدا – تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه , إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه , أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي , إنما هو لكمال الغالب , فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاد فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به , وذلك هو الاقتداء , أو لما تراه , والله أعلم , من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس , وإنما هو بما انتحله من العوائد والمذاهب تغالط أيضا بذلك عن الغلب , وهذا راجع للأول "(13) وهكذا تسرب للثقافة العربية شعار الغرب وزيه ونحلته على حد تعبير ابن خلدون , فظهرت التيارات والمذاهب والمدارس والمناهج في كل مناحي الحياة ومجالاتها , وتداخلت وتصارعت دون تمثل جيد أو تلق سليم مما ولد الفوضى كما رأينا .

وإذا عدنا إلى ساحة النقد فإن هذه الفوضى تظهر بجلاء من خلال ذلك التباين والاختلاف بين النقاد العرب في تمثل المناهج الوافدة أو في استلهام مناهج من تراثنا القديم , ومن هنا انقسم النقاد إلى مجموعتين " واحدة تعتمد المناهج الغربية الحديثة بكل ما لها من حمولة حضارية , فكرية وأيديولوجية , تجعل منه خطابا نقديا معربا أكثر منه عربيا , نلمس آثاره السلبية في شكل اغتراب جزئي أو كلي , يطبع مختلف أطرافه , موضوعا وتأليفا وتلقيا , وأخرى توظف مناهج عربية أصيلة , تمتد جذورها لتضرب في عمق التاريخ العربي , أيام ازدهار الحركة الأدبية عامة , والنقدية منها على الخصوص , مع أعلامها المرموقين أمثال الجرجاني والجاحظ وقدامة وابن سلام إلى آخر القائمة الطويلة " (14) والسؤال الذي يطرح في هذا المجال : هل استطاع دعاة الحداثة من النقاد أو من الأدباء أن يؤسسوا قواعد نهائية للنقد العربي الحديث والمعاصر, وللشعر العربي الحديث والمعاصر بحيث يمكن القول : هذا هو النقد العربي المعاصر , وهذا هو الشعر العربي المعاصر , لأن معظم الدارسين العرب يقرون بعدم وجود نقد عربي حديث وإنما ثمة نقد حديث يقتات على فتات موائد النقد الغربي , وليس ثمة قصيدة معاصرة وإنما ثمة نسخة مشوهة للقصيدة الغربية , وهل استطاع من جهة أخرى دعاة العودة إلى التراث أن يستلهموا منه مناهج قادرة على أن تكون البديل الناجح للتيارات الوافدة , والمناهج الغربية المستحدثة , وهل استطاعوا أيضا أن يعيدوا استنساخ السموأل و المهلهل والغطاريف الأوائل .والحقيقة التي أثبتها الواقع وألح عليها أكثر من ناقد هي أن المنهج النقدي لا يقاس بقدمه أو جدته , وإنما في تطبيقه وتمثله , والحكم عليه بعد ذلك , وهذا ما ذهب إليه عباس الجراري في كتابه (خطاب المنهج) حيث يقول : " إن قيمة المنهج ليست كامنة فقط في نوع الأدوات التي استعملها الباحث , سواء أكانت صالحة أو غير صالحة , لمجرد أن البحث , أو أن موضة تقتضي نوعا ما من المناهج , ولكن قيمة أي منهج رهينة بما يحققه في نطاق رؤيته وهدفه ...وأود أن ألفت النظر إلى قضية أساسية ألح عليها , وإن أغفلها الكثيرون ممن يأخذون ببعض المناهج , وهي أنه يجب أن نعترف بتعدد هذه المناهج , وبأننا قد نقبل بعضها وقد نرفض بعضها الآخر,ولكننا حين نفعل لا ينبغي أن نراعي منطلقاتها الفلسفية , وإنما علينا أن نراعي مدى صلاحيتها وطواعيتها لموضوع الدرس "(15) فالمنهج كالكائن الحي يصيبه ما يصيب الكائن من الأمراض والعلل , ويدركه ما يدرك الكائن من العجز والشيخوخة فيتحول إلى أشلاء بالية " لأن المناهج مهما تكن , يأتي عليها يوم , بعد أن تعطي كل ثمارها , فتفقد خصوبتها وتصبح عاجزة , عن أن تفيدنا بشيء , أو أن تعرفها بجديد , ولذا فإن أنجع ما يكون حديثنا عن المناهج , ليس في ضبط قواعده وتحديدها أدق تحديد , ولا عندما يقوم وحده كصرح نسقي أو معياري , ولكن عندما يكون خصبا هنا والآن ."(16) وانطلاقا من هذا الوعي بالمنهج وخصوصيته فلا وجود لمنهج صالح على الدوام , وصالح لكل الموضوعات , فما يصلح الآن قد لا يصلح في المستقبل القريب أو المتوسط أو البعيد , وما يصلح لموضوع قد لا يصلح لموضوع آخر, فكل موضوع أو نص هو فريد من نوعه , لا يقاس به غيره , وما ثبت نجاحه في تربة معينة , قد لا يحرز ذلك النجاح في تربة أخرى , فالمسألة هنا تبقى نسبية , والمحك الحقيقي , والفيصل في هذه المسألة هو التطبيق كما قلنا في مقدمة هذه الدراسة " ونحن حين ننظر في محاولات نقادنا في المرحلة الحديثة المعاصرة نجد أنهم سعوا إلى التوسل ببعض مناهج النقد الجديد التي أعطت ثمارا كلية أو جزئية عند الغربيين , ولكن سعيهم لم يتجاوز التجريب الذي لم يتح له أن يتم دون الوقوع في الخلل , وهو خلل مرده إلى أن التطبيق لم يكن متقنا وسليما . وما كان له أن يأتي

على الوجه الأنسب بسبب الاختلاف الذي يمس نوع المعطيات ومدى تأثيرها حين تكون مستخلصة من بيئة ويحاول إلصاقها ببيئة أخرى من جهة , والذي يمس طبيعة التعبير وأداته وكل ما يرتبط بهما من جهة أخرى "(17)

ومادامت الساحة الفكرية بصفة عامة , والساحة النقدية على وجه الخصوص , تضم هذين الفريقين فالمعول عليه في هذا المجال هو خلق ثقافة الحوار بين المناهج المختلفة , والتيارات المتنوعة , والمدارس المتعددة , وهو حوار يتقاطع مع حوار الحضارات والثقافات , ويفضي إلى نزع فتيل التوتر بين الفريقين , ويكون في الأخير سبيلا لحل هذه الأزمة المتعددة الجوانب , ذلك أن " قضية المنهج في طليعة اهتمامات الدارسين والنقاد العرب , إذ يرونها حجر الزاوية لتجاوز الأزمة التي يعانيها الفكر , وكذا تخطي الواقع في شتى مظاهر معاناته , إلا أن عرضها مفصولة عن السياق المعرفي ومجموع مكونات الذات وحواجز الإبداع , يجعل التناول مبتورا لا يفضي إلى رؤية صحيحة ومتكاملة , تبلور حقيقة المنهج , وتتيح التحكم فيه بحل إشكاليته " (18) فأزمة المنهج جزء من الأزمة الشاملة وأي علاج يتناول المنهج معزولا عن سياقه العام يكون العلاج ناقصا مبتسرا وربما فاشلا مميتا . ومرد ذلك أن اختيار منهج معين , أو مجموعة من المناهج , إنما ينطلق من قناعات معينة لها مرجعيات أيديولوجية , ومن ثم فالاختيار ليس بريئا ولا عفويا .

إن الانغلاق داخل التراث والتقوقع فيه , وحفر الخنادق وإقامة الحصون والقلاع للمحافظة على الخصوصيات الدينية والقومية , ومواجهة ما كان يسمى الغزو الثقافي لم يعد اليوم لعبة تسلي خصوصا في عصر ثورة الاتصالات والمعلومات , ثورة الفاكس والانترنت وأطباق البث والالتقاط , حيث فقد المكان معناه يوم فقد حدوده بفعل الوسائل العابرة للحدود وهذا ما عناه بول كينيدي حين قال : " سوف ينزعج معظم الناس إلى حد كبير إذا ما واجهتهم تلك الفكرة التي تقول إن الدولة القومية في طريقها لأن تغدو شيئا من مخلفات الماضي " (19) , وفي مقابل ذلك فإن الارتماء في أحضان الآخر , والانسلاخ من التراث , والوقوع في براثن التبعية والاستلاب ليس هو البديل لمواجهة هذه التحديات , ولاشك أن المنطق السليم , والواقع الراهن يرفضان هذين السبيلين لعقمهما . ولعل حل هذا الإشكال الحضاري في ظل الموجة الحضارية الثالثة وهي الموجة المعلوماتية بعد أن تخطى العالم الموجة الحضارية الثانية وهي الموجة الصناعية هو الانفتاح المقيد "بشروط موضوعية تضبط حدوده وتوجهاته , وتحافظ للذات على خصوصياتها وتمايزها , التي بدونها لن تجد مكانا في الخريطة الحضارية الكونية , شريطة أن لا تبلغ هذه المحافظة حد الانغلاق فتنقلب لتقوقع يسد الأبواب ويكرس التخلف " (20) وأن لا يبلغ هذا الانفتاح حد الانسلاخ فينقلب إلى انفتاح يكسر الأبواب ويهدم الخصوصيات .

لاشك أن الانفتاح المقيد بشروط هو الحل التوفيقي الذي يأخذ بعين الاعتبار الوضع الحضاري الحالي بكل أبعاده وسماته , بين تراثنا القديم الذي هو من إفرازات الماضي الذي لم يعد له وجود , من جهة , والحضارة الغربية الحديثة التي تتجاوزنا معطياتها بمراحل كثيرة , من جهة أخرى مما سيعمل دون شك على تمكيننا من قواعد المعرفة المعاصرة , ويرسخ جذورها في تربتنا , بعيدا عن التبعية و الاستلاب (21) وفي اختيارنا لهذا الحل التوفيقي يجب أخذ الحيطة والحذر حتى لا نسقط في التلفيق بدل التوفيق . وهذا يتطلب أمرين : " أولهما الرجوع إلى تراثنا العلمي وسبر أغواره , واكتشافه من جديد لحصر العناصر المعرفية والمنهجية , واستحضار ما هو منها حي وملائم لتوظيفه كما هو , أو ما هو قابل للتطوير قبل التوظيف , وكذا لاستخلاص ما هو صالح لننطلق منه أو نستوحي أو نستمد بعض ما يقوي فينا قدرة الإبداع أو يفتح أبوابه . وثانيهما : التفتح بوعي وعمق وحرية على تراث الغرب , وبجد , في شتى نواحيه ومختلف ميادينه , ليس لمجرد إتباعه والبقاء في مؤخرة الركب لاهثين خلفه , ولكن لاكتساب المقومات التي أهلته للتقدم , وامتلاك المفاتيح التي يبقى مسدود أي باب في وجهه يريد دخوله وارتياده , وبدون هذا الامتلاك وذلك الاكتساب سوف نظل مجرد مستهلكين لما يتبقى من فتات يلفظه الغير , إن إجراء هذه العملية يتطلب وسائل وإمكانيات , تقوم على مدى إحساسنا بالواقع الذي نعيشه , ومدى الرغبة في تغييره , والقدرة على هذا التغيير , كما تقوم على معرفتنا بالذات والكيان , وتحديدنا للغايات والأهداف , ونظرتنا الموضوعية للآخر في غير قبول أو رفض مسبقين , وتقوم قبل هذا وبعده على الوعي الصحيح بالعملية لفهمها وإدراكها واستيعابها , في حقيقتها وعمقها , بعيدا عن أي جدل عقيم , لا يستند إلا على مجرد التحيز والخصومة , وتلكم إشكالية أخرى "(22) .

وإذا حصرنا الحديث الآن في المنهج فهذا المنطق نفسه يقتضينا أن ننظر إليه نظرة معتدلة , فنعيد قراءة التراث برؤية جديدة قائمة على أسس علمية تأخذ بعين الاعتبار أن في تراثنا صفحات مشرقة ومضيئة في مجال الأدب والنقد يمكنها أن تكون منطلقا ومرجعا نستأنس به في مقاربة ما نتلقاه من الآخر الذي يبهرنا بثقافته منذ الحملة النابليونية وإلى الآن , وليس التلقي عن الأخر عيبا وإنما العيب أن نفقد خصوصيتنا , لقد أفاد العلماء العرب القدامى من النقد الاغريقي القديم , ولكنهم ظلوا يحتفظون بخصوصيتهم الحضارية وبهويتهم فعكست مؤلفاتهم لغتهم ولغة إبداعهم وجسدت خصوصيتهم القومية والحضارية , كما أن في تراثنا ركاما ثقافيا لم يعد اليوم له نفع , والاشتغال به يعد ضربا من الترف الفكري , كما يجب أن نعيد تشكيل استراتيجيتنا في تلقي ثقافة الآخر حتى لا نقع في فخ التبعية والاستلاب , وكلما تسلحنا بهذا الوعي كلما كان تلقينا للمناهج مفيدا و نافعا . ورب قارئ لهدا القلق المنهجي الذي يطبع الساحة النقدية والذي عرضناه في هذه الفقرات ليقول وما شأن كل هذا بالنظرية ما بعد الكولونيالية فنقول إن الكثير من المناهج الوافدة

إلينا إنما نشـأت في بيئة البلدان الاسـتعمارية فهـي مثقلة بالخطاب الاستعماري وما بعد الاسـتعماري ومحاولة استلهامها أو تهجينها من قبل نقادنا إنما تم تحت مظلة هذا الخطاب بشـقيه ومن ثم لا يمكن فصـل هذا القلق المنهجي وخطاب ما بعد الاسـتعمار . ولا شـك أن الكثير من النقاد العرب من خلال محاولاتهم التهجينية اسـتطاعوا أن يؤسسوا لخطاب نقدي معاصر دون الوقوع في فخ التبعية والاستلاب .

الهوامش والإحالات :

1. ميجان الرويلي وسـعد البازعي , دليـل الناقد الأدبي , المركز الثقافي العربي , لبنان , المغرب , ط3 , 2002 , ص 158 .
2. بيل أشكروفت وآخرون , الإمبراطورية ترد بالكتابة , آداب ما بعد الاستعمار : النظرية والتطبيق , مقدمة المترجم , ترجمة وتقديـم : خيري دومـة , دار أزمنة للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط01 , 2005 , ص09 .
3. إدوارد سـعيد , الاسـتشراق : المعرفة - السـلطة - الإنشاء , ترجمة كمال أبو ديب , مؤسسـة الأبحاث العربية , بيروت , ط02 , 1984, ص37.
4. بيل أشكروفت وآخرون , المرجع السابق , ص12.
5. ينظر المرجع نفسه , الصفحة نفسها .
6. حفناوي بعلي , مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن , الدار العربيـة للعلوم نـاشرون, بيروت - منشـورات الاختلاف – الجزائر, ط 01 , 2007 , ص 69.
7. بيل أشكروفت وآخرون , المرجع السابق , ص41 .
8. عباس الجراري , خطاب المنهج , منشـورات السفير , مكناس , المغرب , ط01, 1990, ص 40,41.
9. عباس الجراري ,المرجع نفسه ,ص 40 , 41 .
10. المرجع نفسه ,ص 40 , 41 .
11. عبـد العالي بوطيب " إشـكالية المنهـج في الخطاب النقدي العربي الحديـث " مجلة عالم الفكر , المجلـد 23 , العددان الأول والثاني , 1994 , الكويت , ص458.
12. محمد راتـب الحلاق " الخطـاب النقدي العـربي الحديث والمعاصر (فتنة الحداثة / سـلطان الـتراث)" مجلة الموقف الأدبي , دمشق , سورية , العدد 443 , 2008 , ص 40 .
13. عبـد الرحمن بن خلدون, المقدمة, دارالكتب اللبناني , بيرت, 1982 , ص 258, 259 .
14. عبد العالي بوطيب , المرجع السابق , ص462 .
15. عباس الجراري ,المرجع السابق , ص 71 ,73 .
16. الطاهـر وعزيز , مقدمة كتـاب (المنهجية في الأدب والعلوم الإنسـانية), تأليف جماعي , منشـورات توبقال , المغرب , ط01 , 1986 , ص 06 .
17. عباس الجراري ,المرجع السابق , ص 20 .
18. المرجع نفسه , المقدمة .
19. بول كينيـدي , الاسـتعداد للقرن الحـادي والعشرين , دار الشروق , عمان , 1993 , ص167 , 168 .
20. عبد العالي بوطيب , المرجع السابق , ص 465 .
21. ينظر المرجع نفسه , والصفحة نفسها .
22. عباس الجراري ,المرجع السابق , ص 31 .

الفهرس

الإفصاح المحاسبي في ضوء المعايير المحاسبية الدولية دراسة ميدانيه على الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) شركة مساهمة سعودية. 3
إعداد
طالب الدكتوراه
مجدي احمد الجعبرى

البيمارستان في المدينة العربية والإسلامية القديمة بغداد ودمشق في حكايات ألف ليلة وليلة "أنموذجا " 22
د. محمد عبد الرحمن يونس

الرؤية والواقع، قراءة في رواية خلاصات النزف للروائي الأردني أحمد العرود 31
إعداد
الدكتورة نجود عطا الله الحوامدة
جامعة جرش الأهلية ــ الأردن

القطاع النفطي بين واقع الإرتباط و حتمية الزوال في الإقتصاد الجزائري 44
د. زغيب شهرزاد
ا. حليمي حكيمة

بناء معايير محلية لاختبار الشخصية للأطفال لمنطقة جنوب الباطنة في سلطنة عمان 69
د. كاظم العادلى
كلية التربية الجامعة المستنصرية - العراق

في الأصول التاريخية للفلسفة العربية 85
د.إسماعيل نوري الربيعي
الجامعة الأهلية - البحرين

عناصر الأداء الشعري في ديوان "قمر شيراز" للشاعر عبد الوهاب البياتي 96
الدكتورة جودي فارس البطاينة
أستاذ مساعد / كلية الآداب / قسم اللغة العربية
جامعة جرش الأهليّة

مستوى الالتزام بمظاهر المواظبة السلوكية لدى طلبة
مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي من وجهة نظر المعلمين 114
د. زياد بركات
أستاذ علم النفس التربوي المشارك
برنامج التربية منطقة طولكرم التعليمية
جامعة القدس المفتوحة

الخطاب النقدي العربي وأسئلة العلاقة مع الآخر :
قراءة في ضوء النظرية ما بعد الكولونيالية. 130
د. العيد جلولي
كلية الاداب - جامعة قاصدي مرباح - ورقلة

The Scientific Journal of
ARAB OPEN ACADEMY IN DENNARK

Managing Editor
Prof. Dr. Walid Al-Hayali

Editorial Secertary
Ass. Prof. Dr. Hassan Al-Sudany

Board of Editors
Ass. Prof. Dr.Mohammed Falhy
Ass. Prof. Dr. Lutfi Hatem
Ass. Prof. Wael F. Ali
Ass. Prof.Thaeir Alathary
Mrs. Aseel Al-Amiri

Language supervisor:
Khdiar Abbas Mohsen

Address: Meterbuen 6-12 bygning 6E
2740Skoulnde
DENMARK
Website : www.ao-academy.org
e-mail : ao-academy@yahoo.com